مُصطفى جمال الدّين



الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار المؤرخ العربي

بيروت - ص.ب ١٢٤/٢٤ - تلكس ٤٠٥١٢ كمك - ت ٨٢٠٨٤٣

الأهداء

سيدي

أيها التراب الذي عشنا على خصبه، ونحن نزود

ورضعنا أخلاف (دجلة) وآمتدت بحضن (الفرات) منا الجذور

فتشهقنا مع النخيل ولكن بشر أعذاقنا الرؤى والشعور

وغنا قيدنا القصائد، والخمر معان، سكرى بهن السطور

ثم عاد العراق فيئاً لجزار فصار ما يتقن: (الساطور)

غاضه أن يرى (الفراتين) يسقي بهما جاحد له، أو كفور

فرمى الماء للصحاري، ليظمي الحقل، والنخل، والربى، والطيور

وإلى كل نخلة لم تطأطئ رأسها، واللظى عليها يجور

وإلى كل نبتة شمخت ظمأى فماتت.. وما لواها الهجير

جئت أهدي (الديوان) يعبق منفياً..

.. وما ضيّع الطغاة العبير

بيروت ٣٠/١٢/٩٤

جمال الدين

مَلامحُ في السيرة والتجربة الشعرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المنبتُ الأوّل

في ريف (سوق الشيوخ)، بين المدينة والأهوار، تَتربّع على ضِفّتي نهر (الحميدي) قريةٌ صغيرةٌ تسمّىٰ (المؤمنين) أكثر بيوتها من القَصَب، وقليلٌ منها توجد فيه غُرفةٌ أو غرفتان، جِيطانُها من الطين، وسقوفُها من جذوع النخل، ولا يوجد في القرية بيت بُني بالآجُر والطوب غيرُ بيتِ و(مَضِيف) كبير القرية، ومالِكها، والمرجع الديني لقبائل الأرياف المحيطة بها السيد مرزا عناية الله جمال الدين، وغيرُ المسجد الجامع الذي تقام فيه الصلوات الخمس من قِبَل سكّان القرية، ويسعىٰ أهلُ الأرياف والقرى المجاورة إلى قرية المؤمنين هذه، صباحَ كل جمعة، ليحضروا مجلسَ المرجع الديني هذا، ويستمعوا لوعظه، ثمّ ليؤدّوا (صلاةَ الجمعة) التي تُقام من قِبَله في هذا المسجد الجامع، وبعد تناول طعام الغداء على مائدته، يعودون إلى قراهم مُستبضعين ما يحتاجون إليه من السوق الموسمي في هذه القرية الذي كان يُسمّىٰ (سوق الجمعة).

وقد كان تجّار سوق الشيوخ، والناصرية يعرفون تجمّع القبائل في هذه القرية كلَّ جمعة، فيوفدون عمّالهم بالبضائع التي يحتاجها أهل الريف والأهوار عادةً، ويبدأ وفود العمّال من يوم الخميس، فيتكوّن، في ساحة القرية، سوق مؤقت يستمر حتى صباح السبت.

وبمرور الأيام اعتاد أهلُ القرية أنفسُهم أنْ يساهموا في هذا

السوق باستيراد بعض البضائع من المدن المجاورة، ولأنّهم يسكنون القرية نفسها، فقد أصبحت (حوانيتُهم) المؤقتة محلاّتٍ دائمة طوال أيام الأسبوع، وسمّي سوق الجمعة، بعد ذلك، بـ (سوق المؤمنين) تباع فيه كل البضائع التي يحتاجها سكّان القرى، من المواشي والأغنام حتى الأقمشة والمواد الغذائية.

ولأن السيد مرزا عناية الله هو المرجع الديني لقبائل الأرياف والأهوار الجنوبية، وأتباعُهُ منتشرون في المحافظات الثلاث: الناصرية، والبصرة، والعمارة، فقد كان طبيعياً أن يتجمّع طلاّب العلوم الدينية من أبناء هذه المحافظات حوله، فاضطُرّ إلى بناء غُرَفٍ ملحقةٍ بمسجده الجامع لسكنى الوافدين إليه من هؤلاء الطلاّب، وتكوّنت في القرية (حوزة صغيرة) لتدريس العلوم الدينية، قوامُها دراسة (المقدّمات) من النحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، وبعض كتب الحديث والفقه، ومدرّسوها هم إخوانه وأبناؤه، وبعضُ المحيطين به ممّن تعلّموا في النجف، ثم يوفد السيدُ من يرىٰ به الاستعدادَ من هؤلاء الطلاّب إلى النجف الأشرف، جامعة العلوم الإسلامية للشيعة الإمامية، ويظلّ يمُدّه بما يحتاج من نفقة، وقد يعود بعضُ هؤلاء الموفدين للتدريس في هذه الحوزة، وقد يستمر بعضهم فيتخذ النجف موطناً.

من أجل ذلك سمّيت هذه القرية بـ (قرية المؤمنين) لأن (المومن) - بتسهيل الهمزة - مصطلح ريفيّ يعنىٰ به الشخص الذي يعتمر العمامة، ويقوم بوظيفة المرشد والموجّه الديني.

❀ ❀ ❀

وفي الحادي عشر من جمادىٰ الأولى سنة ١٣٤٦ هجرية الموافق لـ ١٩٢٧/١١/٥م انشقّتِ التربةُ، في هذه القرية، عن نبتَةٍ من هذه الأسرة الدينية، هي شاعرُ هذا (الديوان): مصطفى بن جعفر

ابن عناية الله، عاش في كَنَف جدّه طفولتَه الغضّة، حتى إذا قَوِيَ للنبتة ساقُها، وتمكّنت في التربة جذورها، اختار لها أهلُها حقلاً آخر أقربَ إلى طبيعتها، وليس غيرَ النجفِ، يومئذٍ، مزدرعٌ يمكن لمثلها أنْ تنمو فيه، وتعطي ثمارَها في ظلاله.

كان ذلك في أواخر سنة ١٩٣٨، لم يُكمِل صاحبنا الدراسة الابتدائية، فقد أُخرِج من مدرسة القرية، وهو في الصف الرابع، والتحق بـ (الجامع الهندي) في النجف، طفلاً صغيراً يستظهر متن (الأجرومية)، ويطوي تحت عباءته الصغيرة (قطرَ الندىٰ) لابن هشام، وهو يتطلّع بلَهَفٍ لأن يحفظ رجز (الألفية) لمحمد بن مالك.

كان أبوه السيد جعفر واحداً من رجال الدين الذين يستوطنون النجف الأشرف للتزوّد بعلومها الدينية، ثم رجع إلى القرية في أوائل الأربعينات، لظروف صحيّة ألمّتْ بجده (عناية الله) فَقَدَ على أثرها بَصَره، فكان بحاجةٍ لعودة ابنه الكبير إلى مساعدته في إدارة شؤون القرية.

ورجع السيد جعفر، مع أهل بيته إلى القرية، إلاّ والدة الطفل، فقد عزَّ عليها أن يترك الطالبُ الصغيرُ درسَه، ففضّلت البقاءَ معه حتى صَلُبَ في الغربةِ عُودُه، ومَرَنَ على الدرس قلبُه، ووجدت له من يحتضنه من أصدقاء الأسرة.

وحين نَشَر صاحبُنا ـ بعد زمن طويل ـ رسالتَه التي نال بها الدكتوراه (البحث النحوي عند الأصوليين) وكانت ذات صلةٍ بدراسته الدينية هذه، تذكر إيثار والدته البقاء معه، فكتب لها في الإهداء: «اللّهم وكما كانت عيناها أنيسَ طفولتي، وسراجَ ظلمتي، فاجعل ثوابَ ما بذلتْهُ من جهدٍ أنيسَ وحشتِها وسراجَ قبرها».

النجفُ مَنبتُنا الحقيقيّ

والنجف مدينة تقع في ظاهر الكوفة، تبعد عنها سبعة أميالٍ تقريباً، وتوصلها بالكوفة سكّة حديد (ترامواي) تجرّها الخيول، يبلغ تعدادُ نفوسها يوم دخلها صاحبُنا (٧٥) ألفاً وهي اليوم تربو على نصفِ مليون. ولأنها ترتفع كثيراً عن مجرىٰ نهر الفرات في الكوفة فقد كان الماء فيها شحيحاً، يُنقل إليها على ظهور الدوابّ من قِبَل (السقّاية)، أمّا الآبار الموجودة في غالب بيوتها فقد كانت ـ لعدم صلاحيتها للشرب ـ تستعمل لتنظيف الأواني وغسيل البيوت.

ولأن النجف هي الامتداد الطبيعي للكوفة عاصمة الإمام علي عليه السلام، ومنطلقُ شيعته، فقد صارت منذ هجرة الشيخ الطوسي إليها من بغداد، أواسط القرن الخامس، داراً للعلم وجامعة دينية لفقهاء الإمامية في جميع مواطن سكناهم، وإن كانت قبل ذلك مسكناً لبعض علمائهم وزُهّادهم الذين فضّلوا جوارَ المرقد المقدس بعد اكتشافه في زمن الرشيد، وبناء قبته البيضاء من قبله أو من قِبل البويهيين التي يقول فيها الحسين بن الحجّاج (٣٩١هـ):

يا صاحبَ القبّةِ البيضا على النجفِ

مَن زار قبرَكَ واستشفى لديكَ شفي

ولعلّها من زمن البويهيين، ونقل جثمان (عضد الدولة ٣٧٢هـ)

إليها أصبحت مدفناً لعلماء الإماميةّ وأعيان الشيعة، ثم عامّتهم، ينقل إليها موتاهم من مختلف مدن العراق والأقطار المجاورة، حتى يوم الناس هذا، ولعلّ مقبرة النجف التي تسمّىٰ (وادي السلام) أكبر مقبرة في العالم كله.

خصائص النجف الأشرف

تمتاز هذه المدينة بخصائص يندر وجودها في مدن العراق وهي أنها:

١ ـ مدينة الوافدين:

ـ زوّاراً، ومجاورين، وطلاّبَ علم ـ فغالبية سكّان هذه المدينة ليسوا من أهل النجف الأصليين، وكثير من الأسَرِ التي تسمّىٰ اليوم بـ (الأُسَرِ النجفية) هي من تلك الأسر المهاجرة إليها لطلب العلم أو لمجاورة مرقد الإمام، وكانت لشغفها بهذه المدينة وطول إقامتها بها نَسِيَتْ أصولها في البلاد العربية، أو الأقطار الإسلامية، وانقطعت العلائق شيئاً فشيئاً بينها وبين المدن والأقطار التي تحدّرت منها، وأصبحت هي الأُسَر النجفية المتشابكة بأواصر القربى والمصاهرة مع بعضها البعض، وبعضُ هذه الأسر مرّ عليها في سكنى النجف ما يقرب من أربعمائة عام، ولعل أجيالها المتأخرة لا تعرف شيئاً عن بلدها الأصلي، أو قراباتها هناك، فضلاً عن لغاتها التي انصهرت بلغة العرب.

٢ ـ الشمائل العربية:

وهناك ميزة أخرى تبرز في هذه المدينة هي أنّ شمائلَ أهلِها، والطابع العام لسكّانها هو الطابع العربي القريب من البداوة، فالعشائرية، والنخوة، ورعاية الجار، والكرم، والضيافة، سِماتٌ بارزة يلمسها كل وافد إليها، ولعلّ السرّ في ذلك أنّ النجف تقع بين

الريف العراقي المنتشر على ضِفاف الفرات، وبين البادية الممتدة من العراق إلى الحجاز، وهي السوق المشتركة بين عشائر الريف وعشائر البادية، فمنتوجات (المشخاب) و(الشاميّة) و(العباسيّة) و(الكوفة) وغيرها من التمر، والحِنطة، والشعير، والرزّ، تتجمع في (خانات) النجف لتُصدَّر بعد ذلك إلى بغداد، والبصرة، والموصل، ومنتوجات البادية من (القادسية) و(الحِيرة) و(الرحبة) حتى (الشبكة) من الغنم والصوف والوبر، والسمن، والجلود، ترد إلى (مَناخة) النجف لتصدَّر إلى مناطق العراق الأخرىٰ.

وبعضُ مُصدّري الأرياف والبادية لهم في النجف بيوت يأوون إليها في أيام المواسم، كما أنّ لمستوردي النجف أيضاً بيوتاً في الأرياف والبادية، وهذه الصلة الاقتصادية، بين طرفي الريف والبادية وبين النجفيين هي التي طبعت النجف بهذه السمات والشمائل البدوية، حتى أصبحت، وهي المدينة المتعلقة بكل أسباب التطور المدني، عشائريةَ الروح، بدويّة المجتمع.

٣ ـ العربية ومراكز الدراسات الإسلامية:

وخصوصية ثالثة تميز النجف عن غيرها من مدن العراق، أنّها ـ لكونها مدينة جامعيّة للدراسات الإسلامية، وتمتد جامعيّتُها على مدىً يقرب من عشرة قرون ـ قد احتفظت باللغة العربية وآدابها رغم كل محاولات (التتريك) الذي فرضه المماليك والحكّام العثمانيون على مدارس العراق وغيرها من البلدان الخاضعة للخلافة الإسلامية من جهة. . ورغم انتشار اللغات الشرقية ـ وبخاصة اللغة الفارسية ـ بين الوافدين إليها من أقطار العالم الإسلامي التابعة لمرجعيّتها الدينية من جهة ثانية.

ولعلّ السر في احتفاظها باللغة العربية وآدابها، أنّ الدراسة الدينية، واستنباط الأحكام الشرعية من أدلّتها، تعتمد ـ بصورة

أساسيّة ـ على مصادر هي نصوصٌ عربية أصيلة، بَلَغَتْ الغايةَ القصوىٰ في فصاحتها وبلاغتها، وأهمُّها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، ونهج البلاغة، وآثار أئمة أهل البيت، وصحابة الرسول الكريم، وفقهاء التابعين، ولا يستطيع طالبُ العلوم الدينية ـ سواء أكان في النجف الأشرف أم في غيرها من مراكز هذه الدراسة كالأزهر الشريف، وقم، والقرويين، والقيروان، ودمشق، وجبل عامل ـ أنْ يحصل على مستوى من الوعي الفقهي، ما لم يكن متضلّعاً بآداب العربية، وفلسفتها اللغوية، ما دامت مصادر هذا الوعي على هذه الأهمية من الفصاحة والبلاغة، وفيها من المجازات، والكنايات، والصور البيانية، ما لا يدركه غير الخبير بهذه اللغة، من أجل ذلك لم يكن غريباً أن يتشدّد الأصوليون في شروط (الاجتهاد) فيذكروا فيها أن يكون المجتهد على علم باللغة، وفهم أساليب العرب، وقد حدّد (الشاطبي): أن يكون فهم المجتهد في اللغة العربية وأساليبها بمقدار فهم الخليل، وسيبويه، والمبرّد، والمازني، والجرمي. [انظر الموافقات ٤/ ١١٥].

ونقل (ابن القيّم) عن الإمام الشافعي ـ وهو من أوائل من كتبوا في أصول الفقه ـ قوله: «لا يحلّ لأحدٍ أن يفتي في دين الله إلاّ رجلاً عارفاً بكتاب الله ـ إلى أن يقول ـ ويكون بصيراً باللغة بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للسنة والقرآن» [أعلام الموقعين ١/ ٤٦].

وقديماً كان ابن عباس يقول: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب» «وكان إذا سئل عن شيء في القرآن أنشد فيه شعراً» [العمدة ١/ ٣٠].

ولذلك كانت الدراسة الدينية تبدأ عادة بما يسمّىٰ (المقدمات) أو (علوم الجادّة) وأهمُّها النحو والصرف، والبلاغة، وفيها من البحوث النحوية، والصرفية، والبلاغية ما لا يوجد في كتب النحاة والبلاغيين من أجل ذلك فإن الشريف المرتضى في مسألة تَعقُّب

الاستثناء لجمل متعدّدة، واستدلال بعض الأصوليين بأقوال النحاة قال: «ومَن صنّف كتب النحو إنما هم مُستقرون لكلام العرب، ومستدلّون على أغراضهم، فربما أصابوا وربما أخطأوا، وحكمهم في ذلك كحكمنا، على أن قولهم في هذا يختلف، ولم يُحققوه كما حقّقه المتكلمون منا في أصول الفقه» [انظر الذريعة إلى أصول الشريعة ١/٢٦٢].

وهذا هو السر في أنك تجد أكثر من نبغوا في أوائل هذا القرن من أدباء العربية، وشعرائها، وأصحاب الخبرة. في فلسفتها اللغوية، هم من خرّيجي مراكز الدراسات الدينية، كالشبيبيّن، والشرقي، والجواهري في النجف، والزهاوي والرصافي في بغداد، وشوقي وحافظ، وطه حسين، وأحمد أمين، والزيّات في الأزهر، وأبي القاسم الشابي في القيروان، وعمر أبو ريشة في حلب، وبدوي الجبل في جبلة، والشيخ أحمد رضا في جبل عامل، والعلائلي ـ وهو خريج الأزهر ـ في بيروت، وأمثالهم.

وقد أحصى المرحوم محمد رضا الشبيبي في عصر السيد بحر العلوم وحده (١٢١٢هـ) ما لا يقل عن مائتي شاعر في مدينة صغيرة كالنجف، ويبلغ ما كتبه المرحوم علي الخاقاني عن (شعراء الغري) اثني عشر مجلداً وجلُّهم من طلبة العلوم الدينية.

ومن هذا يبدو لك سرُّ احتفاظ النجف بنصاعة اللغة، وبهذا النزوع الشديد لصهر الوافدين إليها بحب العربية وآدابها، وقد تركت آثارَها الواضحة في الأقطار العربية التي تخرّج أبناؤها في جامعة النجف، وأصبحوا (وكلاءَ) المرجعية الدينية في أقطارهم، كالاحساء، والقطيف، والبحرين، والأهواز، وسوريا، ولبنان، وإنك لتجد سِمات الشعر النجفي واضحةً في شعراء هذه الأقطار وإن لم يعيشوا في النجف.

٤ ـ الشعر مُتنفَّس المجتمع المتحفظ:

وميزة رابعة تخص النجف باعتبارها مركزاً دينياً، أنها مدينة متحفظة أشدَّ أنواع التحفّظ، فالتزمّت هو السِمَةُ البارزة في المجتمع النجفي، فلا يوجد في هذه المدينة ما كان يوجد في غيرها من المدن، كالمسارح، والنوادي، والسينمات وأمثال ذلك ممّا يلهي الشباب عن دراستهم، أو يُخرجهم عن تحفّظهم، بل حتى (المقاهي) الصغيرة المبثوثة في بعض أنحاء المدينة ـ وهي خالية من كل شيء عدا الشاي، والقهوة، والنرجيلة، وبعض المرطبات ـ يمتنع علينا، نحن شبابَ الدراسات الدينيّة، الجلوسُ فيها، واذكر أنه لا يوجد فينا من يملك جهاز (راديو) مثلاً، لذلك كنا في الأربعينات ننزوي في صالة جمعية (الرابطة الأدبية) لنستمع أخبار الحرب العالمية الثانية من (الراديو) الذي أهداه لها الملك غازي مع المكتبة الثمينة. وهذه الميزة هي التي جعلت الشباب الديني في النجف يتطلع إلى أولاع أخرى يتنفس منها، ولم يكن حينئذٍ غير (الحفلات الشعرية) ـ دينيةً وغير دينية ـ فكانت هذه الحفلات هي المتنفَّس الوحيد الذي يجد الشاب فيها وَلَعه المفضّل.

ولعل ذلك هو الذي يفسّر لنا كثرة الشعراء في مدينة صغيرة كالنجف، فكونها تضمّ مائتي شاعر في عصر واحد (ظاهرة) ملفتة للنظر، وإذا كان للفصحىٰ هذا العدد الضخم من الشعراء، فللغة الدارجة ما يماثله أيضاً، فكما يوجد فيها الحبّوبي، والحلّي، والشبيبيّون، والشرقي، والجواهري، والجعفري، واليعقوبي، وعبد الرزاق محي الدين، وغيرهم من أعلام الشعر العربي، يوجد فيها كذلك أمثال حاج زاير، والجِدّ، وياسين الكوفي، والقابجي، والقصّاب، ورسول محي الدين، وكلّهم من أبرز شعراء العاميّة في العراق.

٥ ـ المعارك الأدبية في حفلات النجف:

كانت هذه الحفلات الشعرية إذن هي متنفس طلاب الجامعة النجفية، وكانت حفلاتهم هذه متنوعة، منها (الموسميّة) الثابتة، التي يرتادها عامّة الناس، وتقام عادةً في الأماكن العامة، كالمساجد، والمدارس، والصحن الشريف، وهي الحفلات الدينية مثل: المولد النبوي، ومواليد الأئمة ووفيّاتهم، ومنها (الطارئة) كوفيّات مراجع الدين، وكبار العلماء، والأدباء، والسياسيين، ومنها (الحفلات المصطنعة) ـ ولعلها كانت الأكثر عدداً والأجود نوعاً ـ لأنّ حضّارها في العادة من خاصة القوم، فإذا تزوّج أحد أبناء الأسر العلمية، تنادىٰ أصدقاؤه ومعارفه لإقامة هذه الحفلات في بيوتهم، إظهاراً لفرحهم بزواجه، وكما يُقدِّم القائمُ بها في حفلِهِ صحونَ الحلوى والمرطّبات، يُقدِّم أيضاً (قصيدةً) له أو لأحد الشعراء المعروفين في موضوع مّا تختم عادةً بأبيات تهنئة بالمناسبة الخاصة، وتحذف هذه الأبيات عند نشر الشاعر لديوانه غالباً، وكانت العادة في السابق أنْ تقرأ هذه القصيدة بلحن مميَّز من قبل أحد الخطباء المعروفين، وحين جاء دورنا، نحن الشباب، كسرنا هذه الطريقة، فأخذ الشاعر منا يقرأ قصيدته بنفسه، وبطريقة (الإنشاد) الذي اعتاده.

وكانت هذه الحفلات هي المحفّز الأقوى للحركة الشعرية في النجف، لأن الموضوعات التي تثار فيها حرّة غير مقيدة بمناسبة مّا، وليست معروفة سلفاً، فقد تكون وجدانيةً، أو سياسية، أو فلسفيةً، أو إخوانية، وقد تعالج مشكلة اجتماعية أو دينية، أو غير ذلك من مشاكل النجف، أو العراق، أو الأمة العربية والإسلامية، وقد يتناول الشاعر موضوعاً يختلف الآخرون معه في معالجته، فيأتي شاعر آخر، في الحفلة القادمة، ينقض عليه رأيه، فينتصر الشعراء الآخرون للأول أو للثاني، وتنشأ معارك

أدبية، ونقائض شعرية، قد تستمر حسب أهميتها وأهمية هذا المتزوج وكثرة المحتفلين بزواجه.

وهناك من أدباء النجف من يهتم بتسجيل هذه المعارك الأدبية في (مجموعته) ويسميها باسم مثل (معركة الخميس) أو (الماشيّة) أو (الدارميّة) فيتناقلها منه صغار الأدباء، والشعراء، ولا تزال المجموعات المخطوطة تحتفظ بكثير من هذه المعارك والنقائض.

وأنا أتذكر (المعركة السودانية) التي كان بطلها المرحوم الشيخ كاظم السوداني، وتابعتُ أكثر الحفلات التي ساهمَتْ فيها، وسببُها كان (الأربعين) الحاشد الذي أقيم لفقيد الشعر العربي الشيخ جواد الشبيبي والد الشيخ رضا والشيخ باقر، وكان حفلاً مهيباً ساهم فيه الكثير من شعراء العراق والوطن العربي وقد كان شِبهَ رسميٍّ، لأن الشيخ محمد رضا الشبيبي كان وزيراً للمعارف يومئذٍ، واتّهم السودانيُّ في حرمانه من المشاركة بهذا الاحتفال الشيخَ محمد علي اليعقوبي والسيد محمود الحبوبي وأعضاء جمعية الرابطة الآخرين، لأنهم كانوا هم المشرفين على تنظيمه، وحرموه بعد أن وعدوه بالمشاركة، فاستغلّ أقرب فرصة كتب فيها قصيدته:

أنقضتَ بالميثاق يا يعقوبي
وعلى النفاق أعانك الحبّوبي

فثارت عليه الثائرة من شعراء الرابطة وصادف ذلك زواج أحد أقارب الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وقد استمرت الاحتفالات به أكثر من عشرين يوماً كلّها تدور حول ما أثاره السوداني، وقد شارك فيها الحبوبي والجعفري، واليعقوبي، والفرطوسي، والصغير وكثير من شعراء الرابطة، وهذه المعركة مسجلة في مجموعتي المخطوطة وفي مجموعات بعض متتبعي الشعر النجفي.

ويبدو لي أن هذه المعارك الأدبية، كانت متبعة منذ القديم، فقد أثبت السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) معركة الخميس (الأولى) التي دارت في القرن الثالث عشر الهجري بين أدباء النجف في عصر السيد بحر العلوم. وقد جمع الشيخ محمد الخليلي (معركة الخميس الثانية) التي دارت بين أعضاء من جمعية الرابطة الأدبية في واحدة من مجموعاته الثلاثة، وأشار المرحوم جعفر الخليلي إلى كثير من هذه النقائض والمساجلات في كتابه (هكذا عرفتهم) وتوجد في مكتبة المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني مجموعة من أربعة مجلدات، وفي مكتبة المرحوم السيد محمد جمال الهاشمي مثل ذلك، وهناك مجموعات كثيرة مخطوطة في مكتبات النجف والحلة، والكاظمية وغيرها لعلها كانت المادة الأساسية لـ (بابليات) اليعقوبي وللمجلدات الاثني عشر في (شعراء الغري) والأربعة في (شعراء الحلة) والثلاثة في (شعراء بغداد) التي أخرجها المرحوم علي الخاقاني.

في هذا الجو الشعري الصاخب نشأ جيل مصطفى جمال الدين.

كنا صغاراً ننتهز فرص العطل الرسمية ـ وما أكثرها في مدينة دينية كالنجف ـ فنركض وراء الحفلات الأدبية ـ عامّةً وخاصة ـ لنسجل في دفاترنا أجود ما نسمع للأجيال السابقة علينا من شعراء النجف.

الفكر المنفتح في المجتمع المغلق

النجف كما وصفتها لك، مدينة شديدة المحافظة والانغلاق، في أكثر مظاهرها الاجتماعية ولكنك تجد في المجتمع الأدبي الذي تحدثت عن صخب الشعر فيه، انفتاحاً فكرياً لا يختلف عن غيره من مراكز الدراسات الأدبية والفكرية، ولعلّ منشأ هذا الانفتاح الفكري يكمن في عاملين:

١ ـ القراءات المتنوعة:

فالنجف التي عشناها (مدينة قارئة) تتصل ـ رغم انغلاقها ـ بالعالم الخارجي عن طريق الكتب والصحف والمجلات التي تردها بانتظام، ومن مختلف البلدان، كالعرفان والبرق من لبنان، وألف باء ومجلة المجمع من دمشق، والمقتطف، والمقطم، والهلال، ثم الرسالة، والثقافة، والكاتب المصري من مصر وكثير من صحف العالم العربي والإسلامي التي صدرت في تلك الفترة، وكانت هي زادَ الثقافة العربية في مختلف أقطارها.

كما صدرت في النجف نفسها صحفٌ ومجلات ليست على الشكل المتحفظ الذي يعيشه مجتمعها كمجلة (النجف) التي صدرت في العشرينات، للكاتب النجفي المعروف يوسف رجيب، و(الفجر الصادق) و(الراعي) و(الهاتف) وهي صحف أصدرها الكاتب الكبير والقاصُّ المعروف جعفر الخليلي، واستمرت الهاتف وحدها عشرين

سنة، ومجلة (الاعتدال) وقد صدرت خمس سنوات للأستاذ محمد علي البلاغي، وقد شاركه في سنواتها الأولى المرحوم أحمد جمال الدين عضو محكمة تمييز العراق، ومجلة (الغري) التي كانت لساناً معبراً عن نشاط جمعية الرابطة الأدبية، ثم أصدرت الجمعية يوم صرتُ رئيسَها مجلة خاصةً بها باسم (الرابطة). و(البذرة) التي كان يصدرها طلاب كلية منتدىٰ النشر، ثم (النجف) التي أصدرتها كلية الفقه. ومجلة (الأضواء) التي كانت منطلقاً لأدبيات الحركة الإسلامية في النجف، ومجلة (الإيمان) وهي إسلامية مستقلة.

وهناك مجلات أثّرت كثيراً في نشاط النجف الأدبي مثل مجلات: البيان، والعقيدة، والشعاع، والدليل، والحيرة، وأخيراً صدرت مجلة (الكلمة) معبّرةً عن فكر الجيل الحديث وما يتبناه من أساليب جديدة في الشعر والقصة، وقصيدة النثر.

وقد عَرفَتْ النجفُ المجلات الفكرية والأدبية من وقت مبكر جداً، ففي أوائل هذا القرن أيام العثمانيين ١٩٠٨ كانت تصدر فيها مجلة (العلم) للسيد هبة الدين الشهرستاني تضمّ نتاج المفكرين من جيل النهضة كالشبيبي والشرقي، ثم صدرت جريدة (الفرات) للشيخ باقر الشبيبي وكانت لسان الثوار أيام الاحتلال البريطاني.

لذلك كنا نسمع ونكتب من نتاج هذه (الحفلات) التي تحدثت عنها (أفكاراً) لا تتناسب مع التحفظ الذي يطبع مظاهر الحياة النجفية، ففي النظرات الفلسفية، للكون والحياة كنا نسمع للشيخ علي الشرقي، ما يعتبره البعض تشكيكاً في أهم عقائد هذه المدينة:

فيا جانب البحر الذي أنا غارقٌ
بلجّته هل ثَمّ من جانبٍ ثاني

أو يقول بنظرة اعتدادٍ عن خروجه على هذا المجتمع المتزمّت:

أقـول ـ وقـد سَـألَـتْـنـي الـرفـاقُ:

آأنـتَ عـلـى وَضـعِـنـا خـارجُ؟! ـ:

أبـىٰ الـثـمـرُ الـفِـجُّ عـن جـذعِـهِ

فِـصـالاً، ويـنـفـصـلُ الـنـاضـجُ

وفي إحدى حفلات الأعراس قُرِئتْ قصيدة (للشيخ) عبد الرزاق محي الدين هي أشبه بالموشحة مطلعُها:

رَبَّـةَ الـدلُّ خـفـفـي مـسـراكِ

إنّ قـلـب الـمـحـبِ بـيـن خُـطـاكِ

وفيها (دورٌ) يتميّز بجرأته في مجتمع ديني مغلق كقوله:

ادخـلـي الـحـقـلَ إنْ نـهـضـتِ صـبـاحـاً

تـجـدي الـطـيـرَ كـيـف يـعـبـد رَبَّـهْ:

لا صـلاةٌ سـوى الـغـنـاءِ، ولا صـو

م سـوى أن يُـطـهِّـرَ الـعـبـدُ قـلـبَـهْ!!

وحـيـاةٌ، لـو (تـهـتـديـن) إلـيـهـا

لـتـركـتِ الـقـصـر الـمـنـيـفَ وصـحـبَـه

صَـوّرَتْـهـا الـعـقـولُ (لـلـروس) ديـنـاً

وَدَعَـتْـهـا بـ (الـمـذهـب الاشـتـراكـي)!!

ويثور (الشيخ) صالح الجعفري ـ وهو يتابع سياسة اللاعنف التي اتبعها غاندي في العصيان المدني في الهند ـ على وفود المسلمين المجتمعين في مكة لأداء مناسك الحج، فيخاطبهم في إحدى هذه الحفلات:

قِـفْ فـي (مِـنـىً) واهـتِـفْ

بـمـزدحـم الـقـبـائـلِ والـوفـودِ:

حُجّوا فلستم بالغين
بحجّكم شَرَفَ الهنودِ!!
حَجُوا إلى (استقلالهم)
وحَجَجْتُم خوفَ (السوعيد)
وعبادة (الأحرارِ) أفـ
ـضلُ من إطاعاتِ (العبيدِ)!!

وترجم السيد أحمد الصافي (رباعيّاتِ الخيّام) بكل ما فيها مما تُجسُّ هذه المدينةُ بثقله على عقائدها، وقد كانت ترجمته لها عن الفارسية مباشرةً، ولذلك كانت في نظري ونظر الكثيرين، أجودَ ترجمات الخيّام، وقد أشرتُ إلى ذلك في رثائي له بعد زمن:

وإذا عَرْبَدَتْ بكأس (أبرويز)
فخيّامُهُ بها النشوانُ
صُورٌ تذهل القلوبَ، وفكرٌ
نَسِيتْ نفسَها به الأذهان
غُرتَ فيها مع الشُداةِ ولكن
شَهقتْ فيكَ وهي بكر حَصَان

واذكر أن ديوان (الجداول) طبع في النجف من منشورات مجلة الهاتف، وفيه قصيدة (الطلاسم) المعروفة، وكانت حصيلة هذا التحدّي في نشره أن صدر ردّان شعريّان على تشكيك أبي ماضي، كان الأول أقرب إلى الفلسفة هو رد الشيخ محمد جواد الجزائري، والثاني أقرب إلى الشعر هو ردّ الشيخ عبد الحميد السماوي.

٢ ـ ثقافات الوافدين:

أما العامل الثاني لانفتاح الفكر في هذا المجتمع المنغلق، فهو أنّ مدارس النجف الدينية ـ وهي تقرب من أربعين مدرسة ـ لم تكن (مدارس) بالمعنى الذي نَعرِفه، بقدر ما هي (أقسام داخلية) للجامعة الدينية، فالدروس والمحاضرات التي يتلقاها الطلبة عادةً، تكون في الجوامع والمساجد العامة مثل: (جامع الهندي) و(مسجد الترك) و(جامع الطوسي)، و(مسجد الخضراء) و(الصحن الشريف). أمّا هذه المدارس فتحتوي غرفاً لسكنى الطلبة الوافدين، وتتكون المدرسة من عشرين إلى أربعين غرفة، في كل غرفة طالب أو طالبان، حسب كثافة عدد الوافدين، وهي مدارس بناها مراجع الدين في مختلف عصورهم وسميت بأسمائهم، كمدرسة اليزدي، ومدارس الآخوند، ومدرسة الشربياني، ومدرسة الخليلي، ومدرسة كاشف الغطاء، وغير ذلك، وقد تبني الأقطارُ الإسلامية مدارسَ لجالياتها التي توفدها إلى النجف كالمدرسة الهندية، والمدرسة الأفغانية، والمدارس اللبنانية، ومدرسة (البادكوبا) ـ وهي عاصمة (آذربيجان) التي كانت إحدى دول (الإتحاد السوفياتي) في الثورة الشيوعية، ثم استقلت بعد تفتته.

وهذه المدارس تضمّ أجيالاً من الوافدين من مختلف الأقطار الإسلامية، تنشأ بينهم ـ في العادة ـ صداقاتٌ تُكوِّن منهم مجموعاتٍ أو (شِلَلا) متجانسة داخل كلِّ مدرسة، وقد ينضمُّ إليهم من العوائل المهاجرة أو النجفية التي تسكن البيوت بعضُ زملائهم في الدراسة، ولكنّ الغالبَ في هذه (الشِلَل) أن يألف الطلابُ العربُ، أو الهنودُ، أو الفرسُ، أو الأتراكُ، أبناءَ لغتهم فيجتمعون في عطلهم الأسبوعية ـ الخميس والجمعة ـ أو العطل الموسمية الأخرى على (أكلةٍ) مفضلة كانوا يحبّونها في بلدانهم،

أو يتشاركون في رحلة إلى كربلاء، أو الكوفة، أو سامراء، أو رحلة صغيرة إلى البساتين المحيطة بجدول الأمير غازي القريب من النجف، والغالب أن هذا التجانس لا يقع إلاّ في عدد مُعين يتراوح بين خمسة وعشرة أشخاص.

وهذه المجموعات المتجانسة قد يبرز فيها شخصٌ أو أكثر، كان له قبل هجرته إلى النجف نوع من الثقافة، أو الفكر، أو الهمّ الاجتماعي، مما يكون له الأثر في طبع المتجانسين معه بطابعه، فيؤثر في ثقافتهم العامة ـ خارج مُقرّراتهم الدراسية ـ وشيئاً فشيئاً يتمحورون حوله فينجرّونَ إلى ميوله وثقافته، فإذا كان هذا (المحور) مولعاً بالفلسفة، أو السياسة، أو الأدب، أو الشعر، أو القصة، كان الطابع العام لزملائه كذلك.

وقد كنت أسمع ـ وأنا طالب صغير ـ عن محاور تتجمع حول طلاّب عرب منهم اللبناني، كالسيد صدر الدين شرف الدين، أو محمد شرارة، ومنهم العراقي كالشيخ مهدي الحجّار، ومنهم القطيفي (كالشيخ) سلمان الصفواني، والأهوازي كالشيخ محمد الكرمي، والشيخ محمد رضا العامري، وأمثال هؤلاء ممن كان له الأثر البارز في (شلّته).

وعلى سبيل المثال أذكر أن المرحوم الدكتور حسين مروّة ـ وهو ذو ميولٍ يسارية ـ كان طالباً في مدرسة الخليلي، تجمّع حوله طلاب أعرف بعضَهم، فيهم العراقي، والاحسائي، والبحراني، وقد طبع أكثرهم بطابع (الشيخ) حسين مروّة، وفكره السياسي، حتى بعد تفرّقهم وعودتهم إلى بلدانهم.

وفي أكثر الأحيان تتحكم (الصدفة) في اختيار الطالب النجفي لنوع أو اتجاه المجموعة التي ينتمي إليها، فإذا كان همُّ أفرادها الأكلَ، والشربَ، و(الفرفشة) كما يقولون، لم يخرج الطالب من

النجف مزوّداً بأكثر من ذلك، وإذا كان همُّهم العلمَ، أو الأدبَ أو الشعرَ، أو السياسة، وَضَع نفسَه في الطريق الصحيح، وشقَّ دربَه في حياته مزوّداً بالعلم الديني الذي هاجر إلى النجف من أجله، مضافاً إليه ما اكتسبه من صحبة جماعته ـ فكراً أو أدباً ـ وعلى نشاطه وقابليّته الذاتية، يتوقف نبوغُهُ ـ بعد ذلك ـ وتأثيره في مجتمعه الجديد.

هذان العاملان: القراءات المتنوّعة.. وثقافات الوافدين، هما اللذان فتحا في المجتمع الديني المنغلق نوافذَ المعرفة في مختلف اتجاهاتها، وطَبَعْا مضمونَ الشعر النجفي بطابعٍ غريب على مجتمعه المحافظ.

الشَجَرةُ الّتي احتَضَنَتني بُرعُماً

وصاحبنا الذي نكتب سيرته، ونحاول أن نتعرّف تجربته، واحدٌ من هؤلاء الوافدين إلى النجف من قرى سوق الشيوخ، كان يبحث عن مدرّسٍ في النحو يأخذ عليه شرح ابن الناظم لألفية أبيه محمد بن مالك، لأن الدراسة في النجف ـ كما هي في أكثر مراكز الدراسة الدينية ـ دراسةٌ فرديّةٌ في أغلب مراحلها، والطالب فيها له حريّة اختيار مدرّسِه، وكما يكون الطالب طالباً، يكون في الوقت نفسِهِ مُدرِّساً، فهو إذْ يَدرسُ ألفيةَ ابن مالك عند زيدٍ، يُدرِّس عَمْراً قطرَ الندى لابن هشام، وأستاذُه مثله أيضاً، حتى إذا تقدم في دروسه كان نظام (الحلقات) في انتظاره، ثم ينتقل إلى الحلقة الكبرى، عند أحد مراجع الدين التي تسمى بـ (الخارج)، لأن الدرس فيها ليس له كتاب مقرَّر، فهو (خارجُ) الكتبِ المقرّرة، ولكنه يمتاز بموضوعه، وموضوع (الخارج) إما في الفقه، أو في أصول الفقه، واستحدث أستاذنا الخوئي درساً في التفسير هو إلى (الخارج) أقرب منه إلى الكتاب المقرّر.

وظلّ صاحبنا يبحث عن هذا المدرّس حتى وقع اختياره على المرحوم الشيخ علي زين الدين من البصرة، وجرّته صِلتُهُ بالشيخ علي إلى صلتِهِ بأخيه الشيخ محمد أمين زين الدين ـ وهو اليوم أحد مراجع الدين في النجف ـ حفظ الله مهجته، وجعل خير الحوزة على

يديه، وكان هذا الشيخ بالإضافة إلى علمه الجم، شاعراً من طراز متقدم، وكاتباً بارعاً ذا أسلوب متميّز، لعله أقرب إلى أسلوب الزيّات، تدل عليه رسائله (إلى الطليعة المؤمنة) وكتابه الرائع (الإسلام في ينابيعه الأولى) ولعله أول كتاب يظهر في النجف عن الإسلام بلغةٍ مشرقة الأسلوب، حديثة المعالجة لقضايانا الفكرية، كما كان فيلسوفاً أخلاقياً تشهد له (الأخلاق عند الإمام الصادق)، ورسالته (كلمة التقوىٰ) في سبعة مجلدات أكبر دليل على فقاهته، وغير ذلك من مؤلفاته، وكان هذا الشيخ الجليل محورَ حلقة من العلماء يمتازون بثقافتهم الواسعة، وأساليبهم الرائعة، منهم المرحوم الشيخ سلمان الخاقاني، وهو من أقدم تلامذة السيد الخوئي المرموقين، وله ولع بالشعر، واطلاع واسع على أغلب ما يصدر في المكتبة العربية، وفي مكتبته العامرة وبإرشاده وتوجيهه قرأنا ما جَدَّ من الكتب المصرية واللبنانية، وتابعنا مجلاّت (الرسالة) و(الرواية) اللتين أصدرهما الزيات، و(الثقافة) التي صدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر برئاسة أحمد أمين، و(الكاتب المصري) برئاسة طه حسين، و(الكتاب) التي أصدرتها دار المعارف بتحرير عادل الغضبان، وسلسلة (اقرأ) وغيرها من السلاسل والكتب والقصص التي كنا لا نهتدي إليها لولا إرشاد أبي المهدي وتهيأتها لنا، أمثال كتب طه حسين، والعقاد، وتوفيق الحكيم، والمازني وأحمد أمين، وسلامة موسى، وعبد الله العلائلي، ونجيب محفوظ وغيرها.

هذان العَلَمان الكبيران ـ زين الدين والخاقاني ـ هما اللذان وضعاني على الطريق الذي أنا الآن في نهاياته.

كنت أدرس على الشيخ علي زين الدين شرح الألفية، وقسماً من (المختصر) للتفتازاني، ودرست (حاشية ملا عبد الله) في المنطق على الشيخ محمد رضا العامري و(الشرائع) على الشيخ عبد الكريم شمس الدين، و(المعالم) و(اللمعة) على المرحوم الشيخ محمد

علي الصندوق، ولكني تمحّضتُ في أكثر دروسي بعد ذلك على الشيخ محمد أمين زين الدين، فأخذت عنه (الكفاية) و(الرسائل) وقسماً من (المكاسب) وأكثر (شرح منظومة السبزواري) في الفلسفة الإسلامية، وقد تنقّلتُ في حياتي الدراسية على أساتذة كثيرين، ولكني لم أجد من هو أجلى بياناً، وأكثر إيصالاً من الشيخ محمد أمين زين الدين.

وكانت لأستاذي هذا رحلات سنوية قد تمتد أشهراً في بعض الأحيان، يستوطن فيها قريته (نهر خوز) في قضاء (أبي الخصيب) أو يذهب فيها للإرشاد والتوجيه الديني إلى أتباعه في البحرين، فأجد عناءً كبيراً في العثور على أستاذٍ انسجم مع بيانه انسجامي مع الشيخ زين الدين، حتى إذا أكملتُ مرحلةَ (السطوح) ـ كما كانت تسمى في النجف ـ وانتقلت إلى مرحلة (الخارج) في بحث سيدنا الإمام الخوئي قدس سره استرحت من هذا العناء.

أمّا حياتي الأدبية ـ والشعرية بوجه خاص ـ فإذا كنت مديناً فيها لأحد فلهذين الشيخين الجليلين: محمد أمين زين الدين.. وسلمان الخاقاني، فهما اللذان وَضَعا اللَبِنَةَ الأولىٰ في أساس ظللتُ أبني عليه، بعد ذلك، حتى خُيِّل إليّ أنه أعجب كثيراً من النَظّارة.

الدّراسة الدّينيّة ومحاولات تطوير المنهج

أسلوبُ الدراسة في الجامعة النجفية، ومقرّراتُها، وحاجتُها لإدخال بعض المفردات المعاصرة في منهجها، وأخذها بأسباب التطور في إدارة شؤونها، بما تقتضيه ظروف (العصرنة) التي نعيشها، كانت من أهم ما يشغل المجدّدين من طلبة هذه الجامعة وأساتذتها، وباعتباري واحداً من الذين تخرّجوا في هذه الجامعة، وأخلصوا لها، وحرصوا كل الحرص، على أنْ تظلَّ (قاعدة إسلامية) للمرجعية الدينية، تمدُّ الأقطار المؤمنة بها، بخير الكوادر المسلّحة بالفكر الإسلامي المتفتح، بحيث لا ينقصها شيء من متطلّبات الموجّه الديني المعاصر، فإني كنت أحسّ بعمق الاهتزاز الذي تستبطنه مقرّراتُ هذه الجامعة الدينية، وجمودها، وعدم أخذها بأسباب التطور المطلوب، لذلك كان شغلي الشاغل كشاعر يستطيع أن يوصل فكره للناس بأقرب وسيلة، وأكثرها إثارة لحماس الذين يشعرون مثلي بهذا النقص والجمود، أو الذين هم على استعدادٍ للشعور به، لذلك حشدت كل طاقتي وأنا أشارك بكثيرٍ من حفلاتها العامة، أن أثير هذا الموضوع، وبخاصةٍ في الحفلات التي تعقد لتكريم أحد مراجع الدين أو تأبينه.

وفي أوائل الخمسينات شاركتُ في حفلات تأبين أحد مراجع الدين العظام (الشيخ محمد رضا آل ياسين) بقصيدة نشرت في

مجلتي (البيان) النجفية، و(الألواح) اللبنانية تحدثت فيها عن تطور الدراسة في (الجامعة الأزهرية) وطلبت من مراجع الدين النظر بجديّة لتطوير الدراسة في (الجامعة النجفية) وكان مما قلته في ذلك:

هـلاّ تـكـونـون مـن مـصـرٍ وأزهـرهـا
كـمـا يـكـون مـن الـسّـلـسـالِ مـنـبـعُـهُ
أم لا.. فـنـحـن أنـاسٌ عُـمـرُنـا سَـفَـهٌ
إنْ لـم نـكـن بـ (أتـى زيـدٌ) نـضـيّـعُـهُ

وثارت ثائرة (المحافظين) على هذه الدعوة لتجديد مناهج الدراسة، واستُغِلت المقارنةُ، بين النجف والأزهر، ذريعةً للحملة على دعوتي التجديدية، فاستمعنا في الأيام التالية إلى سيلٍ من القصائد تنقض عليّ رأيي، أذكر منها قصيدة الشيخ محمد تقي الجواهري، وقصيدة المرحوم الشيخ علي الصغير، وقد أشار سماحة الأخ السيد محمد حسين فضل الله، في حديثِ ذكرياتٍ أجرتْهُ معه أخيراً جريدةُ (الديار) اللبنانية، إلى طرف من هذه المعركة الأدبية. ولكني مع ذلك بقيتُ مُصّراً على هذه الدعوة، فكنتُ أوضحَ بياناً وأشدَّ عنفاً، وأنا أشارك في حفلة تكريمية لأحد مراجعنا العظام، قلت فيها:

هـذي (الـمـنـاهـج) أطـمـارٌ مُـهَـلـهَـلـةٌ
مَرّتْ على نسجها الأحداثُ والعُصُرُ
وسـوف يـأتـي زمـانٌ لا تـرونَ بـهـا
إلاّ خـيـوطـاً لـهـمـسِ الـريـحِ تـنـتـشـرُ

وتصاعدت حَمَلاتي في الاحتفالات الدينية على ما أعتقد نقصَه فتحدثت في إحدى مراثي رجال الدين سنة ١٩٥٢، عن المحنة التي يعيشها الشباب الديني في النجف، ختمتها في خطابٍ

لشيوخ المجتمع الديني في الاستماع لوجهة نظر الشباب، في قصيدة موجودة في هذا (الديوان) بعنوان: (صونوا مناهجكم تصونوا دينكم) وقد جاء فيها:

يا قومُ حسبكم الخمولُ فقد مضى
زمنٌ بفطرتِها تشبُّ الرضّعُ
والعصرُ عصرٌ لا يشبّ وليده
إلاّ ليعجبَهُ الجفنُ المُبدِع
(عصرُ المدارسِ).. عذبِها وأُجاجِها
تبني العقولَ بما يَضرُّ.. وينفع
لا عصرُ (كتّابٍ) قصارى جهدِهِ
(صُحُفٌ مباركة)، وآيٌ ممتع
صونوا مناهجَكم تصونوا دِينَكم
وابنوا العقولَ يَقُمْ عليها مجمع
فالدينُ ليس يَربُهُ ويسوسُهُ
(شيخ) بمحراب الدجى يتضرّع
ولقد عهدنا الدينَ عند محمدٍ
(سيفاً) بحالكة المنايا يلمع
و(منابراً) طَلَعتْ على آفاقها
خُطَبٌ من الصبحِ المنوّر أنصع
و(مُبشّرينَ) سروا بهدي كتابه
كالريح تسري بالشذى وتَضوَّعُ
أنّى سرى الداعي فثمّةَ (مَعهدٌ)
يرتاد مِنبرَهُ اللبيبُ الأروع

وإذا فَخُرتم بالمساجد أنكم

عُمّارها.. فهمُ السجودُ الركّعُ

هذا الجهادُ فأين من عليائهِ

جُبَبٌ مُخلّقةٌ و(شيخٌ) مُهطِع!!

وقصيدة (الفتنة الكبرى) في ١٩٥٥ كانت من أشدّ هذه القصائد عنفاً في النقد، ودعوةً للتجديد، فقد استعرضت فيها من أسواء هذا النظام الديني، فِقدانَ (نِظامِ القبول) في الجامعة النجفية، لذلك كان بإمكان أيّ انتهازيّ يريد العيش باسم الدين، أن يعتمر العمامة، ويَسيحَ في بلاد الله (جابياً) للحقوق الشرعية، وهو لا يعرف شيئاً من الشرع ولا من حقوقه، وقلتُ بعد هذا الاستعراض:

والفِتنةُ الكبرىٰ ومن آياتها

أنّ الذي تنعىٰ العديدُ الأوفرُ

حتى لَتَعذِرَ (ناقِدِيكَ) إذا ادّعوْا

عُقْمَ الطريقِ بما أتيتَ (تبشّر)

فالدين قد غَرَسَتْهُ قبلكَ (عُصبةٌ)

المالُ دِينُ قلوبِها والمنكَرُ

ومُغالِطٌ مَنْ راح يُقنِعُ نفسَه

أنّ القتادَ إذا سقاه يُثمِر!!

والفِتنةُ الكبرى بأنّ معاشراً

(مِنّا) تضيق بما ادّعيتَ فتُنكِرُ

حتى كأنّكَ قلتَ: دينُ محمدٍ

مُتفسِّخٌ، ونظامُهُ متأخِّر!

ومِــن الــبــلــيّــةِ أنْ تــحــذِّرَ كــافــراً

بـنـظـامِـهِ. . فـيـقـالَ: إنّـك تـكـفُـرُ!!

ومــن الــســعــادةِ أنْ تــكــونَ مُــغــفّــلاً

فــتــظــنَّ أنّ فــســادَ قــومِــكَ خــيّــرا!!

وحين وجدتني أتصاعدُ في شدّة النقد وقسوته، خفتُ أن يفسّر ذلك بخلاف ما كنت أرمي إليه، فتراجعتُ إلى القصد واللين، معتذراً لمن بيدهم أمرُ القيادة العامة، وتحمّل أعبائها، فقلت:

يــا ســادتــي، ومــن الأمــانــة أنّــهــا

(شـكـوىً) تُـعـادُ، و(دعـوة) تـتـكـرّرُ

ومــن الــخــيــانــةِ أن يــقــول مــثــقّــفٌ

يَـعـتـزُّ بـالـرأي الـحـصـيـفِ ويـفـخُـرُ:

إنّ الــذيــن تــحــمّــلــوا أعــبــاءَهــا

ظـهـرٌ أشـلُّ. . ومَـنـكِـبٌ لا يـقـدر

فــهــمُ الــذيــن تــعــهّــدوا أثــقــالَــهــا

فـي يـوم ألـقـىٰ ثـوبَـه الـمـتـنـكّـرُ

لــكــنّــه الــدربُ الــعــســيــرُ، ودونَــه

دربٌ ـ يُـظـلّـلُ بـالـعـرائـشِ ـ أيـسَـرُ

ولــســوف تــركــبُــهُ وشــيــكــاً أرجــلٌ

كـادت مـن الـتّـعَـبِ الـمـبـرّحِ تـعـثُـرُ

وإذا (قــســوتُ) عــلــيــهُــمُ فــلانْ لــي

قـلـبـاً عـلى (اللّـهـبِ الـمـقـدّسِ) يُـجـمِـرُ

ولأنّــهــم أعــوادُ عــطــرٍ كــامِــنٍ

لا بـدّ، كـي يـذكـو شـذاهـا، تُـسـعَـرُ

وبهذا التراجع والاعتذار سلكتُ في قصائدي الأخرى التي كنت فيها شديد القسوة في النقد لمناهج الدراسة، والشؤون الإدارية العامة لأتجنب الوقوع في خطأ التفسير فقلت في ختام إحدى هذه المراثي:

يا سادة النجف المرموقِ جانِبُهُ
وحاشدي الحَسَبِ الموفورِ مَحتِدُهُ
وحاضني العلمِ من ألفٍ، وما فتئت
تجلو الظلامَ دراريهِ وخُرّدُهُ
ويا مُغذّيهِ بـ (الفصحىٰ) وما برحتْ
للآنَ (تُعجِمُهُ) الأخرىٰ و(تُهنِدُه)

ثم قلت معتذراً ومفسّراً معنىٰ اليسر والسهولة التي أردت أن تكون بديلاً عن تعقيد هذه المناهج:

وإن يكن قد قسا شعري فمعذرةً
إذْ ربّما ضاق عمّا كنتُ أقصِدُهُ
عشتم بعصرٍ مضىٰ صحواً بأعينكم
لم يحتجزكم، على جهلٍ، مُعقّدُهُ
وجيلُنا عاش عصراً من سُهولته
أنْ يتركَ الماءَ، أو يَصفو مُبرّدُهُ
فاسقوه نورَ الهدىٰ فيما تعوّده
من الكؤوس.. وخَلّوا ما ينكّدُهُ

وفي (الديوان) قصائد كثيرة كنت أوظّفُ فيها المناسبة الدينية لهذه الدعوة التجديدية التي أتبنّاها ويتبنّاها الكثيرون من شباب هذه الجامعة.

وأحمد الله أني وجدتُ جيلاً من الشباب على هذا المستوى من الوعي بمشكلة المنهج والأسلوب فكوّنا (تياراً) دينياً يلتفّ حول (الصارية) التي كان يرفعها الفقيه المجدّد الشيخ محمد رضا المظفّر أذكر منهم باعتزاز أستاذنا المحقّق السيد محمد تقي الحكيم، وسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وفي نهاية الخمسينات ١٩٥٨ أثمر جهدُنا، فغَرَسَ هذا التيّارُ أوّلَ (نواةٍ) للتغيير هي (كلية الفقه)، والمجلة العلمية الناطقة باسمها (مجلة النجف)، وتضمّن المنهج الذي أُعدَّ لهذه الكلية كثيراً مما كنا ندعو إليه من (مفرداتٍ) كان الطالب الديني بحاجة إليها، فدخلتْ ضمن مقرّراتها، بالإضافة إلى دروس الحوزة الأساسية، موادُّ جديدة مثل: الفلسفة الحديثة، والفقه المقارن، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والأدب، والعروض، والتاريخ، واللغة الإنكليزية، ووُضِعتْ مؤلفاتٌ حديثة الأسلوب في الدروس الأساسية، كأصول الفقه، والمنطق، والعقائد، والفلسفة الإسلامية للشيخ المظفر، والأصول العامة للفقه المقارن، والقواعد الفقهية المقارنة للسيد محمد تقي الحكيم، ودروس في الفقه الاستدلالي ـ كبديل عن اللمعة ـ للشيخ محمد تقي الايرواني، وكتاب في قواعد النحو العربي للمرحوم الشيخ عبد المهدي مطر، ومحاضرات في التاريخ الإسلامي للشيخ محمد مهدي شمس الدين، كما ساهمتُ أنا بوضع كتاب (الإيقاع في الشعر العربي: من البيت إلى التفعيلة) وشاع تدريس قسم من هذه الكتب في بعض الكليات المشابهة والحوزات الأخرى.

وتخرّجتْ الوجباتُ الأولى من طلاب هذه الكلية ـ وكنتُ من بينهم ـ فالتحقوا بالدراسات العليا في الجامعات العربية وغير العربية، وحاز كثير منهم شهادات (الماجستير) و(الدكتوراه) في العربية وآدابها، أو في فروع الشريعة الإسلامية، وعاد بعضُ ذوي الدراسات العليا مدرّسين في (كليّتهم) أو في كلية أصول الدين التي

أنشئت، بعد ذلك، ببغداد، أو مدرسين في جامعة بغداد وغيرها من الجامعات العربية.

وعُيِّنتُ أنا في السنة التي تخرجت فيها ١٩٦٢ (معيداً) في كلية الفقه، ثم أكملت مرحلة الماجستير في جامعة بغداد، وعُيِّنتُ فيها (مدرساً) بكلية الآداب، بعد تقديم رسالتي عن (القياس: حقيقتُهُ وحجيّتُهُ) وسجّلتُ، وأنا مدرس في الآداب، رسالة الدكتوراه في (دار العلوم) بالقاهرة، بإشراف المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة، ولكني لم أستطع اكمالها؛ نظراً لوفاة الأستاذ المشرف من جهة، ولارتباطي بوظيفتي في كلية الآداب من جهة ثانية، فما وجدت محيصاً عن الرجوع إلى جامعة بغداد، وتسجيل رسالة الدكتوراه فيها بقسم اللغة العربية عن (البحث النحوي عند الأصوليين) بإشراف الدكتور مهدي المخزومي رحمه الله، وكنت وأنا مشغول بتحضير هذه الرسالة، أدرِّس أصول الفقه بقسم الدين من كلية الآداب، والمنطق في كلية أصول الدين، وأحاضر في كلية الفقه، ولكني بعد حصولي على الدكتوراه بدرجة (ممتاز) نَسَّبتُ نفسي للتدريس في كلية الفقه مرةً أخرى، لما تربطني بها من علاقات التلمذة، ولأني كنت أحد المساهمين في فكرة إنشائها، والحريصين على نجاحها.

وقد تطوَّر مشروع كلية الفقه ـ بعد ذلك ـ فأنشأت قسماً عالياً لمنح شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، ومَنَحتْ بعضَ طلابها هذه الشهادة، وكادت أن تُنشِيءَ قسماً للدكتوراه، لولا أنّ ظلام الدكتاتورية في العراق امتدّ إلى هذا الجهد الطويل الذي بذلناه في سبيل إنشائها، فأطفأ شُعلتَه في لحظة حقدٍ من لحظات ليله الطويل.

وكانت ثمار التغيير الأخرى ـ بعد إنشاء كليتي الفقه في النجف وأصول الدين في بغداد ـ أن تغيّرت بعضُ أساليب الدراسة في الحوزة نفسها ـ وإنْ بقيت على نظام الحلقات في المساجد ـ فقد أُدخِلتْ (الامتحاناتُ) الفصليّة وبعضُ الدروس الإضافية فيها، كما شُدِّد في (نظام القبول) في الحلقات الجديدة والدورات الدراسية التي تبناها (كادرُ) المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم في جامع الهندي أولاً، وفي (مدرسة الحكمة) التي أنشئت بعد ذلك لإعداد الطلبة المستجدين ثانياً، وقد نَسَفَ النظامُ الحاقد هذه المدرسة من أساسها ـ بما فيها من مكتبة عامرة ـ بعد انتفاضة الشعب في آذار ١٩٩١.

كما أنشأ السيد محسن الحكيم مكتبةً عامة ملحقة بـ (جامع الهندي) الذي كان مركز الدراسات (الحوزوية) وزوّدها بكثير من المصادر الأساسية والمصادر العامة ممّا تحتاجه الدراسات الدينية، وأَمَرَ بتصوير المخطوطات العربية لهذه المكتبة في مختلف الأقطار كدار الكتب المصرية، ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، والمكتبة الظاهرية في دمشق، والمكتبة الرضوية، ومكتبة المجلس في إيران، وأمثال ذلك من مَظانّ المخطوطات العربية، ثم توسع مشروع المكتبة هذا، فأتبعه بإنشاء المكتبات المصغّرة عنها في أكثر جوامع المدن العراقية.

وأنا الآن ـ إذْ أستعرض هذه الفترة من جهاد التطوير والبناء ـ اعتبر نفسي قرير العين لأني كنت ـ بما أثرته في شعري من دعوات التجديد ـ واحداً من هؤلاء المساهمين في تطوير بعض ما تتطلبه الدراسة الدينية في الجامعة النجفية، وإذا كان قد أدّىٰ بُناةُ (كلية الفقه) أدوارهم وكان أنْ ساهم في تجديد أساليب الدراسة فيها جيلُ السيد محمد تقي الحكيم، والشيخ محمد مهدي شمس

الدين، والشيخ محمد تقي الايرواني والدكتور عبد الهادي الفضلي، والدكتور محمود المظفر، والدكتور محمود البستاني، والشيخ مهدي الآصفي، والأستاذ صالح الظالمي، والأستاذ عدنان البكّاء ومصطفى جمال الدين وغيرهم ممن التفّ حول راية الشيخ المظفّر، وبذلوا جهدهم في دعم مشروع كلية الفقه فإني أرى أنّ على الأجيال الصاعدة من خريجي هذه الكلية (النواة) أن يبذلوا جهدهم في جمع فُتاتها، ولَمّ أطراف الجذور التي بدّدتها الدكتاتورية الطاغية في العراق، فيغرسوها في كل حقل تنمّ تربتُهُ عن صلاحيتها لاحتضان هذه النواة، وتكثير غراسها المثمرة.

وأنا لا أشك أن أسماع أجيالنا الصاعدة لا يزال يرنّ فيها تهدّجُ صوت شاعر هذا (الديوان) وهو يلملم دموعَه في تأبين مؤسّس هذه الكلية:

ويا لذاتِ طريقٍ كِدتُ أحسبها
إذْ صوّح النبعُ أقسى ما سنفقدُهُ
هبّتْ على الوارف المخضلِ عاصفةٌ
هوجاءُ، طال بغاشِيها تأوُّده
وكاد لولا جذورٌ منه خَيِّرةٌ،
ألاّ يقرّ بعصف الريح أيّدُهُ
(كليةُ الفقهِ) أنتم غرسُها، وبكم
يمتدّ ظلٌّ على الأجيال تَعقِدُهُ
ميراثُكم وقصارى ما يؤمّلهُ
مُورّثٌ أنْ تزكّوا ما بَنَت يَدُهُ

مُـدّوا بـأعـمـاركـم عُـمـراً يـحـرّقُـهُ
لـكـم، فـيُسـرجُ هـذا الـلـيـلَ مُـجـهَـدُه
وجـدّدوا مـا تـنـاهـىٰ مـن كـهـولـتـه
فـأنـتـمُ عُـمـرُهُ الـثـانـي ومـولـده

أسرة الأدب اليقظ

١ ـ نشأتها:

كنت تحدثت في فقرة سابقة عن (الشِلَل) والمجموعات التي تضمّ طلاّب العلوم الدينية في مدارسهم التي هي في الواقع (أقسام داخلية) لجامعة النجف، وقلت: أن هذه الشِلَل تتمحور حول أبرز أعضائها وأكثرهم ثقافةً وتأثيراً في مجموعته، وكنت أنا واحداً ممن انضمّ إلى حلقة (الشيخ زين الدين) وكانت في أول أمرها في (مدرسة الخليلي) ثم انتقلت إلى (مدرسة الآخوند الوسطى)، وفي هذه المدرسة انضمّ إليها قطب آخر هو الشيخ سلمان الخاقاني بما له من ثقافة واسعة، واطلاع على كل جديد يصدر في المكتبة العربية وصحفها ومجلاتها، وكان نشاطُنا الأدبي يثيره فيها كلٌّ من الشيخ زين الدين والشيخ الخاقاني بأسئلة شعرية يُطلَبُ الإجابة عنها شعراً، أو اقتناص موضوع طريف يتسابق فيه الجميع ثم يُحكّم أحد شعراء النجف البارزين يومئذٍ كاليعقوبي، أو الجعفري، للحكم بأجود قصيدة لهؤلاء المتسابقين وهكذا، حتى جمع الشيخ سلمان الخاقاني مجموعة طريفة من مساهماتنا في تلك الفترة لا أعرف أين هي الآن؟

ولكن هذه الحلقة التي أصبح محوراها الأساسيان: زين الدين والخاقاني، توسّعت كثيراً ففقدت خصوصيّتها، وكنتُ قد التقيت فيها بشبابٍ كانت لهم نفس الاهتمامات والتطلّع الأدبي، أذكر منهم

السيد محمد بحر العلوم، والشيخ صالح الظالمي، والشيخ ضياء الدين الخاقاني، وتمكّنت الصلةُ بيننا إلى حدٍ بعيد: فَهُمْ يَقربُ من التّوحّد، وصداقةٌ أقوى من الأخوّة، وحبٌ لا يزال في جدّته حتى اليوم، استشرفه (أبو المهدي) يوماً فكان لاستشرافه طَعمُ الوحي:

أأخـــيُّ يـــا مَـــن فـــي أخـــوّتِـــهِ
بـــاقٍ لـــديَّ كـــأمـــسِـــهِ غـــدُهُ

وكان لا بدّ لنا ـ وقد توسّعت الحلقة ـ أنْ نَمَيِّز أنفسَنا عنها، وانضمّ إلينا من خارجها السيد حسين بحر العلوم من النجف، والسيد محمد حسين فضل الله من لبنان، والشيخ محمد الهجري (العلي) من الإحساء، والشيخ جميل حيدر من سوق الشيوخ، واليوم وقد تفرّقت بنا سبلُ الحياة، واتجاهات الواقع الذي نعيش، لم يلتقِ اثنان منا في بلد واحد، بل لم يلتقيا على رأيٍ واحد.

٢ ـ قرآاتها المتنوعة:

وما أدري إذا كان غرورُ الشبابِ، أم الاعتداد بثقافتنا التي أخذت تتّسع في جدّتها هو الذي دفع جميل حيدر أن يطلق على هذه الشلة الجديدة اسم (أسرة الأدب اليقظ).

على أي حال كنا نمتاز عن الأجيال الأدبية التي عاصرناها في النجف، أننا كنّا كثيري القراءة والمتابعة لكل ما هو جديد، فإذا كان زادُ الناشئة التي نتعايش معها دواوينَ السيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد حيدر الحلي، والشبيبي، واليعقوبي من الجديد، ودواوينَ المتنبي، والبحتري، والشريف الرضي، ومهيار الديلمي من القديم، فقد أضفنا إلى ذلك كل ما تيسر لنا من دواوين الشعراء العرب المحدثين، بما فيها موجة الشعر الحديث، بل إن بعضنا أخذ يكتب تجاربه بطريقة (التفعيلة) التي لا يعتبرها أكثر نقّاد النجف شعراً. وإذا كان النقد المسيطر على هذه الأجيال التي عاصرناها هو نقد

الجاحظ، وقدامة بن جعفر، وضياء الدين بن الأثير، فقد أضفنا إلى ذلك نقد أحمد الشايب، وسيد قطب، ومارون عبود، وميخائيل نعيمة، ورئيف خوري، وكثيراً من الدراسات الأدبية المترجمة في موسيقى الشعر، وأصوات اللغة، عن الفرنسي (جويار) والأمريكي (سابير) والروسي (كوندراتوف)، والإنجليزي (إليوت).

كانت اعمارنا متقاربة، وإن كنت أعتقد أني أكبرهم سناً، ولكننا كنا نتقارب في شيء آخر لعله الأهم هو (ضِيقُ ما في اليد)، فقد كان مرتّبي الذي يصلني من أهلي في القرية، لا يتجاوز (الدينارين) هو للطعام، وهو للكسوة، وهو للكتاب، وهو للتدخين، ولم يكن الأخرون أسعد حالاً مني.

وحين انفصلتْ (أسرتُنا) عن (الحلقة الكبيرة) افتقدنا ـ فيما افتقدناه ـ مكتبة الخاقاني، واستمدادنا منها كل جديد، وكان لا بدّ لنا أن نقرأ، فكنا نستعير بعض الكتب منها أو من مكتبة الرابطة، ونجمع فيما بيننا بعضَ الدراهم لنشتري به الجديد من أعداد (الرسالة) أو (الثقافة) أو (عالم الغد) وأخيراً (الأديب) و(الآداب) أو أي كتابٍ أو قصة، ونقرأ ذلك بـ (الدور) أو نتدارسه (جماعيّاً)، وكم احتلنا على بعض أساتذتنا الذين هم أيسرُ حالاً منا، للاشتراك معنا في هذا الاكتاب، على أن يكون (الدور) الأول له.

كنتُ محورَ هذه الأسرة الأدبية، وكانت في بيتي الصغير في (الجديدة) غرفةٌ منعزلة عن غرف البيت الداخلية تسمىٰ في عرف النجفيين بـ (البراني) هي ندوة أعضائها، يجتمعون فيها كلما حدث جديد، وربما انتقلت الندوة إلى غرفة جميل حيدر في (المدرسة المهدية) وكانت في النجف جمعيات أدبية ضمّت أكثر المتطلعين للأدب هي: جمعية الرابطة، ومنتدى النشر، والتحرير الثقافي، ولكن أسرتنا ـ في ذلك الوقت ـ تجنبت الإنتماء إلى واحدة منها،

وإن كنا نشارك في أكثر نشاطاتها، ربما لأننا نريد أن نحتفظ بامتيازنا عن بقية الأجيال الأدبية.

٣ ـ رسائلها المتبادلة:

وحدث لي في سنة ١٩٥٣ حادث كان له أثره في اجتماعات الأسرة الأدبية وندوتها، فقد توفي جدي (عناية الله) واختارني ـ مع وجود أبي وأخويه ـ (وصيّاً) له، وخصّني بثلث الضيعة التي نملكها (قرية المؤمنين) وأسند لي إدارة شؤونها وزعامةَ عشيرتها، فقد كانت إحدى عشائر (آل حِسَن) في سوق الشيوخ.

كان عمري يومئذ ستاً وعشرين سنة، متزوج وعندي ثلاثة أطفال.

وتحت وطأة هذا العبء الجديد اضطررت لترك النجف أكثر من خمس سنوات، لا أزورها إلاّ لماماً، ولكن صلتي بالأسرة الأدبية لم تنقطع، وإنّما اتّخذتْ مجالاً آخر، فأنا بحكم شاعريتي، وحبي المفرط للأدب، صرت مِحوَر جماعة أخرى من أدباء سوق الشيوخ، وعقدتُ صلةً بينها وبين جماعة النجف، وبدأنا ندعوهم لاحتفالات نقيمها في سوق الشيوخ كالاحتفال الذي أقيم في قرية المؤمنين في أربعين جدي، وكالاحتفال الأربعيني الذي أقيم في سوق الشيوخ لتأبين المرحوم الشيخ جعفر حيدر، ثم أقمنا احتفالاً موسّعاً في المولد النبوي الشريف، شارك فيه أكثر أعضاء أسرة الأدب اليقظ، مع غيرهم من شعراء الرابطة الأدبية، وفي هذا الاحتفال أنشدتهم قصيدة مطلعها:

رَدّدي يا حناجرَ البيد لحني

فالكرىٰ فَرَّ من جفون المغنّي

ولم أملك نفسي في ختام هذه القصيدة عن بثّهم شكواي المرّة

من غربتي في وطني التي اضطررت إليها فقلت لهم:

أنــا مــا زلــتُ فــي مــجــاهــلِ ريــفٍ
مُــوحِــشِ الــظــلّ فــي غَــيَــابَــةِ ســجــنِ

بــيــن (شــيــخٍ) يَــئِــنُّ مــن غــيــر جــرحٍ
و(فــتــىً) كــل هَــمِّــهِ أنْ يــغــنّــي

وأخذت الصلة بيني وبين الأسرة منحىً آخر، فكنّا نتبادل الرسائل بين أسبوع وأسبوع، ولكن بشكلٍ يختلف عن الرسائل الاعتيادية، فيها الشعر، ونقد الشعر، والقصة، والمسرحية، وفيها رسوم (كاريكاتير) كنا نستوحيها من مضامين ما نكتب، ونعهد بتنفيذها إلى الأستاذ كاظم التميمي ـ أحد الأدباء الذين انضموا لجماعتنا في سوق الشيوخ ـ وكان مجيداً للرسم.

وتوسّعت هذه الرسائل توسعاً ملفتاً للنظر، بحيث أصبحت الرسالة تشبه المجلة في تنوّع مواضيعها، وكانت تصل إلى خمسين صفحة، كنا نطلق على رسالة سوق الشيوخ: (الجبهة الشرقية) وعلى رسالة النجف: (الجبهة الغربية)، وكانت الظروف السياسية يومئذ غير مريحة، فالوزارة يرأسها عسكري، والأحكام عرفية، وكنا نخشىٰ من إرسالها بالبريد، لذلك تطوع أحد أصدقائنا ـ بعد أن تعهدنا بنفقات سفرهِ ـ أن يكون (البريد) بين الجبهتين.

كانت القصائد التي تضمنتها هذه الرسائل (إخوانية) تميل إلى الدعابة والظرف في أكثر الأحيان، وبعضها يتضمن نقداً اجتماعياً لبعض ما نراه من عيوب مدينتنا الخالدة، لذلك فضّلتُ وفضّل الكثير من إخواننا إهمالَ ما كتبناه منها، ومن جانبي لم أدخله في هذه المجموعة، أما الشعر الذي خلا من الدعابة الجارحة، أو النقد القاسي فلم أجد بأساً من نشره كما نشر بعض أعضاء هذه الأسرة مشاركاته في هذه الرسائل في واحد من دواوينه.

المهم أنّ هذه الفترة من حياتي، والمنحى (الرسائلي) الذي اتجهت إليه أسرتنا الأدبية كانت إحدى العلامات البارزة في مسيرتي الثقافية، ولا يزال أسفي عظيماً لأني فرّطتُ في مجموعات هذه الرسائل، فقد أعرتها لصديقٍ ادّعى، بعد ذلك، أنه أرجعها إليّ - وقد يكون صادقاً - ولكني لم أجدها بين محتوياتي.

الشعر الإخواني

قلت: إن النجف مدينة جامعية للعلوم الإسلامية، وهي كما تزخر بالفقه وأصوله، تزخر بالشعر والأدب، ولكن هناك نوعاً من الشعر النجفي، يَنْدر أن تجدَ مثيله في مراكز الدراسات العلمية هو ما يسمونه (بالإخوانيات) أو الشعر الإخواني، كما أشرت إليه في الفقرة السابقة، وهذا النوع من الشعر، وإن حالت دون نشره بعض الموانع المجتمعية، إلاّ أنه يبقى أصدقَ ما صدر عن شاعره، لأنه خالٍ من (التكلّف) الذي تفرضه علينا بعض قيود مجتمعنا الديني، ولعله من هذه الخاصّةِ يكون قريباً كل القرب من نفس المتلقي.

وفي أدبنا العربي القديم نماذج كثيرة ممّا تجده في مثل (يتيمة الدهر) من شعر الحسين بن الحجّاج، وابن سُكّرة الهاشمي، وفي دواوين دعبل الخزاعي، والحمّاني، وبشّار، وأبي نواس، وغيرهم، ولكنه يختلف عن الشعر الإخواني الذي أتحدث عنه، فذلك باب معروف من أبواب الشعر العربي، قد يسمّىٰ بعضه (هجاءً) وبعضه (مجوناً)، وقد تطلق عليه بعض دواوين معاصرينا اسم (الأدب المكشوف)، وربما وجد نظيره في الشعر النجفي، ولكن (الإخوانيات) التي أتحدث عنها، أبعد ما تكون عن الهجاء أو المجون، ربما كان لصرامة التحفّظ في المجتمع الديني، ما يبعد هذه الإخوانيات عن جرح الهجاء، وخدش المجون، وهي ـ فيما

أرى - إلى الظَرْف أقربُ منها إلى الهجاء والمَجانة.

ولَديَّ ولدى كثير من أدباء النجف نماذج كثيرة من هذا الشعر، وقد أشرت إلى بعض المجموعات المخطوطة التي احتفظت بنماذج منه، ولكني استبعدت نشره في (الديوان)؛ لأني لا أزال مشدوداً إلى تحفّظ المجتمع النجفي، فتركته للتاريخ الأدبي، ولتلك المجموعات المخطوطة.

وكنموذج لهذا الشعر الإخواني الذي أحبه أشير هنا إلى مثالٍ واحد منه ليتجلّى ما أدّعيه من الفرق بينه وبين الهجاء والمجون، وليظهر صدق الشاعر في تناول موضوع، لا تكلّف فيه.

كان لي وللأستاذ الشاعر عبد الغني الخليلي صديق مشترك هو شاعر، وأديب، ومدرّس للأدب العربي، فَرَضتْ عليه بعضُ ظروفه الإيفاد مدرّساً في السعودية، وهناك أدركته (الرحمة) فعقد العزم على حج بيت الله الحرام!! كنا نسميه لنضارته - رغم تقدّمه في السن - بـ (الشباب) فكتبنا إليه قصيدةً مشتركة تهنئة بهذا (الحج) غير المرتقب، جاء فيها:

أبا عليٍّ كيف حالُ (الشبابْ)
ألم يزل غَضّاً جديدَ الإهابْ؟
أم لَوَّحتْه الشمسُ في مكّةٍ
وهَدّه (السعيُ) بتلك القِباب؟
راح خفيفَ الطبعِ من (ذنبه)
فعاد بـ (التقوىٰ) ثقيلَ الجَناب!
أبا علي قَسَماً خالصاً
بالشِعر.. بالذكرى.. بكأسِ الشراب

لـو طُـفـتَ فـي مـكّـة (ألـفـاً) وقـد
عَـفَّـرتَ خـدّيـك بـذاك الـتـراب
وعُـدتَ مـن (يـثـربَ) مُـحـدودِبـاً
مـن ثِـقـلِ مـا حُـمّـلـتَـهُ مـن ثـواب
ثـم رأيـتَ (الآسَ) مـن رِقّـةٍ
(يَحمرُّ) (يسودُّ) بأيدي الصِحاب
لـبِـعـتَ مـن زُهـدِكَ (أمّ الـقـرىٰ)
(بـطـرقـةٍ) مـنـه و(أمّ الـكـتـاب)

⊛ ⊛ ⊛

وجاء فيها:

أبـا عـلـي لـم يـزلْ بـيـنـنـا
ذِكـرُكَ كـالـعِـطـر، كـزهـر الـرّوابْ
تـركـتَ بـغـدادَ وعـمـرانَـهـا
يـطـوي بـك الـجـوّ جـنـاحـا عُـقـاب
أغَـرّكَ الـرونـقُ مـن (حـائـلٍ)
فـتِـهْـتَ فـي (جـدّةٍ) هـذا الـخـرابْ؟
أم بَـخِـلَـتْ (دِجـلـةُ) فـي عَـذبـهـا
فـرُحـتَ فـي (زمـزمَ) تُـسـقىٰ الـعـذاب؟
مَـنْ ضـاق فـي (الـكـرخ) بـصـيـد الـمَـهـا
أشـقـاه فـي (عَـزعـزَ) صـيـدُ الـذئـابْ
ومَـن أشـاحَ الـنـهـرُ عـن رِيّـهِ
هـيـهـات تـرويـه بـحـورُ الـسـراب

ثم تتحوّل القصيدة، بعد ذلك، إلى (الجِدّ) فتتذكر محنة صاحبنا أبي علي وأمثاله ممن ترك بغداد لظروف سياسية، في حين تفتح بغداد صدرها لأفواج الإنتهازيين الذين يسبّحون بحمد سلطانها:

أبا علي، وكثيرٌ على
مِثلِكَ أن يهجرَ ربعَ الشبابْ
أنْ يُسلِمَ الزرعَ إلى حاطِبٍ
ويتركَ الضرعَ لسوء احتلاب
بغدادُ بغدادُك لا للأُلى
(مَرّوا على (الدهنا) خِفافَ العِياب)
ثمَّ أفاقَ (الكُوخُ) من حولهم
يَسألُ عن سكّان هذي (الهضاب)!!

بغدادُ أبناؤكِ في (غُربةٍ)
وأنتِ للعافين دارُ (اغتراب)
أأفلحتْ قبلَكِ أمْ زَعَتْ
بيضَ العِدا.. وبيضُها في اليباب!!
يا بَيضُ (فَقِّسْ) وانتشر كالدَّبا
وادخلْ بيوتَ الناسِ من أيِّ باب
فسوف يسأتيكَ زمانٌ ترى
أنَّ الذي يحميكَ (قِشرٌ) وذاب

وشاعت هذه القصيدة بين أصدقاء الطرفين فعارضها جماعة

من الشعراء النجفيين أذكر منهم المرحومين: عبد الكريم الدجيلي، وحسين الصافي، كما عارضها الأستاذ محمد الهجري، وقد بعثها من السعودية، وفيها الكثير من الجدّ، لأنه ترك النجف لظروف مشابهة لظروف صاحبنا أبي علي، من هذا الجد قوله:

قــلْ لــلــذَيْــنِ ارتــشــفــتْ مــنــهــمــا
أوابــدُ الــشــعــرِ الــرحــيــقَ الــمــذابْ
مــهــلاً فــمــا أغــوتْ صــقــورَ الــفــلا
أوكــارُهــا عــن اصــطــيــاد الــعــراب
ولا هـــوتْ كـــواكـــبٌ غـــضَـــةٌ
تــفــرش بــالإغــراء دربَ الــشــراب
لــكــنّــهــا إغــفــاءةٌ مــثــلــمــا
تــشــهّــتِ الــسـيــوفُ طــعــمَ الــقِــراب
ســتُــتــعِــبُ الــخــيــولُ مــيــدانَــهــا
ويُــلــهِــبُ الــزورقُ ظــهــرَ الــعــبــاب
وتــغــرب الــشــمــسُ بــلا عــودة
فــلــيــلُــنــا طــال عــلــيــه الــغــيــاب

وما أعذبَ قولَه فيها:

يــا مَــن تــغــنّــي حــولــهــم دجــلــةٌ
أغــصــانُــنــا غَــنّــتْ عــلــيــهــا الــكــلابْ
واســتــعــجــمــتْ عــيــونُــنــا فــهــي لا
تُــبــصِــرُ إلاّ جَــمَــلاً أو ســراب
ألــم تــزل هــنــاك فــي أرضِــكــم
(شُــمَــيْــسةٌ) ولــو لــنــشــر الــثــيــاب؟!

و(ذاك) لا أذكــــره.. مــــا اســــمُـــــهُ؟

يُضيءُ في الليلِ زوايا العِتاب؟

فشمسُنا قد نَسِيَتْ لونَها

وبدرُنا يحثو علينا تراب!!

حركة الشعر الحر

١ ـ مواقف من الشعر الحر:

قلت: إن الأسرة الأدبية التي عشناها في النجف، كانت أقربَ إلى التطور من الأجيال التي عاصرناها، وعلّلتُ ذلك بأنها كانت أكثرَ متابعةً لما يجدّ في الساحة العربية من تطلعات أدبية، لذلك لم يكن موقفُها من (الشعر الحر) في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات، موقفَ غيرها من نقّاد الشعر ومتذوقيه، بل إن بعض جماعتنا أخذ يكتب بعض تجاربه بطريقة الشعر الحر، كالسيد بحر العلوم والسيد فضل الله، ولا يزال الأخ الهجري (محمد العلي) يكتب فيه حتى اليوم، بل لعله ترك عمود الشعر إلى هذه (الموجة الحديثة) التي أغربتْ كثيراً في علاقاتها اللغوية.

وأذكر أني قرأت مرةً أن الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ـ وكان يرأس لجنة الشعر في المجلس الأعلى للآداب والفنون ـ كتب على ملفّات دواوين هؤلاء الشعراء التي قدّمت للجنة الشعر عبارتَه الجارحة: «إلى لجنة النثر للاختصاص!» ولاقى هذا الرأي العقّادي هوىً في نفوس الكثيرين من منكري (شعريّة) الشعر الحر، في النجف وبغداد، حتى نُسِب للدكتور عبد الرزاق محي الدين أنه كان يسعى لتأسيس معهد لتعليم الشعر العربي، وتصفيته من نزعات النثرية!!

وأذكر أني كنت في زيارة للمرحوم بدر شاكر السيّاب في الأعظمية، فأطلعته على (مسوّدات) محاضرة كنت أعددتها لموسم المجمع الثقافي لمنتدى النشر في النجف عن (الشعر الحر: تاريخه وتطوّره) وكان السيّاب يزعم ـ كما في مقدمة ديوانه أساطير، وقد صدر في النجف ـ أنّ أوّل قصيدة كتبت على طريقة الشعر الحر هي قصيدته: (هل كان حبّاً) التي نشرت في ديوان (أزهار ذابلة) سنة ١٩٤٧، وأشار إليها المرحوم روفائيل بطي في مقدمة الديوان، وأنّ نازك الملائكة وبقية روّاد الحركة تبعوه في موسيقاها.

وفي الجانب الثاني كَتَبتْ السيدة نازك الملائكة، في مجلة الأديب اللبنانية بحثاً عن (حركة الشعر الحر) ـ وأعادت ذلك في (قضايا الشعر المعاصر) ـ زعمت فيه: أن أوّل قصيدة منه كانت قصيدتها (الكوليرا)، وأنها استوحت تفعيلتها (الخَبَبِيّة) من وقع أرجل الخيل، وهي تجر عَرَبات الموتىٰ، من ضحايا الوباء في ريف مصر وقد ساقتها ضرورة التعبير إلى (اكتشاف) الشعر الحر، وأن القصيدة نشرت في مجلة (العروبة) للحوماني، في أوائل كانون الأول سنة ١٩٤٧، وفي النصف الثاني من الشهر نفسه ـ كما تقول ـ صدر ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة)، وفيه قصيدته (هل كان حباً).

معنى ذلك أن كلاً منهما يدعي الأسبقية، وزادت نازك إدعاءها باكتشاف الشعر الحر!!

وكانت محاضرتي تقوم على محورين: الدفاع عن شعرية الشعر الحر.. وتحقيق المسألة التاريخية لبداياته. ورأيت في المحور الأول أن (الوحدة الموسيقية) في الشعر العربي، كما تنشأ من تكرار شطرٍ متساوٍ في كمّيته الزمنية، ومرتّب في (مقاطعه الصوتية)، تنشأ أيضاً من تكرار تفعيلة واحدة لها كمّيتها الزمنية وترتيب مقاطعها الصوتية، وكل ما بينهما من فرق هو (طول) الوحدة الموسيقية في الشطر، و(قِصرُها) في التفعيلة.

وفي المحور الثاني رأيت أن قصيدة (الكوليرا) موشّحة وليست شعراً حراً، وقصيدة (هل كان حباً) هي الشعر الحر، ولكنّ كلاً من السياب والملائكة كانا مسبوقينِ بمحاولات جماعة (أپولو) في العشرينات والثلاثينات، وبترجمة علي أحمد باكثير لـ (روميو وجولييت) على طريقة الشعر الحر في سنة ١٩٣٦، وذكرت لهم نماذج منها، ومما نشره خليل شيبوب في مجلة (أپولو) سنة ١٩٣٢ وسمّاه بالشعر الحر أيضاً.

ثم رأيت أن (شعر التفعيلة) المتكررة، موجود منذ القرن الحادي عشر في الوسط العراقي بما كان يسمّىٰ: (البند) فموسيقى البند تقوم على أساس (تكرار وترتيب) المقاطع الصوتية في تفعيلتي الرمل (فاعلاتن) والهَزَج (مفاعيلن).

ثم صدر لنازك الملائكة كتابُها (قضايا الشعر المعاصر) وأعادت فيه نفسَ الإدّعاء، كما وضعتْ ـ في زعمها ـ قواعدَ عروضيّة للشعر الحر، واعتبرت زملاءها خارجين على هذه القواعد!! فكتبتُ بحوثاً في مناقشة رأيها، وتلمّستُ القواعدَ العروضية التي قدّرتُ أنها أقرب إلى السلامة، في موسيقى الشعر الحر والبند، وأودعت هذه البحوث جميعاً كتابي عن (الإيقاع في الشعر العربي: من البيت إلى التفعيلة) يحسن لمتتبعي هذا الفن الرجوع إليه للوقوف على دفاعي عما أثاره الآخرون من نثرية الشعر الحر، وعن بُنوّته للبند.

٢ ـ في تقييم الشعر الحر:

المهم أن موقفي من موسيقية الشعر الحر كان يختلف عن مواقف بعض أنصاره في أسرتنا الأدبية، وعن كثير من مواقف خصومه في الأجيال الأخرى، ويتلخص ذلك في النقاط الآتية:

١ ـ إنه شعر عربي من ناحية عروضية، قائم على

(الأساس الكمّي) الذي يقوم عليه الشعر العربي، ولا يختلف شعر التفعيلة عن العمود الشعري إلّا في (حرّية) طول الشطر، فقد يكون الشطر تفعيلةً واحدة، أو اثنتين، أو ثلاثاً، أو أكثر، بينما يلتزم العمود الشعري بعدد محدّد من التفعيلات، وهو في هذا يقوم على نفس الأساس الموسيقي الذي يقوم عليه البند من الحرّية في عدد التفعيلات.

٢ ـ أنه من الناحية الموسيقية يصلح للملحمة أو للمسرحية الشعرية، كما فعل عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيتي (ثأر الله: الحسين ثائراً.. والحسين شهيداً) وكما فعل صلاح عبد الصبور في (مأساة الحلاّج) ولعل اختيار علي باكثير لترجمة مسرحية شكسبير بهذا الشعر كان اختياراً موفقاً، وفي رأيي أنّ الشعر الحر أكثر صلاحية للحوار في المسرح الشعري من عمود الشعر، الذي استعمله شوقي وتابعه عزيز أباظة في مسرحياتهما.

أمّا أن يكون الشعر الحر (بديلاً) عن شعرنا العربي في غير ذلك ـ كما هو حاصل الآن عند أجيالنا الصاعدة ـ فهذا ما لا أتفق فيه مع أنصاره، فموسيقى الشعر العربي متنوعة بحسب تنوع أبحرها الستة عشر ومجزوءاتها التي تزيد على ستين نوعاً، وقد اختُصِرتْ هذه الأنواعُ الستون في شعر التفعيلة إلى سبعة أنواع، لأنه ما دامت الوحدة الموسيقية فيه قائمة على تكرار التفعيلة لا الشطر فإنه ينحصر في سبعة أنواع هي: تكرار متفاعلن، أو مفاعلتن، أو مستفعلن، أو مفاعيلن، أو فاعلاتن، أو فعولن، أو فاعلن ـ وهذه هي (وحدات الموسيقى العربية) ـ أما (مفعولاتُ) فهي تفعيلة مصطنعة، حتى في عمود الشعر، خلقتها دوائر الخليل، ليس لها وجود في الشعر

العربي، ولم أرَ شاعراً حرّاً كتب شعره على أساس تكرارها.

واقتصار الشعر العربي الحديث على هذه الأنماط الموسيقية السبعة تفريط وخسارة لموسيقانا الشعرية المتنوعة التي تزيد على الستين نمطاً.

٣ ـ إن نشوء الموسيقى الشعرية، من تكرار تفعيلة بعينها، في قصيدة طويلة أوقع نماذج هذا الشعر في رتوبٍ مملٍ، وتشابه نغمي، جعله أقرب إلى وقع أرجل الخيل، وهي تجر العربات ـ كما تصوّرتْ ذلك نازك الملائكة، وهي تكتب أول قصيدة حرّة من الخبب ـ ولعل شعراءنا القدماء حين سمّوا (المتدارك): خَبَباً، ووزنه من هذه التفعيلة المتكررة: (فعلن فعلن فعلن فعلن) لاحظوا هذا التشابه الصوتي بينه وبين وقعِ أرجل الخيل في عدوها، فالخَبَب لغة: ضربٌ من عدو الفرس.

وهذا ما يفسّر لنا تشابه الجمل الشعرية في تجارب الشباب ـ أداءً وموسيقى ـ وما يقال من أن التنوّع يحصل من (الحرية) في طول الشطر، لا أساس له من واقع هذه التجارب، ما زالت وحدتها الموسيقية قائمة على (تكرار التفعيلة) لا على الشطر، طويلاً كان أم قصيراً.

٤ ـ إن السيّاب، وبعده أدونيس، بذلا جهداً ملحوظاً للخروج من هذا الرتوب القائم على التفعيلات المتشابهة، وذلك بمزج تفعيلتين غير متشابهتين، للخروج عن رتوب التفعيلة الواحدة، كما هو واقع في عمود الشعر في بحور البسيط، والطويل، والخفيف، والمديد، والمنسرح وما شابهها من الأبحر ذات التفعيلتين.

فكتب السيّابُ خمسَ محاولاتٍ في البسيط، وواحدةً في الطويل، توجد بسيطيّاته في قصيدة (بورسعيد) من ديوان أنشودة المطر، و(افياء جيكور) من المعبد الغريق، وقطعة من (سِفر أيوب) في ديوان منزل الاقنان، و(يا غربة الروح) من ديوان شناشيل و(رسالة) من ديوان اقبال، أما تجربته في الطويل فهي في ديوان شناشيل بعنوان (ها ها هوه)، وقد استعرضتُ هذه القصائد في فصل (الشعر الحر والأبحر الممزوجة) من كتابي عن (الإيقاع) توصلتُ فيها إلى فشل هذه المحاولات السيّابية؛ لأن الجيد فيها هو تكرار أشطر البسيط ـ تاماً أو مجزوءاً ـ وفي هذا عودة إلى الشعر العمودي بشكله (المرسل)، أما الأشطر التي خرج فيها عن الوحدة الموسيقية الممزوجة للبسيط من (مستفعلن فاعلن) معاً، فإنه كان فيها مضطربَ الإيقاع، على ندرة هذا الخروج، وهو لم يأت به في كل هذه القصائد غير خمس مرات، وقد خرج في بعضها عن البسيط إلى السريع كما شرحتُ ذلك في الإيقاع ص٢٠٢ ـ ٢٠٩، لذلك لم تأخذ محاولات السياب أثرها في شعر الشباب إلا نادراً جداً.

أما أدونيس فقد كتب مطولته (هذا هو اسمي) على الخفيف، ولم يحصل له ما حصل للسياب من اضطراب الإيقاع، ولكن كان نصيبُها نصيبَ بسيطيّات السياب من عدم شيوعها في شعر مقلّديه، وأحسب أن ذلك ناشيء من صعوبة أدائها الموسيقي، لأنه احتفظ بوحدة موسيقى الخفيف المؤلفة من ثلاث تفعيلات (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) واضطر لتكرار هذه الوحدة كاملةً على طول القصيدة، من أجل أن يحتفظ بإيقاع الخفيف، ولكنه وجد نفسه أخيراً أمام أمرين غريبين:

أ ـ فأمّا أن يقف بعبارته الشعرية، حيث تقف وحدة الخفيف الثلاثية، وحينئذ يعود إلى نماذج (الشعر المرسل) ـ وهي أشطر كاملة غير مقفّاة ـ وتلك

محاولات قديمة كتب فيها الزهاوي، ومحمد فريد أبو حديد في ترجمته لـ (يوليوس قيصر) في الثلاثينات، وكتب فيها طه حسين على المديد في فصل (ذو الجناحين) من على هامش السيرة، والجواهري على الخفيف مطولاته: عالم الغد، وأفروديت وأنيتا، وغيرهم.

ب ـ وأما ألا يقف بعبارته حيث وقف شطر الخفيف، فيقع في (التدوير) المُمِلّ، وهذا ما حدث، الأمر الذي جعله يفصل بين عباراته بخطوط مائلة، لأنه فقد الوقفات الطبيعية في (عروض) الخفيف و(ضربه) واستمر في تدوير الأشطر بعضها على بعض، وهذا (التدوير) مستساغ في الأذن العربية إذا وقع بين شطرين، وهو مع ذلك يحتاج إلى قوة في الشاعرية ـ كما يقول ابن رشيق في العمدة ـ فكيف به إذا وقع بين عشرين شطراً أو أكثر، لذلك لم تجد محاولة أدونيس من يجاريها حتى من غُلاةِ مقلّديه.

٥ ـ إن الإدعاء بأن الشعر الحر ـ لما فيه من حرية طول الشطر ـ يساعد الشاعر على صياغة عبارته بمقدار فكرته، دون أن تضطره صرامةُ الشطرِ المحدّدِ الطول، إلى التنقّص أو التزيّد في فكرته، هذا الإدعاء في الحقيقة نَظَريٌ بحت، وليس عمليّاً، فما أكثر (الحشو) في الشعر الحديث، وما أقلّه في شعر المجيدين من أصحاب عمود الشعر.

على أن (الحشو) الذي يضطر إليه الشاعر أحياناً، يضيف به ـ

إذا كان شاعراً ـ إلى صورته الشعرية ظِلالاً تزيد من عمق فكرته، وتصقل من رونق صورته.

فبدوي الجبل حين تعرض للحدود المصطنعة بين العراق والشام في قوله:

يا بُناةَ الحدودِ لا تعرفُ الصحراءُ

ـ في زحمة الأعاصير ـ حَدّا

لم تكن (زحمة الأعاصير) هذه حشوةً قلقةً، في فكرته التي أراد، بل أعطت للصورة بُعداً آخر، لم يعطه لها دعاؤه وتضرّعُهُ المصطنع في قوله الآخر:

ليس بين العراق والشام حدٌّ

(هدم الله ما بنوا من حدود)

على أن لغة الشعر لا تقيم وزناً لهذه (السنتمترية) المطلوبة بين العبارة والفكرة، وإلا فليكتب الشاعر نثراً ـ لأنه أقدرُ على ذلك ـ ويُرِحْ نفسه من لغة الشعر حتى في مقياسه الحر.

٦ ـ إني أعترف أن شعر التفعيلة أكثر يسراً وسهولةً من عمود شعرنا العربي، ولكن من قال إن (الفن) يتطلب اليسر والسهولة، ليظل الشعر وحده ـ من بين سائر الفنون ـ يُكتَبُ ـ كما يُشرَب الشاي ـ على طاولة مقهى في جلسة سمرٍ ناعمة!!

الشعر مزيج خاص من اللغة، والفكر، والموسيقى. والبراعة أن تبذل جهدك في تجانس هذا المزيج الثلاثي، بحيث يستلذّه شاربوه، وكما تكون معاناتك وأنت تختار (المفردة) الغضّة من بين أطنان المفردات الجافّة، وتقتبس الفكرة الحية من بين آلاف الفِكَر الميتة، فيجب أن تكون في نفس المعاناة، وأنت تختار الموسيقى

الصعبة، التي تشذّ آذان مستمعيك حين تقدّم لهم جديدك الذي تريد له أن يكون (بديلاً) لمألوفِ موسيقيٍّ وُلِد مع الأذن العربية المرهفة، ونشأ في حضن اللغة الشاعرة.

يقول الشاعر الإنجليزي (ت إليوت) في محاضرة له عن موسيقى الشعر: «إن الشاعر الرديء هو وحده الذي يرحب بالشعر الحر كوسيلة للخلاص من الشكل».. ثم يقول: «وأنا أعتقد أن كل لغة ـ ما دامت هي نفس اللغة ـ تفرض قوانينها وحدودها، ولا تسمح إلاّ بالإجازات التي تناسب طبيعتها، وأنها تملي ما يناسبها من إيقاعات الكلام، وأنماط الصوت».

ويقول العالم اللغوي الأمريكي إدوار سابير ـ بعد أن تعرّض للنُظُم العروضية في كلٍ من اللغة اللاتينية، واليونانية، والإنجليزية، والفرنسية، والصينية ـ: «وكل نظام من هذه النظم الإيقاعية ينبع من العادة الحَرَكيّة، غير الواعية، في اللغة، صادرة من شِفاه الشعب» ثم يُعقِّب: «ادرسْ بعنايةٍ النظامَ الصوتي للغةٍ مّا، وعلى الخصوص صفاته الحركية، تعرف أيَّ نوعٍ من النُظُمِ قد أوجَدتْ، أو كان ينبغي أن تُوجِد» [انظر: الإيقاع في الشِعر العربي من البيت إلى التفعيلة ص٢١ ـ ٢٢].

وإذا كان ايقاع شعرنا العربي نابعاً من الطبيعة الصوتية للغتنا العربية ـ كما هو الشأنُ في أعاريض اللغات الأخرى ـ وكانت آذانُنا قد ألِفَتْ هذه الموسيقى طيلة عمر شعرنا العربي، فاعتقد أن الخروج على النظام العروضي المألوف ، يقع في آذان مستمعيه وقوع (اللكنة) او تكلّف الفصاحة التي نحسها في أصوات اللغة العربية ممن ينطق بها من أبناء اللغات الأخرى.

والآن ـ وقد مرّ على طغيان الشعر الحر على وسائل النشر العربية ما يقرب من خمسين عاماً ـ هل استطاعت موسيقاه الشعرية

أن تنقل جمهورها العربي من الإعجاب بموسيقى الشطرين إلى الإعجاب بموسيقى التفعيلة، كما استطاعت المدرسة الموسيقية الحديثة أن تنقل آذان المستمعين العرب من (عبده الحمولي) وسلّمه الموسيقي، إلى عبد الوهاب وسلّم مدرسته المتطورة؟!

أنا أتحدّىٰ.. والكرة الآن في ملعب إعلامنا العربي الذي سيطر عليه هَوَس الحداثة.

٧ ـ على أن جماعة هذا الشعر، بالإضافة إلى ضعف الموسيقى الشعرية في تفعيلاتهم، فإنهم أثقلوا تجاربهم هذه بمدارس غريبة على حِسّنا وفهمنا الأدبي للشعر، كـ (السرياليزم)، والعلاقات اللغوية الغريبة في تركيب الجملة الشعرية، وضعف الحس الموسيقي عند شبابنا، حتى في مقاطع التفعيلة الواحدة، ثم ما يسمّىٰ بـ (قصيدة النثر) وأمثالها من (صرعات)، وأصبح هذا الركام الهائل في غرابته على لغتنا، وضبابيته في أفهامنا، هو (الزادَ) الذي يُغذّي ناشئتنا الجديدة، لعدم وجود (زادٍ) آخر تحت تصرف إعلامنا العربي الذي سيطر عليه (عسكر) الثقافة الحديثة، والشعر ـ كما نعرف ـ عملية تقليد ومحاكاة فإذا كانت الصور التي تقلّدها (الناشئة) هو هذا الغثاء المغتر بادعاء الحداثة، فلك أن تقدّر مستقبل ثقافتنا الشعرية.

وفي الديوان قصائد عبّرتُ فيها عن ألمي مما يؤول إليه مستقبل أجيالنا الشعرية مثل: (إلى الطليعة الشاعرة) و(مربدان) و(حارس اللغة) وغيرها.

ولكن ما هي الحداثة في الشعر العربي؟

حينما أعطيتُ رأيي، كقارىء ومتذوّقٍ لموسيقى الشعر الحر، فليس معنى ذلك أني أريد أن أرسم صورةً لما ينبغي أن يكون عليه الشعر الحديث، فليس ذلك من وظيفتي ولا من قدرتي، بل ولا من وظيفة أو قدرة غيري من الشعراء المعاصرين، فليس فينا من يستطيع أن يرسم للأجيال الصاعدة مُخَطّطاً يجب أن تسلكه ليكون شعرهم حديثاً!!

ذلك لأن الحداثة أمر تتعاون عليه أسباب مختلفة، هي خارج مقدرة الفرد ـ شاعراً كان أو ناقداً ـ وهذه الأسباب تعود في طبيعتها إلى تطوّر المجتمع العربي، وتطور ثقافته، واتصاله بالثقافات المحيطة به، وإلى قدرته على الاستفادة من هذا الاتصال، ثم براعته في عملية المزج الدقيقة بين (مُستَورَدِهِ) و(موروثه)، وإلى تهيأة التربة التي يملكها وصلاحيتها لتقبّل الغراس الجديدة، وأمثال ذلك من عوامل تقتضيها طبيعة تطوّر الثقافات بتطور مجتمعاتها.

وكل ما يملكه الفرد المتذوّق، أو الجمهور المتلقّي، هو الانفعال المُعجَب بثمار هذا الغرس الجديد، أو الإباء النافر عن تلقّيه بالقبول.

وليست (الحداثة) و(التقليد) وليدة عصرنا الذي نعيش، بل هي موجودة في كل عصور أدبنا العربي، وبخاصّةٍ بعد اتصال هذا

الأدب بآداب الأمم الأخرى، بعد الفتح الإسلامي، وخروجه من عزلته في جزيرته العربية الضيّقة، إلى الآفاق الرحبة في هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف، والمتعدد الثقافات، وإلّا لبقي أدبنا وشعرنا حيث كان الأدب الجاهلي وشعره. وأكبر دليل على تطوّر شعرنا العربي، وتأثره بالآداب الأخرى هلى اختلاف عصوره، أنّنا لو وضعنا مجموعةً من قصائد هذا الشعر منتقاةٍ من أزمنة مختلفة، ولكنها غُفلٌ من أسماء شعرائها، وعرضناها على متتبّع لهذا الشعر، دون أن يكون مسبوقاً بها، لاستطاع أن ينسب كلّ قصيدة إلى عصرها الذي ولدت فيه: جاهليّاً، أو إسلامياً، أو عبّاسياً، أو أندلسياً، أو نتاجاً لفترة مظلمة، أو وليداً لنهضة حديثة، مع أنها جميعاً مكتوبة بلغة واحدة، ومسكوبة بقالب موسيقي واحد.

فالمفردات التي تتألف منها القصيدة، وموسيقاها الداخلية والخارجية، وترف الجملة الشعرية وخشونتها وتركيب القصيدة وتدرّجها، وفكرتها وأغراضها، وأساليبها البلاغية ورموزها، وثقافتها العامة جملةً، كل ذلك وغيره يشير إلى عصر الشاعر وبيئته، وانفتاحه الفكري على معرفة عصره، فالشعر ـ بشكله ومضمونه ـ نتاجُ قراءاتِ الشاعر وتطلّعاتهِ، يَهضِمُها في فترةٍ مّا لتتمثّلَ في موهبته، بعد ذلك، (تجربةً جديدة)، يؤثّر في صقلِها وإبداعها كلُّ ما غذّىٰ به قريحته من إبداعات الآخرين، وتجاربهم، وقواميسهم الشعرية المختلفة، وكل ما استطاع هو أن يهضمه من ثقافات عصره المتنوعة.

لهذا ومثله أخذ نقّادنا الأوائل على مثل أبي تمّام، غرابةَ مفردات هذا البيت على عصره العبّاسي الذي يعيش ترف المفردة الشعرية والجملة المموسقة:

يـعـيـش بـمَـوْمـاةٍ، ويـمـسـي بـغـيـرهـا

جـحيشاً، ويـعروري ظهـور المهـالِك

فلكل عصرٍ مُعجَمُه الشعريّ الخاص، وطريقةُ تناوله للمعنى، وأسلوبُه، ومجازاتُه، ورموزُه، وتخيّله، وحِسُّه الشعري العام.

ولو أنّكَ أخذتَ إحدى قصائد عمر بن أبي ربيعة ـ وأنت تعرف أنّ مضامينَه واهتماماته وانشغالَهُ العام بالمرأة لا يختلف كثيراً عن بعض أدوار شاعر (طفولة نهد) ، ثم دسستَها ـ مازحاً ـ بين قصائد هذا الديوان، لأخرجها منه حتى المشرفُ على صَفِّ حروفه!!

وكما يوصف بشّار، وأبو نواس، ومسلم بن الوليد بـ (الحداثة) في عصرهم، يوصف كذلك غيرهم بـ (التقليد)، وكما يتهم أبو تمام، من قبل نقّاد عصره، بأنه: (كسر عمود الشعر العربي) لأنه لم يسلك في تركيب قصيدته مسالِكَ جيله من (الأصول التقليدية) في بناء القصيدة، كذلك يوجد إلى جواره محافظون تقليديون لا يمكن أنْ يفرّطوا بتراث عمودهم الشعري.

وكما يوجد اليوم من يعسر عليه فهم أسلوب سعيد عقل، أو أدونيس، يوجد بالأمس من يقول لأبي تمام: (لِمَ لا تقول ما يُفهَم) ولا جواب عند أبي تمام غير ما هو عند أدونيس: (ولِمَ لا تفهم ما يقال؟).

فالحداثة إذن، والتقليد، والمعاصرة والتحفّظ سماتٌ ليست وقفاً على هذا الجيل الذي نعاصِر، وإنما هي سمات كل جيلٍ لا بد له أن يأخذ بأسباب التطور والتجديد، ولسنا نأخذ على جيل الشباب أنه يحاول (التحديث) في أسلوبه، وفكره، وبناء قصيدته، وإنما نأخذ عليه تنكّره لـ (ثوابت) لغته وأدبه، وأنه تركها وراء ظهره، وهو يحاول هذا (التحوّل) المطلوب. فبدا وكأنه يزرع (الرزّ) في صخور الجبال، أو (الزيتون) في مستنقع الأهوار!!

لقد كسر أبو تمام عمود الشعر، بعد أن تكسّرت على رأسه

كل أعمدة هذا الشعر ليختار منها (حماسته)، وسَخِر أبو نواس من كل (واقفٍ على رسمٍ درس) بعد أن أخذ بنصيحة (والِبة) فحفظ كل ما قيل في هذه الرسوم الدوارس، أمّا جيلنا الذي يحاول تحديث شعرنا العربي فإنّه لم يعرفْ من هذا الذي يحاول تحديثه، غير ما هو مطلوب في ملخّصات امتحانه بكلية الآداب، وهو ـ في نظره ـ كثير!!

لقد سار جيل (الروّاد) الذي فتح لهؤلاء المحدثين طريقَ (التفعيلة) على نفس الخطوات التي سار فيها النواسيّ وأبو تمّام، فبدر شاكر السيّاب، ونازك الملائكة، وأدونيس، ونزار قباني، والفيتوري، وخليل حاوي، وحجازي، وعبد الصبور، وأضرابهم من رادة التجديد في شعرنا العربي، لم يقيموا جديدهم على الفراغ، بل خبروا لغتّهم وأساليبها، وكتبوا فيها كل تجاربهم الأولى، ثم اجتهدوا في الجديد الذي أرادوه، واختلف الناس حولهم في تقييم ما أبدعوه.

أما مقلّدو هؤلاء الرادة من راكبي (الموجة الحديثة) التي تطغى على صحفنا اليوم، فلم يجعلوا من هؤلاء الرادة قدوتَهم في (التحديث) الذي أرادوه، فنشأوا من غير جذورٍ تعصم تجاربَهم من عَصفِ الرياح، وتعطي لغراسهم نضارةَ لغتهم الشاعرة.

الحداثة في الشعر ليس في تجديد (القالب الموسيقي) الذي تسكب فيه هذه الأجيال ما تدعي له الحداثة، فالشعر القائم على (التفعيلة) نشأ في قروننا المظلمة، وعرفناه منذ وجد (البند) في أواسط القرن الحادي عشر، واستمر أكثر من ثلاثة قرون، بل ادّعى بعضُ مَن كتب فيه: أن ابن دريد (٣٢١هـ) هو أول من كتب فيه، وإن أنكر الزهاوي ذلك بحجة أن (البند) فارسي الأصل. [انظر: البند لعبد الكريم الدجيلي ص م].

بل حتى (القصيدة المدوّرة) التي أحدثها أدونيس يوجد ما يماثلها مما يسميه أبو العلاء المعري بـ (الأغرام) [انظر: الفصول والغايات ٤٤٦] فيقول: «وكان بعض المتأخرين يزعم أن الأغرام: أن يتم وزن البيت، ولا تتم الكلمة وهذا لا يعرف في شعر العرب، وإنما يتعمده المحدثون كقول القائل:

أبـــا بـــكـــرٍ لـــقـــد جـــاءتْــــ

ـكَ مـــن يـــحـــيـــى بـــن مـــنـــصـــو

رِ الـــكـــأسُ فـــخـــذهـــا مـــنـــ

ـه صِـــرفـــاً غـــيـــرَ مـــمـــزو

جـــةٍ جـــنّـــبـــك الـــلّـــهُ

أبـــا بـــكـــرٍ مـــن الـــسّـــو»

ومثل هذا نسب ابنُ خلّكان له أبياتاً أخرى [١٤٣/٢] ولكن هذه التجارب لم تجد من يقلّدها لأنها حداثة في الشكل دون المضمون، وقد حدث تكسير (الأشكال الموسيقية) في أواخر العصر العبّاسي فيما كان يسمّىٰ بـ (القوما) والـ (كان وكان) و(الدوبيت) وأمثالها مما لم يستمر طويلاً لنفس السبب، بل حتى (الموشحات الأندلسية) عاشت فترةً زمنية طويلة، تُمِدُّ شعرَنا العربي بجديدٍ من أشكالها الموسيقية، ولكنها حين خلت من (المضمون الجديد) نَكَصَتْ، وبقي عمود الشعر هو (الصارية) المناسبة لأشرعة التجديد في شعرنا العربي.

أنا من المعجبين جداً برائد هذه الموجة (أدونيس) وبثقافته الواسعة، وقدرته على التجديد، وقد كتبتُ مرةً للموسم الثقافي لجمعية الرابطة في النجف، محاضرةً عن (ظاهرة التدوير في القصيدة المعاصرة) نشرت في مجلة الرابطة، رأيتُ فيها أن قصيدة (هذا هو اسمي) كان من الممكن أن تكون (معلّقة الشعر الحديث)

لو كانت العلاقات اللغوية بينها وبين قرّائها على مستوى ما اعتادته الأذن العربية من علائق، وإن أخذتُ عليه فيها أنّ (التدوير) ظاهرة (وظيفية) تقتضيها طول عبارة الشاعر أحياناً بما لا يكفي فيها الشطر أو البيت، ولكن أدونيس جعلها (غاية) وليست وسيلة، فليس في عباراتنا الشعرية ما يمكن أن يمتد على مساحة عشرين شطراً أو أكثر.

المهم أن (الحداثة) والتجديد لا يمكن أن تبنىٰ على فراغ، فبمقدار ما يكون التحديث مطلوباً، فإن مراعاة ثوابت الشعر العربي في اللغة، والأسلوب، والموسيقى مطلوبة أيضاً، ولا يمكن لمجدّدٍ عربي أن يتجاهل ذلك، وإلاّ فهو يكتب لعربٍ لم يوجدوا بعدُ.

وأذكر أني قلتُ مرةً عن تمزّق هذا الجيل وضَياعِهِ في (حداثةٍ) لم يأخذ لها أُهبتَها:

في كل يومٍ من (جديدِكَ) صورةٌ
شوهاء زوّقها الغرورُ وورّدا
أعطيتَها (لَقَباً) وقلتَ لناظِرٍ
متحيِّرٍ فيها: تَجاوَزَكَ المدىٰ!!
أحَسِبتَ أنّ (رَطانةً) تلهو بها
أدبٌ يُعِدّكَ أن تكون (مُجدِّدا)
وتظنّ أن (رُؤىً) غِلاظاً حولها
تحمي غرورَك أن يظلّ (مُقلِّدا)
مهلاً فلستَ ببالغٍ قِمَمَ المنىٰ
ويداكَ من شمعٍ.. وريشُكَ من مُدىٰ!!
جَدِّدْ إذا اسطعتَ الجديد بفكرةٍ
تبنيكَ رَخواً، أو تقيمُكَ مُقْعَدا

واكتب جديدك في قشيبٍ ناعمٍ
من نسجِ قومِكَ تلقَهم لك سجّدا
فالنهرُ لا يُعطي النماءَ لنخلةٍ
حَسِبتْ كرملةٍ شاطئيهِ الجلمدا

الشعر النجفي والمناسبات

أهمُّ ما يؤخذ على الشعر النجفي غَلَبةُ شعرِ المناسبة عليه، والمناسبات في النجف هي السوق الرائجة لهذا الشعر، تبدأ من ذكرى المولد النبوي، ومواليد الأئمة، ووفيّاتهم، وتسنّم أحد مراجع الدين لمنصبه، أو قدومه من حج أو سفر، أو وفاته وقيام مرجع آخر، وأمثال ذلك من المناسبات الدينية العامة، وتنتهي بتلك المناسبات المدنية، والخاصة، كوفاة شاعر، أو زعيم، وسقوط وزارة، أو قيام حزب، أو تأسيس جمعية أدبية، أو تهنئة صديق بزواجه أو مولوده، وغير ذلك.

وأنا أعترف ـ من حيث المبدأ ـ بهذا الواقع، واعترف أني شاركت بكثير من هذه المناسبات، بل ربما لم أكن أنشأ وينشأ غيري ـ كما أشرت إلى ذلك سابقاً ـ هذه النشأة الشعرية، لولا هذه المناسبات الكثيرة التي كنا نتابعها، ونتزوّد بنتاجات كبار الشعراء فيها، وكانت هي الهمّ اليومي الذي تحمله أقدامنا الغضّة، وقلوبنا المتفتحة.

ولكن ما هو عيب المناسبة؟!

أعتقد أن العيب ليس في أن تكون للشعر مناسباته، وهل يتصور أن يقال شعرٌ من دون مناسبة؟ ـ خاصةٍ أو عامة ـ وإنما العيب في (المناسبة) نفسها، وفي استغلال الشاعر لها، أو توظيفها لأهدافه.

لقد مرّ أدبُنا العربي، في تاريخه الطويل، بأدوار مظلمة، كان الشاعر فيها (يتكسّب) بشعره، وكان لكل حاكم، أو أمير، أو حاجب، أو متموّل، شعراؤه المرتزقون، لا همّ لهم إلاّ انتظار (المناسبة) السعيدة التي يقف فيها أمامه لتهنئته بسفرٍ قدم منه، أو غزوةٍ انتصر فيها، أو حجٍ أدّىٰ فريضته، أو مولودٍ رزق به، أو امرأة بنىٰ بها، أو دارٍ شيّدها، أو غير ذلك مما يحرّك به أريحيته، فيغدق عليه عطاءه، ونظرةٌ عابرة لدواوين الشعراء العرب، حتى الرؤوس منهم ـ كما يسمّيهم مارون عبود ـ كالمتنبي، وأبي تمّام، والبحتري، لا تجد أجود ما لديهم من شعر إلاّ و(المناسبة) هي المحرّك الوحيد لجودته، ولا نستطيع أن نستثني منهم أحداً إلّا نفراً زهدوا في دنياهم ـ وهم قلة ـ أمثال أبي العلاء المعري، على أن له مدائح ومراثي لمن يُجلّهم، لم يكن هدفه منها التكسب والارتزاق، كمدحه للشريفين وأبيهما.

ولم يكن هذا الواقع المؤلم وقفاً على الشعر والشعراء، بل شمل كل حياتنا الثقافية ـ علميةً وأدبية ـ فكانت المؤلفات الضخمة في مكتبتنا العربية، تكتب من أجل التقرّب لهؤلاء السلاطين، وينتفع المؤلف الذي أفنى عمره في كتابه بفُتاتٍ من عطايا هذا الوزير أو ذلك السلطان، وتجد أجود مصادرنا في (فقه اللغة) مثلاً، أطلق عليه اسم لا يمتّ لموضوعه بصلة، بل لأنّ مؤلّفه (أحمد بن فارس) اللغوي المعروف، كَتَبه للصاحب بن عبّاد وزير البويهيين، فصار الكتاب لا يعرف إلا باسم (الصاحبي)، وأجود ما نعرفه من شروح نهج البلاغة هو شرح ابن أبي الحديد الذي لا يستغني عنه أديب أو مؤرخ، كَتَبه مؤلفه في عشرين مجلداً ليتقرّب به إلى الوزير ابن العلقمي، بل إنّ أحد فقهائنا العظام لم يجد عنواناً لكتابه في الفقه وأحكام الشريعة إلاّ (العقد الطهماسبي) نسبة إلى الشاه (طُهماسِب) أحد ملوك الصفويين، وأمثال ذلك.

واستمرّت هذه الحال قائمةً ما دام المال محصوراً بيد الخليفة، أو السلطان، أو الحاشية، وما دام الشعراء والكتاب بحاجة للعيش والبقاء، حتى إذا غيّرتِ الثورةُ الفرنسية بعضَ مفاهيم هذا الواقع، وتحركت الشعوب تطالب بحقوقها المغتصبة ـ ومنها شعبنا العربي ـ تحلحلتْ الأمور بعض الشيء، فوجد الشاعرُ والمؤلفُ موردَ رزقِهِ بعيداً عن منّة الحاكم أو السلطان، فإذا رأينا شاعراً يستغل المناسبة ليمدح هؤلاء المتمولين أخذنا ذلك عليه، واعتبرناه تكسّباً مذموماً.

وقد أشرتُ إلى هذا التغير الذي طرأ على حياتنا الأدبية في قصيدة بغداد:

بغدادُ لم يَعُدِ الزمانُ كأمسِهِ
فِكراً تُباعُ، وخاطِراً يُستأجَرُ
وهَزيلَ رأيٍ أسْمَنَتْهُ، على الطَوىٰ،
قِيَمٌ بما يَضوىٰ عليه مُفكِّرُ
فَمَضَتْ (كوافيرٌ) بريشةِ شاعرٍ
كانتْ تُزوِّقُ خدَّها فتُصعِّرُ
وتَهرّأتْ لُغةُ المَفاخِرِ فانطوىٰ
(لَقَبٌ) وأوحَشَ لأبيهِ مَفْخَرُ
بالأمسِ كان بكِ الأديبُ، وثغرُهُ
أبداً يُسبِّحُ حاكماً ويُكبِّرُ
ويَعُدُّ «رؤيتَهُ التي فازوا بها
من أنعُمِ اللّهِ التي لا تُكفَرُ»!!
واليوم عادَ وليس غيرَ يَراعِهِ
سيفٌ تُراعُ به الطُغاةُ وتُذعَرُ

وبـمـا تـهـدّم مـن بـقـايـا روحِـهِ

يـبـنـي عـزائـم جـيـلِـهِ ويُـعـمِّـرُ

وإذا عدنا إلى المناسبات اليوم وجدناها ـ في الأكثر ـ تختلف تماماً عن (المناسبات) الإرتزاقية التي كان يعيشها الشعر العربي في عصوره المختلفة، وفي (الديوان) قصائد قيلتْ في مناسبات، دينية أو غير دينية، ولكنها (وَظَّفتِ) المناسبةَ للفكر الذي يحمله الشاعر، والموقف السياسي أو الاجتماعي الذي يلتزم به، تجد ذلك واضحاً في قصائد قيلت في المولد النبوي، أو في الإمام علي أو الحسين، أو في بعض مراجع الدين، وكان همُّ الشاعر فيها نقدَ الأوضاع القائمة ـ سياسيةً أو دينية ـ وفيها من الجرأة في نقد المجتمع الديني، ومناهج دراسته، وبعض مراجع الدين فيه، ما لا يمكن أن يصدر من (رجل دينٍ) لا يزال يعتز بأنه واحدٌ من هذا المجتمع.

وعلى سبيل المثال أذكر أن الإمام كاشف الغطاء، حَضَر مؤتمراً إسلامياً عقد في باكستان، يوم كانت باكستان والعراق عضوين في (حلف بغداد)، وقيل يومَها إن هذا المؤتمر (الإسلامي) كان واحداً من نشاطات ذلك (الحِلف)، فأقيمت حفلات متعدّدة في مدرسته الدينية ترحيباً بقدومه استمرت أسبوعاً، ولم يكن في نيتي أن أشارك بهذا الترحيب، وإن كنت أُجِلُّ الإمام كاشف الغطاء، وأرحّب بمقدمه الكريم، ولكن ضغوطاً كثيرة ـ بعضُها بإشارة منه رحمه الله ـ فرضت عَليَّ المشاركة، فما كان مني، في اليوم الرابع، إلاّ أن وجهت للمؤتمر كلَّ ما قيل في نقده، ولم أكتف بذلك، بل وجّهتُ نقدي للإمام نفسِهِ على مشاركته في هذا المؤتمر، وكان مما قلته في ختامها:

أبـا حـلـيـمٍ وهـذي نـفـثـةٌ طَـفَـحَـتْ

وَدِدتُ قـبـل نَـثـاهـا مـنـكَ أعـتـذِرُ

هـذا الـشـبـاب وفـي دنـيـا عـواطـفِـهِ

عقلٌ.. وفي السود من أوهامِهِ فِكَرُ

حَدِّث ـ أبا الكَلِمِ الزاهي ـ فقد ظمئتْ

قلوبُهم، واستعادت وَهَجَها الصورُ

أيامَ كان (لكم) في القدس مؤتمرٌ

رجعتَ منه وفي أبرادِكَ العِبَر

كانت مواعيدَ (عرقوبٍ) وأظرفُها

إن كذَّبَ السمعَ ـ فيما قلته ـ البصر

فهل تجدَّدَ في (كشمير) ما عَرَضت

عليك من بُؤسِها أترابُها الأُخَر

وهل وجدت لنهرو ما لسابقِهِ

بُلفور (وَعداً) عليه الصدقُ يزدهر

يا قاتَلَ اللّهُ خِذلان الصفوفِ فكَم

يجني التخاذلُ ما لم يجنِهِ القَدَر

وكم تعثَّر في لَحبِ الطريق (فتىً)

ما خانه الدربُ.. لكن خانه النظر!!

وأحدثت القصيدة ضجةً كبيرة في الأوساط الأدبية والسياسية يومئذٍ، وكان الإمام كاشف الغطاء بالإضافة إلى علمه وفقهه، شاعراً وأديباً بارعاً، ونقّاداً من أروع نقدة الشعر، فكان يقف إذا أعجبه إنشادُ الشاعر، تكريماً لشعره، ولكنه تجاهَلَ قصيدتي ـ مع أنها كانت استجابةً لإشارته ـ، وفي اليوم التالي تقدم شاعر لم يكن له ذلك المستوى الشعري، فإذا بالإمام يقف تكريماً لشعره، وزاد أنه قال: (هذا الشعر الذي يستحق القيام!!) فعرفت أن نقدي لسماحته قد أخذ من نفسه ـ رحمه الله ـ مأخذه، وتجرّعتُ استهانته بي على

مضض، وحمدت الله أنّ ردّة فعله لم تصل إلى أبعد من ذلك.

وأنا الآن أتوكأ على السابعة والستين من عمري، وقد عاصرتُ ملوك العراق، ورؤساءه، وحكّامه، والمتنفّذين فيه، فلم أمدح أحداً منهم، حتى مراجع الدين، ليس لأنه لا يوجد فيهم من يستحق المدح، بل لأني كنت أتجنب مزالق التهم، ولذلك وقفت تكريمي لمن احترم من هؤلاء الزعماء، ورجال الدين على الرثاء فقط، وستجدون في هذا (الديوان) قصائد الرثاء، ولكنكم لن تجدوا المدائح والتبريكات.

وأكثر جماعتنا في النجف يعرفون أن حياة رجال الدين قائمة على مُرتّباتٍ يخصّصها لهم المرجع الديني مما يرده من الحقوق الشرعية ـ وهذا شيء متعارَفٌ لا يجد فيه أحدٌ بأساً ـ ولكني دخلت النجف في الحادية عشر من عمري، وخرجت منها في الثالثة والخمسين، لم أتسلّم مرتّباً من أحد مراجع الدين، ليس تكبّراً، فقد كنت محتاجاً، ولكنّي ـ باعتباري شاعراً ـ أخشى أن تكون لحواشي المرجعية دالّةٌ عليّ، أضطر لأداء ثمنها في إحدى هذه (المناسبات).

وبعد فليس هذا فخراً بسلوكي ـ ففي النجف مثلي كثيرون ـ ولكني أردتُ به الدفاعَ عن (المناسبة) التي تؤخذ على الشعر النجفي، وليس فيها من عيوب المناسبة غير الاسم.

الدِّينُ وَالشِّعرُ.. وَالغَزَل

صادفت أكثرَ من واحدٍ يسألني ـ ولعلّه كان مُتنقِّصاً ـ: كيف أجمع بين كوني رجلَ دينٍ وشاعراً غَزِلاً؟! فأتعجب كيف يرد مثل هذا السؤال في أذهان البعض!! وهل خلق الله رجلَ الدين من دون قلب؟! أم هل خلق له قلباً ولكنه من حجر؟!

بل زاد بعضهم فسألني: كيف تجمع بين الدين والشعر؟! متوهّماً أن قوله تعالى: «والشعراء يتّبعهم الغاوون» تستبطن النهي عن قول الشعر، وقد نشر هذان السؤالان في حوار صحفي أجرته معي مجلة (العالم) التي تصدر في لندن، ولها اهتماماتها الدينية.

١ ـ الدين والشعر:

أليس من الغريب أن يُضطَّر شاعر مسلم للإجابة عن هذه الأسئلة، بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة من عمر الإسلام وعمر الشعر!! وبعد أن عرف المسلمون جميعاً أن نبيّهم الكريم كان يقول: (إنّ من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) وأنه كان ينقد الشعر فيقول: أشعر كلمة قالها لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وأنّه قال للنابغة الجعدي وهو يستمع لإنشاده:

ولا خــيــر فــي حــلــمٍ إذا لــم يــكــن لــه

بــوادر تــحــمــي صــفــوه إن يــكــدّرا

قال ﷺ: «أجدتَ لا يفضض اللهُ فاك»

وإنه ﷺ كان يستمع لإنشاد الخنساء، فيستزيدها قائلاً: «هيه يا خناس» [الاصابة ٨/٦٦].

وأن السيرة تذكر أنه يوم ضويق في (أُحُد) كان يرتجز:

أنــــا الــــنــــبــــي لا كــــذِبْ

أنــــا ابــــن عــــبــــد الــــمــــطــــلــــبْ

وأن الإسلام ـ هذا الدين الذي يُنسب له التناقض مع الشعر ـ استعان في أيامه الأولى بالشعر والشعراء، فقال ﷺ: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟» فلما سمع حسان بن ثابت قول النبي، قال: «أنا لها يا رسول الله»، وحين حَشَدت قريش في حربها الإعلامية مع الرسول وصحبه، شعراءَ مثل (ابن خَطَل) و(ابن حُبَابة)، و(ابن الزِّبعرىٰ) و(هبيرة بن أبي وهب) فالتف الناس حولهم، وهم ينشدون هجاءهم لرسول الله وأصحابه، حَشَد النبيُّ من جانبه حرباً إعلامية مضادّة، من شعراء الأنصار، كحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، للوقوف بوجه قريش وشعرائها وقال فيهم: «هؤلاء النَّفَر أشدُّ على قريشٍ من نَضْح النَّبل» وقال لحسان بن ثابت يأمره بهجاء قريش: «اهجهم فوالله لَهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس، والقَ أبا بكر يعلّمك تلك الهَنَات».

وفي أولئك الشعراء من قريش نزل قوله تعالى: ﴿والشعراء

يتّبعهم الغاوون، ألم ترَ أنّهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون. .﴾ وفي هؤلاء النفر الذين هم على قريش أشد من نضح النبل نزل الاستثناءُ منها: **﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾** [الشعراء ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

ثم أليس في السيرة أن رسول الله كان ينصب لحسّان بن ثابت منبراً في المسجد ينشد عليه الشعر، وأنه كان يحسن استماعه، ويجزل ثوابه، ولا يشتغل عنه إذا أنشد، وأنه أجزل العطاء لكعب بن زهير حين مدحه بلاميته المشهورة، فأعطاه بُردتَه ومائةً من الإبل.

وروي الشعر لكثير من الخلفاء والصحابة والتابعين، حتى نُسِب للإمام علي ديوان من الشعر وإذا لم تكن النسبة صحيحة، ففي كتب السيرة والتاريخ شعر متواتر النسبة إليه، وفي نهج البلاغة شواهد كثيرة، من شعر الشعراء، كان يستشهد بها الإمام في خطبه، وفي تاريخنا الأدبي آراء نقدية تنسب للإمام في تفضيله بعض الشعراء على بعضٍ، كتفضيله الملك الضّليل (امرىء القيس) على من عداه.

وإذا كان بعض هؤلاء (المتفيهقين) يثيرون على الشعر مسألة (التخيُّل) و(المبالغة) و(الكذب) ـ الأبيض طبعاً ـ وغيرها من أدوات الشعر التي تقتضيها طبيعة أساليبه، فإذا عرفنا إقرار الإسلام للشعر، فلا بدّ أنه يُقِرّ أدواتِه ولغتَه الخاصة، ونحن نعلم أن الشعر قائم على الخيال، والمبالغة، والتصرّف بأساليب المجاز والكناية بما يبتعد به كثيراً عما يريده هؤلاء المتفيهقون.

لقد كان النابغة الجعدي ينشد رسول الله قصيدته التي يفتخر فيها بقومه، فشطّ به القولُ وهو يفخر:

علونا السماءَ: مجدُنا وسناؤنا
وإنا لنبغي بعد ذلك مَظهرا

فغضب النبيﷺ وقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟!

وأدرك النابغةُ شَطَطَه، فأجابه بلباقةٍ واعية: «الجنّةُ بكَ يا رسول الله» وبهذا هدّأ غضب النبي فقال: «أجل إن شاء الله».

والإمام الشافعي ـ وهو من أجود الفقهاء افتناناً بالشعر ـ يستعمل نفس التخيل والمبالغة والكذب الأبيض، فيقول عن الأرزاق وحظوظ الناس في اقتناصها بلغة الشعر وأدواته:

الجَدُّ يُدني كلَّ شيء شاسعٍ
والجَدُّ يفتح كلَّ بابٍ مُغلَقِ

فإذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى
عوداً، فأورقَ في يديهِ، فصدِّقِ

وإذا سمعتَ بأن محروماً أتى
ماءً ليشربَه، فجفَّ، فحقّقِ

وأحق خلق الله بالهمّ امرؤ
ذو همّةٍ يُبلى برزقٍ ضيّقِ

ولربما عرضت لنفسي فكرةٌ
فأودّ منها أنني لم أُخلَقِ

بل حتى الكذب (الأسود) جرى في حضرة الرسولﷺ من شاعره فلم يقل شيئاً، وتعرفون قصة كعب بن زهير حين توعّده النبي لما نهى أخاه بجيراً عن الإسلام، وذكر الرسولَ بما يسوؤه، ثم عاد كعب بعد ذلك فمدح الرسول، وذكر أنه توعّده فقال:

أنبئتُ أنّ رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمولُ

لا تأخذنّي بأقوال الوشاة فلم
أذنب، ولو كثرت فيّ الأقاويلُ

فلم ينكر عليه النبي ذلك، مع علمه بأنه كاذب، لأن رسول الله لا يمكن أن يتوعده على باطل، وحسّان بن ثابت ـ وهو أحد المشاركين في اتهام عائشة في قضية الإفك ـ قال في قصيدته التي مدح بها أم المؤمنين:

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُم
فلا رفعتْ سوطي إليّ أناملي
فإن الذي قد قيل ليس بلائط
ولكنه قول امرىء بِيَ ماحِلِ

ـ و(لائط): لازم، و(ماحل) نَمَّام ـ والقضية مشهورة وأبطالها معروفون وحسّان واحد منهم وإنكاره هذا لا يبرؤه من الكَذِب.

٢ ـ الدين والغزل:

وأما الغزل فهو نوع من أنواع الشعر معروف ـ قبل عهد الرسول وبعده ـ وكانت العرب تفتتح مدائحها به، حتى مدائح الرسولﷺ، وينشد ذلك بمسمع منه، وقصيدة كعب بن زهير لا تُعْرَفُ في تاريخنا الأدبي إلاّ بـ (قصيدة بانت سعاد) لأنه كان يتغزل فيها بسُعادِهِ:

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبولُ
متيّم إثرَها، لم يُفْدَ، مكبولُ

ولم ينكر عليه الرسول غَزَلَه، بل أثابه وأعطاه بُردَته، و(تقريرُ) رسول اللهﷺ و(فِعلُه) ثلثا سُنّتِهِ!!

بل إن رسول الله سأل عائشة ـ حين زفّتْ اليتيمة التي زوّجوها لرجلٍ من الأنصارِ ـ: ما قلتم يا عائشة؟ قالت: سلّمنا،

ودعونا بالبركة، ثم انصرفنا. فقالﷺ: إن الأنصار قوم فيهم غَزَل، ألا قلتم يا عائشة:

أتيناكم أتيناكم
فحيّونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر
ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء
ما سرّت عذاريكم

[انظر: المغني لابن قدامة ٧/ ٤٣٤]

والغَزَل بعد ذلك ـ إفرازٌ عن حبٌ أو تخيّلِ حب، ليس فيه ما لا يقره الإسلام، إذا كان خالياً من المجون، أو الإخلال بالآداب العامة، أو التشهير بامرأة معروفة من بنات المسلمين.

وما أدري لماذا يكون موقف الرجل المسلم من المرأة، وحبّه لها، والتغزل بها، مختلفاً عن موقف نبيّه الكريم، الذي جعل حُبّه لها (واحداً من ثلاث)، وفي وصفه لهنّ بـ (القوارير) وفي تسميته لأم المؤمنين عائشة بـ (الحميراء) نغمة هي من جرس الغزل، بل إنها ـ رضي الله عنها، وعفا عمّن نقل ذلك عنها ـ كانت تصف بعض تغزّله بها، ولهوه معها، بما لا تستحي كتبُ الحديثِ أنْ تذكره.

ولو كان هذا الحب للمرأة، وإفرازاته الوجدانية، مكروهاً في الدين، لما قال سيد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي عليه السلام لمن لامه في حبّه امرأته:

لعمرُكَ إنني لأحبُ داراً
تحلّ بها سكينةُ والربابُ

أحبّهما وأبذل جُلّ مالي
وليس للائمي عندي عتاب

وفي دواوين الشعراء من (فقهاء المسلمين) كالشريفين ـ الرضي والمرتضى ـ من القدماء، والسيدين ـ الحبّوبي والطباطبائي ـ من المتأخرين أجودُ أنواع هذا الغَزَل. بل يحتفظ تاريخنا الأدبي لعروةَ بن أذينة ـ وهو من فقهاء المدينة ـ بلاميّة لا تزال، حتى اليوم، من أروع هذا الغزل الغضّ الذي قلّ نظيره في شعرنا العربي:

إنّ التي زعمت فؤادَكَ مَلَّها
خُلِقتْ هواكَ، كما خُلِقتَ هوىً لها
فَبِكَ الذي زعمت بها، وكلاكما
أبدىٰ لصاحبِهِ الصبابةَ كلَّها
ويَبيتُ بين جوانحي حُبٌّ لها
لو كان تحتَ فراشِها لأقلّها
ولَعمرُها، لو كان حبُّكَ فوقها
يوماً ـ وقد ضَحِيَتْ ـ إذنْ لأظلّها
وإذا وجدتُ لها وَساوِسَ سَلْوةٍ
شَفَعَ الضميرُ إلى الفؤاد فَسلَّها
بيضاءُ باكَرَها النعيمُ فصاغها
بلبَاقةٍ، فأدقَّها.. وأجلَّها
لمّا عَرَضْتُ ـ مُسلِّماً ـ لي حاجةً
أخشىٰ صُعوبتَها.. وأرجو ذُلَّها..

.. مَنَعَتْ تحيّتَها، فقلت لصاحبي:

ما كان أكثرَها لنا.. وأقلَّها

فدَنَا، وقال: لعلَّها مَعذورةٌ

في بعضِ رِقْبَتِها ..

ـ فقلتُ: لعَلّها

والفقيه العُتبي ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ـ كان أحدَ الفقهاء السبعة المعروفين في المدينة ـ وهم من التابعين ـ قال في امرأة من هُذيل فُتِن بها الناس، ورغبوا فيها خاطبين، ولعلّه كان أحدَهم:

أحبّكِ حباً لو علمتِ ببعضه

لجُدتِ، ولم يصعب عليك شديدُ

وحبُّك ـ يا أم الوليد ـ مُوَلِّهي

شهيدي (أبو بكرٍ) فنِعمَ شهيد

ويعلمُ وجدي (قاسمُ بن محمد)

و(عروةُ) ما أخفي بكم و(سعيدُ)

متى تسألي عمّا أقول تُخبَّري

فللّه عندي طارفٌ وتليد

وهؤلاء الذين استشهد بهم على حبّه لها، هم زملاؤه من فقهاء المدينة السبعة: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وعروة بن الزبير بن العوّام، وسعيد بن المسيّب.

ولعلّ أظرفَ ما قرأته في هذا الباب أنّ رجلاً سأل محمد بن

سيرين، وهو في المسجد، عن رواية الشعر في شهر رمضان، وما قيل من أنها تنقض الوضوء!! فما كان جواب ابن سيرين له ـ وهو يتهيأ للصلاة ـ إلاّ أنْ أنشده:

نُـبّـئـتُ أنَّ فـتـاةً كـنـتُ أخـطـبُـهـا

عُرقوبُها، مثلُ شهر الصومِ، في الطولِ

ثم قام فأمَّ الناسَ بالصلاة [العمدة ١/ ٣٠].

الشعر والالتزام

في الخمسينات والستينات، كانت موجة (القومية العربية) على أشدّها، وكان عبد الناصر الزعيم العربيّ الراحل، مِحوَر تطلعات القوميين العرب، في مختلف أقطارهم، وكان لخطاباته وقع السحر على جماهيرنا العربية، وتعتبر تلك الفترة الناصرية هي (الواحة الخضراء) في صحراء العمر الطويل الذي عاشته هذه الأمة، ونبتتْ في تلك الواحة أفكار كثيرة، منها الغِراس المثمرة، ومنها الأعشاب الضّارة، وكان من بين هذه الأفكار، فكرةُ (الالتزام في الأدب)، وقد تبنّت الصحفُ والمجلات الرائجة في تلك الفترة، وبخاصةٍ مجلة (الآداب) اللبنانية، الدعوةَ لهذا الالتزام، وكان هدف الإلحاح في هذه الدعوة واضحاً، هو حشد الطاقات الأدبية والفكرية لخدمة قضايا الأمة، فلا يبقىٰ في الساحة الأدبية شاعر ينصرف إلى (رومانسيته) وأحلامه الذاتية، ولا كاتب يُفكّر أو ينتج غير ما تريده قضايانا المصيرية. وطبيعي أن فكرة الالتزام هذه لم تنشأ من غير جذور، فقد كانت جذورها تمتد إلى الأربعينات يوم كان سلامة موسى، وجيل الشباب المتأثّر به، في محافل مصر الأدبية، والمجلات المعنيّة بهمومهم، تطغى عليها معركةُ: (الأدب للأدب. . أم الأدب للحياة؟!) واختار جيل الخمسينات الشقّ الثاني من هذا الجدل وطوّروه إلى فكرة (الأدب الملتزم).

وقد كان لا بد للفكرة أن تذبل، فقد صَوَّحتِ (الواحةُ الخضراء) ولكنَّ جذورَها لم تمتْ، فقد امتدت لتنجمَ في واحة جديدة هي (الصحوة الإسلامية) المعاصِرة، وبدأنا نسمع بـ (الالتزام الإسلامي) في بعض أجنحتها، ونرى فيه نفسَ الإلحاح الخمسيني، في أن يقف الشاعر، أو الكاتب والمفكر، موهبتَه وانتاجَه في خدمة الدعوة إلى قيام دولتنا الدينية.

وأنا واحد من هذه الأمة العربية المسلمة، وُلِدتُ (شاعراً) في أواخر الأربعينات، ورأى الناسُ طفولةَ شعره في الخمسينات، وشبابَه في الستّينات، وأدركوا كهولتَه حتى التسعينات، ولكنّهم لم يجدوه تخلّف يوماً مّا عن المشاركة في قضايا وطنِهِ، أو أمّته، أو معتقده، وامتدّت مَنابتُ شعرِهِ من ظِلالِ (وَهران) حتى صحراء (طَبَس)، ولكنه، مع ذلك، كان في شعره: يتغزّل إذا أحبّ، ويضحك إذا داعب، ويبكي إذا فَقَد عزيزاً، وينتشي إذا سامَرَ رفيقاً، ويتألّم إذا جَرَحه صديق، ويفرح إذا ولد له مولود.. فهل يُعتَبر هذا الشاعرُ، في عرف هؤلاء الالتزاميين، مُلتِزماً، أم ماذا؟!

إذا كان الالتزام في الأدب معناه: (الالتزام)، أي أن الشاعر أو الكاتب والمفكر، إذا ارتأىٰ رأياً، أو تبنّىٰ موقفاً سياسياً أو اجتماعياً، فينبغي له أن يلتزم به، ويعبّر عنه بكل ما يعتقد أنه يقرّبه من الانتشار، دون أن يحيد عن التزامه هذا، أو يستبدله، مراعاةً لأي ضغطٍ مخيف، أو إغراء مريح، فأنا مع هذا الالتزام، لأنه هو الذي يبنينا أمّةً ذات رسالة وهدف.

أما إذا كان الالتزام معناه: (التحجير) أي أن الشاعر أو الكاتب، حين يلتزم، يقف كل إنتاجه على ما التزم به، ولا يحق له أن يكتب شيئاً ذاتياً، أو وجدانياً، خارج موقفه السياسي أو الاجتماعي، فأنا لست مع هذا الالتزام، ولا أجده يحقق لنا أيّ

طموحٍ في تطور أدبنا وفكرنا، وفي تقدّمنا كأمّةٍ تريد أن تلتحق بركب الحضارات المحيطة بها.

الشعر والإنتماء السياسي

أنا لست سياسياً محترفاً، ولم أحاول، طيلة عمري، أن أنتمي إلى أيِّ حزبٍ أو تكتّل سياسي ـ دينيّاً كان أو علمانياً ـ ليس ذلك لأني لا أفهم في السياسة ـ كما يقولون ـ فظروفنا، نحن العرب، والواقع الذي تعيشه أمّتنا، جعلت من السياسة خبزَنا اليومي، وفرضتْ على كل واحد منا أن يكون سياسياً رغمَ أنفِه، فأنا أفهم السياسةَ إذن كما يفهمها المحترفون، ولكني أعتقد أن موقفي هذا ينطلق من كوني (شاعراً) يؤمن بحريّته في اختيار مواقفه من القضايا العامة التي تحيط به، وفي طريقة تناوله لهذه المواقف.

والإنتماء السياسي ـ أو هكذا عَوّدتنا صرامةُ الإنتماء في وطننا العربي ـ لا يترك مجالاً لأيّ شاعر يريد أن يعبّر عن مشاعره وأحاسيسه، في قضيّةٍ ما، بالشكل الذي يمليه عليه وجدانُه، لذلك توصّلت، من زمن بعيد، إلى رأي قاطع هو: أن الشاعر العربي، إما أن يكون شاعراً.. أو سياسياً منتمياً، وفكرة وجود (الشاعر المنتمي) أشبه بفكرة وجود بعض الحيوانات الأسطورية، ليس له واقع في عالمنا العربي، وإذا افترضنا وجود ذلك (الشاعر المنتمي)، افترضنا وجودَ مخلوقٍ مشوّه الملامح، لا تستطيع أن تلحقه بـ (الشاعر)، ولا بـ (المنتمي)، لأن الإنتماء يتطلب الخضوع الصارم، الذي نعرفه، لمواقف جهته، فينتقص ذلك من شاعريته بمقدار خضوعه لإنتمائه، والعكس صحيح أيضاً.

وزاد من ترسيخ هذه العقيدة في نفسي تلك التجربة الصغيرة التي رأيت نفسي فيها كشاعر (ضائعاً) بين أفكار وأساليب السياسيين المحترفين، الذين حاولتُ الانسجام في عملهم فلم أفلح، فقد حاولنا - ونحن في المنفى - مع مجموعة من الأخوة السياسيين، والمثقفين العراقيين، إيجادَ ما سمّيناه: (المتّحد الديموقراطي العراقي)، مع أننا - لاختلاف مشاربنا الفكرية - أكّدنا على أن يكون هذا (المتّحد) - كما جاء في بيانه - «صيغةً تنظيمية يتلاقى عليها الوافدون من مختلف الإتجاهات السياسية والثقافية في المجتمع العراقي» بمعنى أنه ليس (حزباً) ذا (أيديولوجيّة) معيّنة - إسلاميةً أو علمانية - وليس (جبهةً وطنيّةً) تضمّ أحزاباً تأتلف على هدف معيّن، وتختلف في أهدافها الأخرى، وإنما هو (حركة) تنظيمية، هي أوسع من الحزب المؤدلج، وأضيق من الجبهة المفتوحة، تحاول - قدر المستطاع - أن تكون ملتقى فكرياً، لا يتعارض في أهدافه بتعارض الوافدين إليه.

ومع ذلك شعرت أنني لا أستطيع الوفاء والالتزام بانتمائي لهذا (المتّحد) اللاّحزبي.

لذلك فضّلتُ أن أظل حيث أنا، (شاعراً لا منتمياً) أقف مع الجميع.. وأختلف مع الجميع، في حدودٍ تسمح لي بالاحتفاظ بما يمليه عليّ وجداني الشعري من جهة، والتزامي السياسي والفكري من جهة أخرى، لذلك تجد في قصائد هذا (الديوان) السياسية، مشاعِرَ الوطنية، والعروبة والإسلام، مسكوبةً في إناء من (الديمقراطية) التي أؤمن بأنها الإطار العام لكل هذه المشاعر.

وهذا - بلا شك - مزيجٌ يصعب على السياسي المحترف أن يتجرّعَه، ولكني مع ذلك، قدّمته للشاربين، فقَبِلَهُ البعضُ، وتجرّعه الآخرون على مَضَض، ويكفيني أنّ هؤلاء المتجرعين، لم يشعروا،

بعد تناوله، بغصّةٍ أو مرارة، ربما كان لصدقي في أدائه مدخلٌ في تقبّله!!

ومع ذلك تبقى (إشكاليّة) الجمع بين الوطنية، والعروبة، والإسلام، وبينها وبين إطارها الديمقراطي، قائمةً في أذهان أكثر السياسيين المحترفين ـ قوميّين، وإسلاميين، وديمقراطيين ـ ولكنها ليست قائمة في ذهني كشاعرٍ عراقي هو: عربي في وجوده ومشاعره، مسلم في هويته ودينه، ديمقراطي في أسلوبه وممارساته. ولا أجد في نفسي أيّ تعارض في أهداف هذا المزيج، لأني لا أؤمن بالإسلام، أو العروبة، أو الديمقراطية بشكلها (المؤدلج) في أذهان السياسيين المحترفين، (فالأيديولوجية) التي طرأت على هذه الأصول الطبيعية، هي التي جعلتها تتناقض في أذهان الكثيرين.

وقد لا يكون ثقيلاً ـ وأنا أتحدث عن تجربتي الشعرية ـ أن أتحدث لكم عن هذه الأصول في الحدود التي لا أعرف فيها تناقضاً:

أ ـ فالإسلام ـ غير المؤدلج ـ ليس هو (الدولة الدينية) المخيفة، التي تتجمع اليوم عليها كل الخناجر الغربية، وإنما هو ـ فيما أرى ـ (عقيدة) هذه الأمة، بجميع أقطارها ـ ومنها العراق بعربه وأكراده، وتركمانه، وأقلّياته ـ وهو (التشريع) الذي يخضع له العراقيون والعرب في مختلف معاملاتهم وعلاقاتهم وأحوالهم الشخصية، وهو ـ بعد ذلك ـ (فكرٌ) هذه الأمة، وثقافتها التي صاغت شخصية أفرادها في جميع مجالات حياتهم على مدى خمسة عشر قرناً من وجودها كأمّة، وقد استوعبت هذه العقيدة ـ بتشريعاتها وفكرها ـ جميع متطلبات أبناء الديانات

الأخرى التي عاشت في ظل الإسلام كلّ هذه القرون، ورعت حقوقَهم الدينية والمدنية، حتى في العصور التي كانت فيها (دولةً دينية)، فكيف لا تحتويهم، ونحن ندعوها لأن تكون (دولةً مدنية) ذات أسلوبٍ ديمقراطي، تستمد تشريعاتها وقوانينها، من أصول أحكامٍ، وتشريعات، عشنا عليها كلَّ هذه القرون، وساهمت في صياغة شخصيات أفرادنا ومجتمعاتنا ـ مسلمين وغير مسلمين ـ وما أدري لماذا يتنكر القوميّون العرب لهذا الواقع الإسلامي الذي نعيش، فليس في كوننا (عرباً) ما يحملنا على التنكّر لدينٍ في أحضان عروبتنا نشأ وترعرع، وبآداب لغتنا دخل إلى عقول الأمم وقلوبها، وبدماء الشهداء من آبائنا فُرِشتْ له السبلُ في أقاليم الأرض.

ب ـ والعروبة ـ بلغتها، وآدابها، وأعرافها، وتقاليدها، وواقعِ الصلةِ بين أقطارها شريكةُ هذا الإسلام في صياغة شخصية الفرد العربي، وفي تكوين مجتمعات أقطاره، في وطنه الكبير، وهي عِدلُ الإسلام في بناء تقاليدهم وأعرافهم، على مدى ألفٍ وأربعمائة سنة، فهل يكون غريباً على مواطن عربي يسكن أحدَ أقطار هذه الأمّة، أن يدعوها للتوحّد في دولة حديثة، لها أهمية الدول الكبرى في العالم المحيط بها، في الوقت الذي لا نستغرب فيه من دول (أوروبا) أن تدعو للتقارب والتوحّد بين أكثر من عشرين دولة لا يجمع بين أقطارها، ما يجمع بيننا، من لغة واحدة، أو ثقافة مشتركة.

وأنا من بين هؤلاء العرب الوحدويين، أفرّق بين (العروبة) كوجود ومشاعر، وبين (القومية) كأديولوجية مستوردة، فهذه (الشوفينية) التي تبنّاها ومارسها بعضُ المتسلطين على الشعب العراقي، هي التي كانت وراءَ تلك المجازر والحروب الطاحنة بين أبناء الشعب الواحد في السبعين سنة الماضية، حتى كأنّ العربيّ والكرديّ لم يَعيشا كل هذه القرون، ومنها القرنان اللذان صارعت فيهما دولتهُم الكبرىٰ، أعتى الحملات الصليبية، وكان أبرز قوّاد جيشهم العربي من هؤلاء الأخوة الأكراد العراقيين كصلاح الدين الأيوبي.. وكانت آخر حروب دولتهم الكبرى مع (الصليبية الجديدة) يوم خرجت القبائل العربية والكردية في سنة ١٩١٤ لمحاربة الإنكليز في (الشعيبة)، فكانت القبائل العربية (تهزج): (ثِلْثين الجنّة لهادِينا) فتجيبها أهازيجُ الكرد: (وثِلْث لكاكه أحمد وكْراده) وبذلك تقاسَمَ الوجدانُ الشعبيّ المسلم مساحةَ تلك الجنّة التي وعِدَ بها المجاهدون.

فالعروبة التي ادعو إليها ليست هي تلك (القوميّة الضيّقة) بل هي ذلك الجسدُ الذي كان الإسلامُ روحَه، تتّسع لكل ما يتسع له الإسلام من أخوّةٍ وسماح، وباستطاعتها أن تحميَ لغات وثقافات شركائنا في الوطن العربي، وحقوقهم القومية، بنفس القوة التي تحمي بها العروبةُ لغتَها وثقافتَها وحقوقَها القومية.

ج ـ أما الديمقراطية: فهي بالإضافة إلى كونها النموذج الأمثل للدولة العصرية، نجد في أدائها وآليتها الوسيلةَ الوحيدة لكل ما يشكو منه المجتمع العراقي، والمجتمعات العربية الأخرى، فليس فيها استئثارٌ بالحكم لفئةٍ دون فئة، ولا حجبُ المواطنة عن مذهب معين، أو قوميّة بذاتها، بل كل المواطنين

فيها - أحزاباً ومذاهبَ وقوميات - متساوون في الحقوق والواجبات، وهم - بضمان هذه الديمقراطية - متكافئوا الفرص للوصول إلى قيادة الدولة - كلٌّ حسب اجتهاده - إلى ما فيه خير الأمة والوطن.

ولا أعتقد أن في الإسلام، أو في العروبة، ما يمنع الديمقراطية - باعتبارها أسلوباً ووسيلة للسلطة - من أن تكون هي (الحَكَم) بين الفصائل المتصارعة للوصول إليها، بل أعتقد أنها في بلدٍ كالعراق، عانىٰ ما عانىٰ من تسلّط بعض الفئات على بعض، هي النظامُ الوحيد الذي يكفل لأفراده، وفئاته، وأحزابه، العيشَ المشترك بحرية واطمئنان.

❀ ❀ ❀

هذه هي رؤيتي كشاعر عربي مسلم، لهذا المزيج الثلاثي - الإسلام والعروبة والديمقراطية - لا أجد فيه تناقضاً، ما دمتُ في منأى عن الإنتماء السياسي، لهذه الأيديولوجيات المتصارعة، التي تحكم اليوم مَسارَ الفئاتِ المتطاحنة حول مستقبل هذه الأمة.

ولو أن (إخوتنا في العروبة) خفّفوا بعض ما استوردوه من فكر (بسمارك) وغلاة القومية الغربية - كما خفّف الغربُ نفسُه الكثير من تطرّف هذا الفكر - ولو أنّ إخوتنا في الإسلام، دين التسامح، والاجتهاد والتطور، نظروا إلى مسألة (الحكم) نَظَرَ علماءِ (المشروطة) وتوصلوا إلى ما توصّل إليه الشيخ محمد حسين النائيني في كتابه: (تنبيه الأمة وتنزيه الملّة) من مسألة الحكم في زمن (الغيبة)، لكانت جسور التقارب بين الفئات المتباعدة، كفيلةً بتوحّد عناصر القرة في أمتنا العربية، التي دخلت الآن عصرها الإسرائيلي من أوسع أبوابه. ولأراحتْ شاعراً عربياً مسلماً مثلي من إتهامِهِ بـ (شَعْرَنَةِ) هذا المزيج الفكريّ في موقفه السياسي.

وأخيراً الديوان

أنا واحد من الشعراء المُقلّين جداً، وربما كان من أسباب ذلك ظروف الدراسة، سواء ما كان منها في نمطها (الحوزوي) القديم، أو في النمط (الجامعي) الحديث، وما تحتاجه الأولى من التحضير وكتابة بعض (التقريرات)، وهي تُشبِه ـ من بعض وجوهها ـ ما كان يُعرَفُ قديماً بـ (الأمالي) بفارقٍ كانت سهولتُهُ بجانب الأمالي لا التقريرات، لأن (النَصّ) في الأمالي كان نصّ الأستاذ الذي يمليه على طلبته، أما في التقريرات فهو نصُّ التلميذ الذي يبذل كلّ جهده ليحتفظ بمضمون ما قاله أستاذه.

أما ما تحتاجه الثانية فهو تحضير رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) وبحوث الترقية الجامعية، وما أعقب ذلك من التدريس في جامعتي بغداد، والمستنصرية، وكليتي الفقه وأصول الدين، والتحضير لهذه الدروس، وتصحيح تجارب الامتحانات في مدة تقرب من عشرين عاماً، كل ذلك كان له الأثر الكبير في هذا (الإقلال الشعري) لذلك كنت أعتبر نفسي من (هُواةِ) الشعر، لا محترفيه، لأني قد انقطع عن مزاولته زمناً لا يتهيأ لي منه ما أريد.

يضاف إلى ذلك أني كنت ـ وما زلت ـ بطيئاً جداً في أيّ عملٍ يتطلب مني جهداً فكرياً، سواء أكان منظوماً أم منثوراً، لذلك فإنّ رسالة (الماجستير) التي قد يأخذها بعض الطلبة في سنة واحدة،

استمرت معي ـ بجهد متواصل ـ ثلاثَ سنوات، ورسالة (الدكتوراه) أكثر من أربع سنوات، ولا أتذكر أني كتبتُ قصيدةً في ليلة واحدة، إلاّ مرةً أو مرتين، وفي أكثر الأحيان تتطلب مني فترة زمنية قد تطول عشرة أيام.

وهناك سبب ثالث، يرتبط بسابقَيْه، هو أني لهذا التباعد بين فترات النشاط الشعري الذي يتهيأ لي، قد أجمع في أحد دفاتري ما أراه يصلح لأن يكون (ديواناً) أعدّه للنشر، فإذا طالت فترةُ الخمود بين النشاط الأول والثاني، رجعتُ إلى ذلك (الدفتر) فوجدتُني أشعرَ منه بكثير، فاشطب منه هذه القصيدةَ أو تلك المقطوعةَ، وأضيف الجيّد مما تبقىٰ لي منه إلى جديدِ محاولاتي، وأتوهم أنه يصلح لأن يكون ديواني الذي أرتضيه، فإذا بي أكرّر العمليةَ تارةً أخرى، حتى تكرّر معي هذا (التردّد) والاحجام عن نشر ديواني أكثر من مرّة.

ولولا أن تحملني وزارةُ الثقافة العراقية، في أوائل السبعينات، على اختيار مجموعة صغيرة تصلح لسلسلة (ديوان الشعر العربي الحديث) التي طَلَبَتْ من بعض الشعراء العرب الاستجابةَ لها كاحدىٰ نشاطاتها الأدبية، لما صَدَرَ لي ديوان (عيناكِ.. واللحن القديم) وهو مع ذلك لا يضم أكثر من اثنتي عشرة قصيدة.

❀ ❀ ❀

هذه الأسباب الثلاثة مجتمعةً، جعلتني (مُقِلاً) في نظم الشعر (متردّداً) في نشره، ولكني اليوم، وبعد أن امتدّ بيَ العمرُ، وكثُر طلبُ من يحسنون الظن بهذا الشعر، وقلّ أملي في تحصيل الأجود، رأيت الوقتَ قد حان لنشر هذه المجموعة التي أطلقت عليها اسم (الديوان) مع هذه المقدمة التي طالت لكي تعطي صورةً حقيقية لتجربتي في هذا الشعر، في فترة لا تقلّ عن سبعة وأربعين عاماً، وكل ما أرجوه أن أكون موفقاً في عرضها، بمقدار ما كنت صادقاً في تسجيل خطواتي فيها.

وأظن أنه من الواضح ـ بعد الذي تقدم ـ أن هذا (الديوان) ليس هو كلُّ الشعر الذي كتبتُ، كما أنه ليس هو (المختار) الذي ـ لو خُلّيتُ وطبعي ـ لكان أقلَّ بكثير مما جمعتُ. . وكانت أسباب ذلك تعود إلى أمرين:

الأول: هو أني دائماً أجد نفسي (متهيّباً) أمام سلطة المجتمع الديني الذي اعتبر نفسي جزءً منه، ليس ذلك لإحساسي بـ (رَجْعيّةٍ) تدلّ الشواهدُ الكثيرة على ترفّعي عنها، وعدم خضوعي لمتطلّباتها ـ وفي الديوان كثير من ذلك ـ بل لأن (الشعر الإخواني) مثلاً ـ وهو من أعز ما كتبته في حياتي ـ أرى في بعض ظَرْفِهِ ودعابته ما قد يجرح طَبْعَ إنسانٍ أجِلُّهُ وأحترمه، أو يَخدِش هيبةَ مجتمع بذلتُ جهدي ـ طيلة عمري ـ في أن تظلَّ مرتفعةً في ضمائر مَنْ يكُنون له التبجيل، لذلك استبعدت هذا الشعرَ ـ كما قلت سابقاً ـ وتركته لتاريخنا الأدبي، ولمجموعاتنا الخاصة. ومثل ذلك ولاسبابٍ مشابهة ـ تركتُ بعضَ شعري الوجداني أو الذاتي المغرق في ذاتيته، الذي يحتاج إلى شروح كثيرة، ليفهم القارىء ما أرمي إليه، أو بعضَ شعري السياسي، أو الاجتماعي، الذي قدّرتُ أنه قد يُساءُ فهمُهُ لدى كثير من القُرّاء البعيدين عن ظروفه.

لذلك لم يكن هذا الديوانُ هو (المجموعةَ الكاملة) التي تحوي كل ما كتبته، وقد تصدر هذه المجموعة يوماً مّا في ظروف أقلّ تعقيداً أو أكثر انفتاحاً.

الثاني: إن شعر هذا (الديوان)، كلُه أو جلّه، أصبح من الشعر المنشور، أو المحفوظ المتداول، في كثير من الأوساط التي لها علاقة بشاعره، ومسألة الاختيار منه أصبحت غير ذات جدوى، لأن حذف ما لا أريد ـ مع انتشاره في هذه الأوساط ـ لا تجعل ذلك (اختياراً) بمقدار ما تجعله (تهرّباً) من رداءة شعرٍ، لا تجنّبني

مسؤوليته الأدبية أنّي حذفته من ديواني، لذلك لم أحاول أن أجعل من هذا الديوان (بَدْعاً) بين دواوين الشعراء المعاصرين، فهو كأي ديوانٍ آخر، فيه الجيّد وفيه الرديء، وعلى (النقّاد) الذين سيكون مِلكَهم، تحديدُ الهِضاب التي ارتفع إليها، أو الوديان التي هبط فيها.

❀ ❀ ❀

وبعد فقد كان تبويبي لقصائد هذا (الديوان) مختلفاً بعض الشيء ـ فقد جعلت قصائد (عيناكِ واللحن القديم).. باعتباره كان منشوراً ومعروفاً ـ أولَّ فصول هذا الديوان، ثم أتبعته بقصائد مجموعة أخرى، كنت أعددتها وأطلقت عليها اسم (ألحان الغربة) لتضمّ آخر القصائد التي كتبتها في مغتربي بين ١٩٨٠ ـ ١٩٩٤ وأكثرها من شعر المحنة التي عشتها وعاشها الأخوة العراقيون في هذا المنفىٰ الذي نرجو ألاّ يطول أكثر مما طال.

أما بقية الديوان فهي أكثر شعري الذي عشته من أوائل الخمسينات حتى أواخر السبعينات، وقد رتّبته ترتيباً زمنياً، أي من (أساطير الحب) التي كتبتها سنة ١٩٥١ حتى (قطيع الأحزان) في ١٩٧٩ التي كانت آخر تجربة عشتها في العراق.

وكان غرضي في هذا الترتيب الزمني، أني حين نشرت في السبعينات، مجموعة (عيناك واللحن القديم)، كانت مجموعة صغيرة غير مرتبة زمنياً، لذلك قدّرتُ أنها لا تساعد من يريد معرفة التطور الشعري لتجربة شاعر عاش كل هذه السنين، فلم أشأ أن أفوّت الفرصة في مجموعة تضم تجاربي الشعرية، من أول خطوة كان شعري فيها يدرج (صبيّاً) في أزقّة النجف، حتى آخر خطوة كان فيها (شيخاً) يتوكأ على عصاً يهشّ بها (قطيعَ أحزانه). وقد أطلقت

على هذه المجموعة اسم (قصائد عشتها) لأنها فعلاً هي التجارب التي عِشْتُ فيها عمري الشعري.

وبإمكان من يريد التعرف على التطور الزمني لهذه التجارب أن يضيف إلى (قصائد عشتها) مجموعةَ (ألحان الغربة) لأنها كتبت بعدها وهي في الغالب مرتبة زمنياً.

وأرجو بعد هذا التفصيل لترتيب الديوان ألا يفهم منه اعتدادي بهذه التجارب، أو دعوة النقّاد للحفاوة بها، فما كان قصدي من ذلك غير وصفي للخطوات التي اتبعتها في تبويب الديوان، وتصورت أنها مفيدة لمن يريد أن يدرس شعر واحد من شعراء هذا الجيل، قد يكون الأولىٰ في نظر البعض ـ أن يُدرس على ضوء تطوره الزمني، وما عليَّ أن تكون نتائج دراسته أن هذا الشاعر تطوّر، أم ظل يراوح حيث بدأ.

❀ ❀ ❀

أما بعد فهذه هي بضاعتي الشعرية، أو معظمها، وضعتها في سوقٍ لا أجهل مقدار رواجها فيه، لأني مؤمن بالحكمة القائلة: (لولا اختلاف الأذواق لبارت السِلَع)، ولا أراني مُصِراً على ما قلته في الخمسينات:

وهل القوافي غيرُ بائرِ سِلْعَةٍ
كَسَدَتْ بسوقٍ غير ذاتِ نَفَاقِ
لو كان يهدي التائهين سبيلُها
لهدىٰ (الرضيُّ) به (أَبا إسحاق)

وكل ما أرجوه أن تطمئنَّ الدار التي تعهّدت طبع (الديوان) ألاّ تُبتلىٰ بتجربة تلك (القصة) التي أهدى صاحبُها كلَّ حصته مما

خصّصته له دار النشرِ منها، لكثيرٍ ممن رغب أن يقرؤها، فكانت النتيجة أن بلغ (المُرتَجَعُ) لتلك الدار أكثر من الذي وزّعته على الباعة.

بلودان في ١٨/٧/١٩٩٤

مصطفى جمال الدين

عيناك واللحن القديم

صدرت هذه المجموعة الصغيرة في سلسلة : (ديوان الشعر العربي الحديث) من قبل وزارة الثقافة والإعلام في العراق سنة ١٩٧٢.

بغدادُ

تحية للمدينة الخالدة في عيدها الألفي

تستعرض هذه القصيدة صور (العصر الذهبي) لمدينة بغداد في: الحكم، والسياسة، والعلم، والأدب، والفن، وغيرها. ثم تتساءل عن بُناة هذا العصر: أهم الخليفة، والوزير، والحاجب والأمير؟ حيث لا نجد في تاريخنا العربي غير: (بغداد المدوّرة) للمنصور، و(عصر المأمون) و(الجامعة المستنصرية) و(النهر الإسحاقي) و(دار العلم لسابور) وأمثالها؟ أم هم: القائد، والمعلم، والمهندس، والفيلسوف، والشاعر، والفنان والمزارع وأمثالهم ممن تناسى التاريخ مساهماتهم في بناء هذه الحضارة العربية؟! وتدعو في النهاية لتكريم بناة بغداد الحقيقيين، وبخاصة و(العيد الألفي) كان مشتركاً بين بغداد وفيلسوفها العربي أبي يوسف الكندي.

بَغدادُ.. ما اشْتَبَكَتْ عليكِ الأعصُرُ

إلاّ ذَوَتْ.. وَوَرِيقُ عُمرِكِ أخضرُ

مَرَّتْ بكِ الدنيا، وصُبحُكِ مُشمِسٌ

وَدَجَتْ عليكِ، ووَجْهُ لَيلِكِ مُقمِرُ

وقَسَتْ عليكِ الحادثاتُ، فَراعَها

أنَّ احتمالَكِ، مِن أذاها أكبَرُ

حتّى إذا جُنَّتْ سِياطُ عَذابِها

راحتْ مَواقِعُها الكريمةُ تَسْخَرُ

فكأنَّ كِبْرَكِ - إذْ يَسومُكِ (تَيمرٌ)

عَنَتاً - دَلالُكِ إذْ يَضُمّكِ (جعفر)[1]

وكأنّ نَوْمَكِ - إذْ أَصيلُكِ هامِدٌ -

سِنَةٌ، على الصبحِ المُرفَّهِ، تَخطُرُ

---

(١) تيمورلنك المغولي الذي خرّب بغداد، وجعفر البرمكي الذي كانت زاهيةً في عهده.

لِـلَّـهِ أنـتِ.. فـأيُّ سِـرٍّ خـالـدٍ
أنْ تَـسْـمَـنـي، وغِـذاءُ رُوحِـكِ يُـضْـمِـرُ!!
أنْ تَـشْـبَـعـي جُـوعـاً، وصَـدرُكِ نـاهِـدٌ
أو تُـظـلِـمـي أُفُـقـاً، وفِـكـرُكِ نَـيِّـرُ!!

۞ ۞ ۞

بـغـدادُ بـالـسَّـحَـرِ الـمُـنـدّىٰ بـالـشـذىٰ الـ
ـفـوّاحِ مِـنْ حُـلَـلِ الـصَـبَـا[1] يَـتَـقـطَّـرُ
بـالـشـاطـىء الـمـسـحـورِ يَـحـضُـنُـه الـدجـىٰ
فـيـكـادُ مِـنْ حُـرَقِ الـهـوىٰ يَـتـنـوَّرُ
بـالـسـامـريـنَ أثـابَـهـمْ مِـن لَـهْـوِهِـمْ
وَهَـجُ الـضـحـىٰ.. وكـأنّـهـم لـم يَـسـمـروا
وبـراقـدٍ، و(الـخُـلْـدُ)[2] بـعـضُ جِـنـانِـهِ
والـسُّـحْـبُ مِـلْـكُ يـديـهِ أنّـىٰ تَـمـطُـرُ
وإذا تَـهـدَّجَ بــ (الـرُصـافَـةِ) صـوتُـهُ
جَفَلَتْ بمصرَ، على صداهُ، (الأقصُرُ)[3]

---

(١) الصَبا: ريح تهب من جهة الشرق.

(٢) قصر الخلد، وهو من قصور العباسيين ببغداد، والمقصود بالراقد الخليفة العباسي - لا على التعيين - وإنما ليضرب به مثلاً للحاكم في بغداد أيام عصرها الذهبي.

(٣) الرصافة: الجانب الشرقي من بغداد، وفيها قصر الخلد. والأقصُرُ: مدينة في صعيد مصر وفيها معبد الأقصر وآثار رعمسيس الثاني.

والـخُـوْزُ بـيـن يَـديـهِ تَـرتـجِـلُ الـهـوىٰ

غَـزَلاً بـه حـتـى الـسـتـائـرُ تـسـكُـرُ

يَـرقـىٰ لـعَـيْـنَـيْـهِ الـسُّـهـادُ، لـحُـرّةٍ

في الـرومِ، تَـهـتِـفُ بـاسـمِـهِ وتُـحـذِّرُ[1]

فَـيَـرُدُّ كـأسَ الـحـبِ عـن شَـفَـةٍ بـهـا

شـوقٌ إلـى كـأسِ الـحَـمـيَّـةِ أسـعَـرُ

❀ ❀ ❀

وبـسـاهِـرِ (الـمـسـتـنـصـريـةِ)[2] طَـرْفُـهُ

فـي حـيـثُ تـأتَـلِـقُ الـحـروفُ مُـسَـمَّـرُ

تَـعِـبـتْ عُـيـونُ الـنـجـمِ، وهـو كـأمـسِـهِ

حَـدِبٌ عـلـىٰ صَـقْـلِ الـمـواهـبِ يَـسـهَـرُ

ظـمـآنَ، والـكـأسُ الـمُـفـاضَـةُ دونَـهُ

لـو كـان يُـخْـدَعُ بـالـسـرابِ ويُـمْـكَـرُ

يَـشـوي عـلـى الـلَّـهـبِ الـمُـقـدَّسِ رُوحَـهُ

لِـيَـقُـوتَ جِـيـلاً حـولَـهُ يَـتـضـوَّرُ

---

(١) إشارة إلى المرأة التي هتفت: (وامعتصماه) فأغاثها المعتصم، وأنزل بالبيزنطيين هزيمة نكراء بعد احتلاله عَمورية.

(٢) المستنصرية: المدرسة التي بناها المستنصر بالله (الخليفة العباسي ٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ) والمقصود بساهر المستنصرية: المعلمون والأساتذة الذين قادوا حركة التعليم في أول جامعة علمية.

ويَضيعُ في غَمْرِ الدجىٰ، ويَراعُهُ
إحدىٰ عَطاياهُ الصباحُ المُسفِرُ
ما ضَرَّ عاطشةَ القلوبِ إذا ارتَوتْ
بالعُودِ مِن لَفْحِ التَقشُّفِ يَقطُرُ
وكَفاهُ مَهزولاً تَعيشُ بقلبِهِ
أُمَمٌ، وتَسمَنُ من حَشاهُ أعصُرُ
تَأتيهِ أجساداً، فَيَصنَعُ رُوحَها
والطينُ ـ لَولاهُ ـ الكثيرُ الأوفَرُ

⊛ ⊛ ⊛

بغدادُ بالذكرىٰ الحبيبةِ بالصدىٰ الـ
ـحِرنانِ من خَلفِ الأعاصرِ يَهدِرُ
قُصّي فنحنُ وَراءَ (ألفِكِ) ليلةً
أُخرىٰ، يَطولُ بها الحديثُ ويَقصُرُ
وَدَعي الخَيالَ فـ (شَهْرَيارُكِ)[1] سمعُهُ
لِلآنَ من صَخَبِ الحوادثِ مُوقَرُ
وتَحدّثي ـ فَجَلالُ عِيدِكِ لا يَرىٰ
أنْ تَصمُتي، وقُرىً سِواكِ تُثرثِرُ!! ـ

(١) السلطان شهريار الذي كانت خليلته (شهرزاد) تقص عليه أقاصيصها في ألف ليلة وليلة، فصبر عليها حتى ولدت له ابناً، فلم يقتلها كعادته.

عن (عَصرِكِ الذهبيّ) ما طالَ المَدىٰ

إلاّ وناصِعُ وجهِهِ المُتصدِّرُ

تَعيىٰ بحَلْبتِها العُصورُ، وشوطُهُ

أبداً على نشزِ الحواجزِ يَطفُرُ

ما اخْضرَّ مِن تِلَعِ الثقافةِ مَنكِبٌ

إلاّ ومنكِ رُواؤهُ يَتمطَّرُ[1]

وستفخر الأجيالُ، بَغدَكِ، أنّها

كانتْ على بُقيا بِساطِكِ تَسمُرُ

ستَظلُّ قَينَةُ (دارِ سابورٍ) بما

أسْدتْ إلى (شيخِ المَعرّةِ) تُشكَرُ[2]

ويَظَلُّ كَرمُ (أبي نُوَاسِكِ) بَينَنا

عذبَ الخُمارِ، وإنْ أُجِدَّ المِعصَرُ

وإلى غدٍ، وبمتنِ دجلةَ سامِرٌ

مِمّا يَنُثُّ (الأصمعيُّ) مُعطَّرُ

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) يتمطر: يطلب المطر.

(٢) دار سابور: هي (دار العلم) المكتبة التي أسّسها سابور بن أردشير ببغداد، وزارها أبو العلاء المعرّي فقال فيها من قصيدة:

وغنّت لنا في (دار سابورَ) قينةٌ　　من الوُرقِ مِطرابُ الأصائلِ ميهالُ

بغدادُ، واستقصي الحوادثَ واكشفي
غَبَشاً يَطوفُ بصبحِها فَيُغيِّر
وحَذارِ أنْ تَثِقي برأيِ مؤرِّخٍ
للسيفِ - لا لِضميرِهِ - ما يَسطُرُ
وتساءَلي عن (مَعرِضٍ) يَجلوكِ في
أبهائِهِ صُوَراً تُسِرُّ وتُسحِرُ:
لِمُفكِّرٍ يَجلو دُجاكِ، وقائدٍ
يَروىٰ به ظَمأُ الفتوحِ فتُزهِرُ
ومُهندسٍ يَبني الصُروحَ.. وشاعرٍ
بِنَشاهُ يُسرَجُ لَيلُها ويُعطَّرُ
ولِزارعٍ في الحَقلِ يَدفُنُ عُمرَهُ
فَتُمَدُّ منه غِراسُهُ وتُعمَّرُ
ومُعلِّمٍ لم يَدرِ شارِبُ كأسِهِ
ماذا يُقَطِّعُ من حَشاهُ ويَعصِرُ
بغدادُ أُولاءِ الذين تَحمَّلوا
أعباءَ مَجدِكِ في الخلودِ وأُوقِروا
فإذا تَصفَّحناكِ سِفْرَ كرائمٍ
لم نَلْقَ إلاّ صُورةً تتكرَّرُ
لخليفةٍ ووَزيرِهِ، ولحاجِبٍ
وأميرِهِ.. ولِمَنْ بهم يَتأطَّر

فَـهُـمُ الـذيـن رَقَّـوْكِ مـجـداً شـاهـقـاً
وبُـنـاتُـهُ، مِـن حَـولِـهِ، تَـتـحـسَّـرُ
وإذا زَرعْـتِ الأرضَ فـجـرَ حَـضـارةٍ
وتـمـدُّنٍ.. سَبَـقـوا لـهـا فـاسـتـثـمـروا
(الـخُـلْـدُ) والـقُـبَـبُ الـشـواهـقُ حـولـه
إبـداعُـهُـمْ.. ويَـدُ الـمُـهـنـدسِ تَـصـفِـرُ
والـفِـكـرُ تَـقـبِـسُـهُ الـقـرائـحُ مِـن هـنـا
وهـنـاكَ.. وهـيَ عـلـى الـلـظـىٰ تَـتـسعَّرُ
فـإذا تَـجـسَّـدَ واسـتـطـالَ جـهـادُهـا
صَـعِـدوا عـلـى شُـرُفـاتِـهِ، وتـجـبَّـروا

⊛ ⊛ ⊛

بـغـدادُ آنَ لـكِ الأوانُ لـتُـرجِـعـي
مـا ابـتـزَّ مِـنـكِ الـحـاكـمـون وزَوَّروا
فَـوراءَ مـجـدٍ يـرفـعـون ضـمـائِـرٌ
تُـعـنـىٰ بـصـدقِ حـديـثِـهِ وتُـفـسِّـر
فَـتَـنـقَّـدي (ذَهَـبـاً) يُـؤطِّـرُ عَـصْـرَكِ الـ
زاهـي بـمـا يُـعـشِـي الـعـيـونَ ويَـبْـهَـرُ
هـل كـان إلاّ مـن (حَـديـدٍ) هَـمُّـهُ
حَـصـدُ الـنـفـوسِ لِـيَـسـتـقـرَّ (الـمِـنـبَـرُ)

وتباركت مُهَجٌ تذوبُ بحَرِّهِ

فتشوبُ كالِحَ لَونِهِ وتُمَوِّرُ

بغدادُ آنَ لكِ الأوانُ لتَحطِبي

خُشُباً بآلاء الشعوبِ تَنَضَّرُ

ما عادَ مجدُكِ يَستكينُ لِفَارِهِ

يَبتَزُّ جُهدَ سواه حين يُؤَمَّرُ

من كل مَشغولٍ بلَيلةِ قَصفِهِ

وصَباحِ نُزهتِهِ، وما يتَبطَّرُ

المالُ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَطرَبُ أغْيَدٌ

بِبليغِ رَنَّتِهِ، ويَرقُصُ أحورُ

فإذا تَطلَّعَ (للسَّوَادِ)[1] بَريقُهُ

بُحَّ الرنينُ به، وغاضَ العُصفُرُ!!

⊛ ⊛ ⊛

بغدادُ لم يَعُدِ الزمانُ كأمسِهِ

فِكَراً تُباعُ، وخاطِراً يُستَأجرُ

وهَزِيلَ رأيٍ أسْمَنَتْهُ على الطَوىٰ

قِيَمٌ بما يَضوىٰ عليه مُفكِّرُ

---

(١) كانوا يسمّون الجماهير بـ (السواد) أو سواد الناس، و(بحّ الرنين) و(غاض العصفر) كناية عن قلة ما يعطى للسواد من دراهم الفضة بدلاً عن بريق الذهب الذي كان (بليغ الرنّة) في البيت السابق.

فَمَضَتْ (كوافيرُ) بريشةِ شاعرٍ[1]

كانتْ تُزوِّقُ خدَّها فتُصعِّرُ

وتَهرّأتْ لُغةُ المَفاخِرِ، فانطوى

(لَقَبٌ) وأوحَشَ لابِسِيهِ مَفْخَرُ

بالأمسِ كان بكِ الأديبُ، وثغرُهُ

أبداً يُسبِّحُ حاكماً ويُكبِّرُ

ويَعُدُّ «رؤيتَهُ التي فازوا بها

من أنعُمِ اللّهِ التي لا تُكفَرُ»[2]

واليوم عادَ، وليس غَيرَ يَراعِهِ

سيفٌ تُراعُ به الطُغاةُ وتُذعَرُ

وعلى شُموخِ ضميرِهِ يَسمو له

ما بين أذرعِ حاضِنِيهِ المِنبَرُ

وبما تَهدَّمَ من بقايا روحِهِ

يبني عزائمَ جيلِهِ ويُعمِّرُ

وإذا دَجا لَيلُ القُنوطِ، وأوشَكَتْ

باليأسِ أجفانُ المنى تَتخدّر..

.. ألقى بوَقْدةِ روحِهِ، فإذا الدجى

مُهَجٌ على اللّهَبِ المخاطِرِ تَجمُرُ

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) كوافير: جمع (كافور) وهو الإخشيدي حاكم مصر، والشاعر: المتنبي.

(٢) البيت للبحتري من قصيدة له في مدح المتوكل.

والآنَ يا بغداد يأزَفُ مَوعِدٌ

لكِ في الخلودِ قلوبُهُ تتنظَّرُ

مِنْ كلّ مَنْ أعطاكِ غَضَّ شبابِهِ

ومضى بذابلِ عُمرِهِ يتعثَّرُ

يَترقبونكِ.. والطريقُ أمامَهم

جَهْمُ المسارب، ضيّقٌ، مُستوعَرُ

يَبِسَ الزمانُ، وهم على أطرافِهِ

عَذِبٌ ـ بما تَعِدِينَهُ ـ مُخضوضِرُ

فتعهَّدي ما يأملونَ وأنعِشي

لُقياهُمُ، فهُمُ بمجدِكِ أجدَرُ

رَفَعوكِ من قِطَعِ القلوبِ وحَقُّهمْ

منكِ الوفاءُ لهمْ بما هو أكثر

وفَعَلْتِ[1].. والحرُ الكريمُ رَهِينَةٌ

لِيَدٍ تُبادِلُهُ السماحَ فيشكُرُ

اليوم (للكنديّ) قَلبُكِ حافلٌ

ويداكِ حاضنةٌ، وعقلُكِ مُكبِرُ

---

(١) في هذا الدور الختامي دعوة لتكريم بُناة بغداد من المفكرين، والأدباء، والشعراء، وقوله (وفعلتِ) إشارة لتكريم الفيلسوف العربي أبي يوسف الكندي الذي زامن تكريمه العيد الألفي لمدينة بغداد.

وغـداً سـيـلـقـاك (الـرضـيُّ) وصـحـبُـهُ
فـي مـوكـبٍ جَـمِّ الـسـنـىٰ يـتـبـخـتـر
وأنـا الـزعـيـمُ بـأنَّ قـلـبـكِ فـي غـدٍ
أنـدىٰ، وأحـفَـلُ بـالـوفـاءِ، وأطـهـرُ
وبـأنَّ يـومَـكِ وهـو عِـيـدُ مُـروءةٍ
سـيُـعـيـضُ عـن غَـدرِ الـهـوىٰ ويُـكـفِّـرُ
١٩٦٢/١١/٨

اللحنُ القديمُ

إلى التي وَدِدتُ أن تكون لي كل شيء..
إلاّ ابنتي

يتمثل الشاعر نفسَه لحناً قديماً من ألحان عبد الوهاب، تعيد شبابَهُ صِيغَةٌ جديدة بصوت فيروز. وهو يهدي قصيدته لـ (فيروزته) لعلّها تصنع به ما صنعت فيروز بـ (جارة الوادي).

قَـرِّبِـي روحَـكِ الـرقـيـقـةَ مِـنّـي

ودعـيـنـي أنـسـىٰ مَـصـارعَ فَـنّـي

أنـا يـا خُـلـوتـي شَـجِـيٌّ مـن الأنـغـامِ

هَـيـمـانُ.. لـم يُـمـتَّـعْ بـأُذْنِ

عَـزَفَـتْـهُ (قِـيـثـارةٌ) لـم تُـمـازِجْـهُ

هـديـراً.. فَـعـادَ أسـوأَ لَـحـنِ

وتَـنـاهـىٰ إلـيـكِ مِـن بَـعـدِ (عـشـريـنَ)

خـلـيّـاً مِـمّـا يَـروقُ الـمُـغـنّـي

فـأعِـيـدي (تَـوزيـعَـهُ) واسـكُـبـي رو

حَـكِ فـيـه.. ثُـمّ أعـزِفـيـهِ.. وغَـنّـي

تَـجِـدِي مَـيّـتَ (الـمـواويـلِ) يَـصـحـو

بـيـن عَـيـنـيـكِ، يـا ضُـحـايَ، وعَـيْـنـي

فَـتَـرِفُّ الـمـنىٰ عـلـى يـأسِ قـلـبـي

ويَـضِـجُّ الـسـنـىٰ عـلـى لَـيـلِ جَـفْـنـي

ثُمَّ تَجري الحياةُ في قَصَبِ الراعي

فينسى قطيعَهُ، ويُغنّي

❀ ❀ ❀

إيهِ (فيروزتي)..

خُذِي: (جارةَ الوادي).. خُذيني

ذُودي رُؤىٰ الموتِ عنّي

جَدِّدي النارَ في دمي.. عَلِّميني:

كيف أفنىٰ على لَظاها وأُفني

قَرِّبيني، لا تجعلي اليأسَ يَضرىٰ

شوكُهُ بين جانحيك وبيني

إنّني أنتِ؟!

- لا.. حَناجرُ أوتارِيَ غَصَّت بما تُريدينَ منّي

لستُ أقوىٰ على ارتعادِ فؤادٍ

حَزَّ في خِصبِهِ جَفافُ التَبنّي

❀ ❀ ❀

لا تثوري..

هيّا أحرقيني، وصُوغي

من رَمادي (أباً) كَشِكلي.. كَلَوْني

أريَحيّاً، سَمْحَ الطِباعِ، رضيّ النفسِ

خُـلْـواً مـن عُـقـدةٍ.. أو تَـجـنّ

غَـيرَ أنّ البـنـتَ الـتـي كَـتَـبَـتْ لـي:

«أنـهـا، بـعـد يـأسِـهـا، وَجَـدَتْـنـي»

سـوف تَـلـقىٰ بـهَـيْـكـلـي كـلّ شـيءٍ

مُـمـتِـعٍ.. غـيـرَ أنّـهـا لـم تَـجِـدْنـي!!

مـا أنـا، يـا حـبـيـبـتـي، غـيـرُ طِـيـنٍ

قـد تَـسـامـىٰ بـفـضـلِ حُـبٍّ وفَـنّ

وأنـا بـالـهـوىٰ صَـعِـدتُ إلـى مـجـدي

وبـالـحُـبّ قـد بَـنَـيْـتُ، وأبـنـي

⊛ ⊛ ⊛

ابنتي أنتِ..؟!

ـ لا.. حَناجِرُ أوتاريَ غَصّتْ بما تُريدينَ منّي

لَستِ بِنتي.. هيهاتَ

أنتِ اللظىٰ الجاحِمُ..

أنتِ السُهادُ يأكُلُ جفني

أنـتِ.. يـا ألـفَ (مَـرحـبـاً) بـهـمـومٍ

فَـارَقَـتْـنـي.. لـكـنـهـا لـم تَـخُـنّـي

أنتِ رُوحي الظمأىٰ أطَلَّتْ مِن الغيبِ

عــلــىٰ وَاحــةِ الــربــيــعِ الأغــنّ

أنتِ عُمري . .

أنتِ أنتعاشَةُ كأسي

أنت شِعْري . .

أنتِ ألتماعَةُ ذهني

أنتِ نَفسُ اللحنِ الذي كُنْتُهُ بالأمسِ هَيْمَانَ . .

عَــادَ أروعَ لَــحــنِ

١٩٦٥/١٠/٢٥

خيوط النجوم

وأرادت أن تُطرّز له شيئاً ولكنها تساءلت: «بأي خيطٍ يا ترى تُطرّز النجوم؟!»

طَرِّزيها بسحرِ عَيْنَيْكِ يا ليلى

بما تَطوِيانِ من أسرارِ

بابتساماتِكِ التي عَلَّمتني:

كيف تَخضَلُّ بالربيع الصَحاري

بدموعٍ أطْلَقْتِها.. وأنا أسمعُ

وَقْعَ النجومِ في أفكاري

ثم لَمْلَمتُها، لأجعلَ منها

في ظلامِ الحياةِ: نُوري.. وناري

طَرِّزيها بهَمْسِ (لَيلتِنا)..

إذْ نحنُ سِرّانِ في ضميرِ (قِطارِ)

إذْ أطلّتْ عيناكِ، تَبْحثُ في عَينيّ:

عن سِرِّ ضَيْعتي.. وانكساري

فتلاقتْ روحي وروحُكِ في شَجوٍ

حَبيبٍ جُنّتْ به أوتاري

ثُمَّ ذُبْنا، مع الظلامِ، بلَحْنٍ

صَهَرَ العُمْرَ كُلَّه في (قَرار)

⊛ ⊛ ⊛

طَرِّزيها بما تَفَتَّقَ عنه

ذِهنُكِ العَبقريُّ من أبكار[1]

بـ (الخميسِ الأخير) بـ (البُقَعِ السوداءِ)

في عينِ (سَوسنٍ) كالدراري

بخيوط الخريفِ في (الشَعرِ الأصفرِ)

تبدو كذابِلِ النُوّارِ

بحروفٍ شَدَّتْ عُيونيَ للنورِ

وَرَوَّتْ من العبيرِ انتظاري

وجِوارٍ لو أنّ لليلِ قلباً

لاكتفىٰ عن تَرَصُّدِ الأقمار

لم تَزَلْ، يا حبيبتي، في رُؤايَ الخُضْرِ

منه كَجَلْوةِ (النَوْبهارِ)[2]

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) الأبكار: جمع بِكْر، وهو أوّل مولود، والمقصود هنا (القصص) التي تأتي أسماؤها بين الأقواس الآتية.

(٢) البهار: نبت طيب الرائحة، ولكن (النوبهار) بالفارسية اسم للجديد منه.

إيهِ شَمْسَ الربيعِ، نامَتْ مَواوِيلِيَ تَعبىٰ..

.. وهــوَّمــتْ أطــيــاري

فــلــمــاذا أثَــرْتِــهــا..

ثمّ مَنْ دَلَّكِ، يا حُلوتي، على أوكاري؟!

الدجىٰ جاثِمٌ بصدري..

وفي عَينيكِ قد غَلْغَلَتْ طُيوفُ نهاري..

أرجــعــيــهــا مــن قــبــلِ أن يُــسـلِـمَ الــزَّوْ

رقُ أحــــلامَــــهُ إلــــى الــــتــــيّــــار

٢٨/١٠/١٩٦٥

إلى القمة الصاعدة

والقمة الصاعدة هي (جامعة النجف الدينية) التي أنشدت هذه القصيدة في حفل افتتاح مدرستها الجديدة في (حي السعد) وقد وافق ذلك ذكرى المبعث النبوي الشريف، فتعرضت القصيدة لذكرىٰ المبعث، وللإسلام، والعروبة، وما آل إليه أمر العرب والمسلمين.

إِضْـعَـدي، لا يَـرُعـكِ دَربٌ عَـسِـيـرُ

فَـجَـنـاحـاكِ: عَـزمـةٌ، وشُـعـورُ

اصـعـدي لا يـرعـكِ لـيـلٌ ـ إذا اشـتـدّ

هُـتـافُ الـصـبـاحِ ـ أيـنَ يـصـيـر؟!

أيـن يُـؤوِي قَـطـيـعَ شُـهْـبٍ تَـولّـى الـ

ـهَـديَ لـلـتـائـهـيـنَ.. وهـوَ ضَـريـرُ؟!

اصـعـدي فـالـخـلـودُ مـا هـوَ إلاّ

خـاطِـرٌ ثـائـرٌ، وقـلـبٌ جَـسـور

لا يُـهَـدهِـد طِـمـاحَ قـلـبِـكِ طـيـفٌ

خـاشـعٌ خَـيـرُ حِـذْقِـهِ الـتـثـبـيـر[1]

كـل تـفـكـيـرهِ ـ إذا ارتَـجّ صَـرحُ الـلـيـلِ

فـيـه ـ: مـاذا يـكـونُ الـمـصـيـر؟!

---

(١) التثبير: الحبس والتعطيل

اصعدي فالنسورُ تَعرِفُ ـ إذْ يَشتدُّ

عَصفُ الرياحِ ـ: كيف تطير

وإذا طاح بينَ سِرْبِ البُزاةِ الـ

شُهبِ طيرٌ رَخْوُ الجَنانِ غَرِيرُ

فعذيرُ الرياحِ، أنْ ليس يَلوي

عَصفَها بالجناحِ رِيشٌ قصير

⊛ ⊛ ⊛

إصعَدي تَصعَدِ المنىٰ ويُروِّي

عاطِشَ المَرجِ نبعُهُ المهجور

ويعود الربيعُ للقِمّةِ الشجراءِ

أودىٰ بنفحِها الزَمهرير

فإذا بالحياةِ تَحتَضِنُ (الشوكَ)

لِيَهتزَّ وهو فرعٌ نَضير

وتُعيدُ الرُواةَ (للشَمَرِ) الفِجِّ

فتكتظُّ بالُلبابِ القُشور

وإذا (القِمّةُ) الجديدة تنسىٰ

أُمسياتِ الخريفِ، وهي تجور

فتغنّي لتَستجيبَ لِنجواها

(عِشاشٌ) من حولها ووُكور

وتُعِدُّ الغَدَ السعيدَ على أضواءِ
ماضٍ إلى الطريقِ يُشير
قِمّتي.. قد يكون ضَرْباً من الأحـ
ـلامِ هذا الذي يُلِحُّ الشعورُ
غيرَ أنّ الحُلمَ الكبيرَ سَيَلقا
هُ على راحَتَيْكِ عزمٌ كبير
وإذا ثارتِ النفوسُ تلاشىٰ
في أعاصيرِ لَفْحِها التحذير

⊛ ⊛ ⊛

قِمّتي، نحن في مَهَبٍّ من (الذكرىٰ)[1]
أَلَحَّ السنىٰ به والعبيرُ
وأضاءَ التاريخَ وَقْعُ خُطاها
وهيَ في خاطِرِ السنينِ تدور
فانْتَخَيْنا، ونحن في المسرحِ الوضّاءِ
وَهْنٌ بشوطِها وفُتور
نجتليها لعلَّ في اللَّهَبِ الصاعدِ
ما يُدفيءُ المنىٰ ويثير

---

(١) ذكرى المبعث النبوي

قِمّتي.. هٰهنا يَشِبُّ على التا
ريخِ يَومٌ تَقتاتُ منه الدهورُ
ويُغذّي اللهيبَ جُرحٌ، لكي يُشرِ
قَ في عُتْمةِ السرىٰ منه نور
فَيُمِدُّ (اليرموكَ) من دَمِ (أُحُدٍ)
عابقٌ - عَطَّرَ الفتوحَ - غزير
وتُروّىٰ من (الجريدِ) المُدمّىٰ
يومَ (بَدرٍ) في (النهروانِ) نحور[1]
ويَهزُّ (النبيُّ) إطراقةَ البِيدِ
فتنسىٰ ذُهولَها وتثور..
وإذا بالسواعدِ السُمرِ تَغزو الدهرَ
والكونُ حولَها مبهور
وإذا بالقِلاعِ من (أَذْرَبيجانَ)[2]
لِسربِ النُسورِ (مِنّا) وُكورُ

---

(١) يقصد أن الدماء التي اريقت في بدر وأحد في بدء الدعوة الإسلامية كانت الرافد الذي نشر الإسلام في الأرض وثبت أركان دولته، (اليرموك) هي المعركة الفاتحة لإحتلال الامبراطورية البيزنطية سنة ١٥ هـ و (النهروان) هي الموقعة التي ثبتت عقيدة المسلمين بعد فتنة الخوارج سنة ٣٨ هـ.

(٢) يقصد (آذربيجان) وهي الآن احدى الجمهوريات - الإسلامية - التي استقلت بعد تفكك الاتحاد السوفياتي وشعبها الآذري لغته التركية.

وارتـفـاعٌ عـلـى أصـطِـدامِ الأعـاصـيـرِ

فـمـا نـحـن والـلـظـى. . والـشـرور!!

قِمَّتي. . نحن في الذرى، نَحْضُنُ (الأنجُمَ)

والـسـفـحُ تَـحْـتَـنـا مَـذعـور

تـتـلـوّى بـه الـحـقـولُ وقـد شَـدَّ

بـأحـقـادِهِ عـلـيـهـا الـهـجـيـر

ويَضوعُ الشَذى، فَيُزكِمُ أنفَ (الليلِ)

نَـتْـنٌ بـروحِـهِ مـوفـور

وإذا غَـنَّـتِ الـبـلابـلُ شَـدَّ الـرُعـبُ

أوتـارَهُ. . وغـنّـى الـزئـيـرُ

فـمـتـى تُـدرِكـيـنَ أنّـكِ لـلـسَفـحِ

غِـنـاءٌ بـروحِـهِ وهَـديـر

وبـأنّ الـسُـفـوحَ ـ مَـهـمـا تَـرَفّـعْـنـا ـ

أُصـولٌ كـريـمـةٌ وجُـذور

❀ ❀ ❀

لِمَ لا يَحتفي (الغَريُّ) ومِلءُ العينِ

مِـنـه هـذا الـصـبـاحُ الـمـنـيـر؟

قـد تَـلَـقَّـتْـكَ بـالـزغـاريـدِ والأفـراحِ

مِـنّـا حـنـاجـرٌ وثـغـور

يا لَهَوْلِ الذكرىٰ!!

أنحنُ الصدى القا هرُ منها، أم الصدى المقهور؟!

أَسْلَمتنا إلى أشتباكِ الأعاصيرِ

رُؤانا.. فَحَطَّمَتْنا الصخورُ

⊛ ⊛ ⊛

قِمّتي.. نحن إذْ تَطوفُ بنا الذكرىٰ

صَداها، وعِطرُها المذخور

وسَناها الذي أرادتْ له الأقدارُ

أنْ تستضيءَ فيه العُصورُ

غيرَ أنّا نُفسِّرُ (المجدَ) - أحياناً -

بما لا يُطِيقُهُ التفسيرُ..

فهوَ حِيناً: تَميُّعٌ وانكماشٌ!!

وهو حِيناً: تَنمُّرٌ وغُرورٌ!!

وهو إنْ هَبّتِ العواصِفُ للهدمِ

- على غيرِ حكمةٍ -: تبريرُ!!

وهو إذْ يبتلي الكِفاحُ (قَضايانا)

هروبٌ مِنْ وجهِها ونُفور

وبحسبِ الربيعِ أنْ تَبسِمَ الزَهرةُ

شكراً له.. وتَشدو الطيور

وخلوداً - أبا العَلاء - فمن صَقلِكَ

هذا القلبُ (التقيُّ) الطهور[1]

أنتَ عَرَّفتَهُ إلى الخيرِ، فاهتزَّ

نَداهُ، وفاضَ هذا النَمِير

واكتشافُ النَبعِ الغزيرِ - إذا أَمْحَلَ

قلبُ الآمالِ - نبعٌ غزير

لا يُقصِّر خُطاكَ (شَوكُ الأراجيفِ)

فَدَربُ الخلودِ دربٌ عسير

يُولَدُ المستحيلُ (وَهماً)، يَعِيثُ الظنُّ

فيه.. ويَسْخَرُ التفكير

فإذا لاحَ هَزَّ عُشنونَهُ (عَجْزٌ)

وأحنى جَبينَهُ (تشهيرُ)

وإلى الملتقى بآمالنا الأخرى

فدربُ المنى إليكَ قَصير

١٩٦٢/١١/٢٣

---

(١) أبو العلاء سماحة السيد محمد كلانتر الذي سعى ببناء المدرسة، ومحمد تقي اتفاق الباذل لبنائها.

عيناكِ مرفأي

هَدَأَ المَوجُ أيُّها الزورقُ الحا

لِمُ، وأرفَضَّ عنكَ عَصْفُ الرياحِ

وأذابتْ شُموخَ لَيلِكَ (عَيْنا

نِ) بما تُوحِيانِ ألفُ صَباح

ويَدٌ ثَرَّةُ المواهبِ كانتْ

لخيوطِ الشِراعِ رِيشَ جَناح

صَعِدتْ بي إلى النجومِ وألقتْ

بينَ أحضانِها رَفيفَ طِماحي

ثُمَّ هَزَّتْ مخاوِفي وأزاحتْ

قِطَعَ اليأسِ عن طريقِ كِفاحي

يا لها من يَدٍ أحالتْ يَبِيسَ الـ

ـشوكِ من لَمسِها خَضِيلَ أقاح

وشِفاهٍ أطْعمتُها الوَتَرَ المَحـ

ـزونَ، فاهْتزَّ عُودُها للنُوَاحِ

ثـمّ غَـنّـتْ.. فـافْـتَـرّ ثَـغـرُ شَـكـاوا
يَ.. وغَـنّـتْ حـتـى شِـفـاهُ جـراحـي

⊛ ⊛ ⊛

الـشِّـراعُ الـمُـخضِـبُ أتـعَـبَـهُ الـجَـز
رُ، فـأغـفـىٰ عـلـى يـد الـمَـلاّحِ
واسْـتـراحَ (الـمِـشَـدُّ) مـن عَـنَـتِ الـريـ
حِ، فـأهـوىٰ شِـلْـواً عـلـى الألـواح
والـمَـجـادِيـفُ أُثـخِـنَـتْ مِـن صـراع الـ
ـمَـوْجِ، فـاسْـتَـسْـلَـمَـتْ كَـسِـيرَ رِمـاحِ
وأمـانـيَّ كـلّـهـا هَـدّهـا الـيـأ
سُ فـأشـلاؤهـا لَـقَـىً فـي الـسـاح
ثُـمّ لا شـيءَ.. غـيـر أنّـكِ فـي مَـرْ
فـأَ وَهْـمـي وَضِـيـئَـةُ الأشـبـاحِ
سَـاعِـدٌ يُـسـنِـدُ الـشِّـراعَ.. وَصَـدْرٌ
يـتـلـقّـىٰ هُـمـومَـهُ بـارتـيـاح
ويـدٌ تـكـشـفُ الـغُـيـومَ بـعَـيْـنَـ
ـيَّ، وتـجـلـو كـأسي، وتَـسـكُـبُ راحـي

⊛ ⊛ ⊛

مَـرفـأي.. يـا سَـفـيـنـتـي.. يـا شِـرَاع الـ
ـحُـبّ نَـشْـوانَ مـن دَمِ الـقـلـبِ صـاحِ

أنقِذِيني.. فالزورقُ الحالِمُ النشـ
ـوانُ ما زال عُـرضـةً للـريـاح

وسَبُوحُ الآمالِ أدنَيْتِهِ مِنّـ
ـي ولكنَّهُ وَشِيكُ الجِماح

كان حُلْماً: أنْ تُورِقَ البَسْمَةُ العَذْ
راءُ، والشعرُ ذابِلُ الأفراح

وحَنينُ السنينِ يَركُضُ في عُمـ
ـري، وقد ضَاعَ شدوُهُ بالصِياح

ولَكِ الحمدُ يا شواطِىءَ عَيْنَيْـ
ـها فَلَيْلِي على رِمالِكِ ضاحِ

وأعصِفي يا رِياحُ.. لن تُطفئي المِصـ
ـباحَ.. ما دامَ قلبُها مصباحي

١٩٦٥/١١/٥

الفكر الخصيب

في أربعين علاّمة العراق، وشاعره
الفذّ، الشيخ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٦.

كَذِبوا.. لَنْ يموتَ فِكرٌ خَصيبُ

وعلى كلِّ خاطرٍ منه طِيبُ

وله هذه العُقولُ الفَتيّاتُ

مَهَبٌّ طَلْقٌ وأفقٌ رَحيب

يتهادىٰ على ذُبولِ أمانيها

فَيَندىٰ فَرعٌ، ويَزهو كَثِيب

ويُغنّي أحلامَها، فإذا القصـ

ـدُ البعيدُ المنالِ، سَهْلٌ قريب

هو بينَ الخواطرِ السُّودِ منها

خاطِرٌ ناصِعُ الخُطى مَشبوب

تَجْتَلِيهِ.. فللضحىٰ الماتِعِ الريَّانِ

رأيٌ.. وللشذىٰ أسلوبُ

وإذا جَفَّتِ القرائحُ رَوًّا

ها (حَمَاسٌ) وذابَ فيها (نَسيبُ)

وهو في حَيْرةِ الشُكوكِ يَقينٌ

وعلى زائِغِ الهوىٰ تأنيب

وله عند مُلتقىٰ الشُبَهِ السوداءِ

مِن ناصِعِ الضميرِ رَقيب

تَرتَجي طُهرَهُ الخطايا وتُلقِي

فَضلَ أدرانِها لديهِ الذنُوب

وإذا اهتزَّ طَيفُهُ في خيالِ

القُبحِ ذابتْ على يَديهِ العُيوب

⊛ ⊛ ⊛

يا أبا أسعدٍ وما ماتَ فجرٌ

أنتَ في رُوحِه السنى المسكوب

تَعِبتْ ألسُنُ النُعاةِ فدونَ الـ

شمسِ سِحرٌ به يَتيهُ الغُروب

وعلى مَدرَجِ الربيعِ الذي غابَ

فُتاتٌ مِن رُوحِه مَوهوب

سوف يَصحو به الثرىٰ، وتَهزُّ الـ

حقلَ، من غَفوةِ الخريفِ، الطُيوبُ

فَقُصارىٰ ما أدركَتْه المنايا

مِنكَ عُودٌ ذاوٍ، وقلبٌ رطيب

وعيونٌ يَشُدُّها لاتقادِ الحرفِ
عَزمٌ على الجهادِ دَؤوب
ثُمّ لا شيءَ غيرَ أنّكَ تبقى
بضميرِ الكتابِ رُوحاً تَلُوب
في خَيالِ السُطورِ منكَ خُمارٌ
وعلى خاطرِ الحروفِ دَبِيب
وَبِرُؤيا الفواصِلِ الغُرِّ، مِن عيـ
ـنيكَ لَمحٌ، ومن لُهاثِكَ طِيب

⊛ ⊛ ⊛

لم تَمُتْ يا أبا سِنانٍ ولكن
أوحَشَ السامِرينَ مِنكَ مَغيب
واستفاقوا، والتّيهُ ما زالَ نَشوا
نَ، وفي غُرّةِ الصَباحِ شُحوب
فأَضلّتْ عُيونَهم مِحنَةُ الإنسانِ
ضاقَتْ على خُطاهُ الدروب
واكتشفنا ونحن في وَسَطِ اللُجّةِ:
أنّ السَفِينَ فيها ثُقوب!
والشِراعَ الذي عَقدْنا عليه
كلُّ آمالِ فجرِنا مَقلوب!

فهدانا لِمَرفأٍ كلُّ ما فيه
ثَقيلٌ على العُيون مُريب
الغريبُ الدَخيلُ أهلٌ.. ورَبُّ الـ
دارِ ما بين ساكنيها غريب
والدِماءُ التي أُريقتْ لتُروِي
ظَمأَ الفتحِ.. من جَناها تَخيب
فانتهينا.. لكنْ إلى: نَكْبةِ الغالبِ
لم يدرِ أنّه المَغلوب!!
وقُصارىٰ الفتحِ الذي أدركتْهُ
غُرَرُ الخيلِ أنّها سَتؤوب

⊛ ⊛ ⊛

أيّها السادرونَ حِلْمَكُمْ عَنّا
فقد تُخطِىءُ الطريقَ الشُعوبُ
قد ظَلَمنا سِياطَكم.. حين قُلنا
ـ وهي تلهو بصبرنا ـ: سَتَتُوبُ!!
وجَهِلناكُمْ سُجوناً وأصفاداً
فقلنا: ستَنجلي وتَذوب!!
وَركِبْنا رؤسَنا، إذ دَعَوْنا الـ
ظُلمَ: ظلماً، ولم نَقُلْ: تأديب!

يــا لــنــا مــن مُــغَــفَّــلــيــنَ، رأوا

عَــذبَ الأمــانــي كــأنّــه الــتــعــذيــب!

فَــتَــلــقَــتْ ظُــهُــورُهــم جِــزيــةَ الــنــقــدِ،

ولــم يَــرعَــوُوا بــهــا أو يــتــوبــوا

عُــذْرُنــا: أنّــنــا بَــلَــوْنــا سِــواكــم

وهــوَ حِــقْــدٌ مُــذعّــرٌ ولَــهــيــب

فــاحــتــمــلــنــاهُ مــا أشــتــكــتْ لَــذعــةَ

الــسَــوْطِ مُــتــونٌ، ولا تَــلــوّتْ جُــنــوب

وأُنــوفٌ أَسِــنَّــةُ الــظــلــمِ هــانــتْ

دُونَ إذلالِــهــا، تَــهــونُ الــكُــعــوب!

⊛ ⊛ ⊛

أيّــهــا الــســادِرونَ حَــسْــبُــكُــمُ الــتّــيْــهُ

فــقــد أيــنــعَ الــوَنــى والــلُّــغــوب

وطَــعِــمــنــا ثِــمــارَهُ.. فــإذا الــصَّــخــ

رُ بِــأفــواهِــنــا لَــذيــذٌ حَــبــيــب

وشَــرِبــنــا مُــرّ الــدمــوعِ فــمــا ضَــاقَ

بــأحــلامِــنــا الــخُــمــارُ الــكــئــيــبُ

وقَــطَــفْــنــا زَهْــرَ الــضَّــيــاعِ فــرفَّ

الــيــأسُ واعــشــوشَــبَ الــرجــاءُ الــجــديــب

قد خَبرناكُمُ سِنيناً، فما أَخلَفَ

في وَعْدِهِ جَهامٌ كَذوب!

وطَوَيْنا السَبعَ العِجافَ.. فهل أجْـ

ـدَبَ زَرعٌ.. أو جَفَّ ضَرعٌ حَلوب!!

وهل ازفَضّتِ البيادرُ

والفلاّحُ مما جَنَتْ يداه سَليب!!

أو تُرىٰ دَارتِ المعامِلُ والعُمّالُ

من حولها رَعيلٌ غَضوب!!

أبداً.. أنتمُ ـ كما قلتُمُ للناسِ ـ:

خيرٌ من السما مَسكوب!!

غَيرَ أنّا ـ والعُذرُ عند كِرامِ الـ

ـناسِ ـ شَعبٌ، مُجرِّبٌ، مُستريب

لا يَراكم ـ إلاّ كما أنتُمُ ـ صَر

عىٰ كؤوسٍ أدارَها (عُرقوب)

فاتركوا الشعبَ لاجتهادِ بَنِيهِ

ولكم في اجتهادِكم مَنْ يُثيب

ليس بِدْعاً، أنْ يُوسِعَ الدَرْبَ

للأجيالِ ركبٌ من الوَنىٰ مَتعوب

❀ ❀ ❀

يـا سِـنـيـنـاً شـابَ الـزمـانُ بـهـا
رُوحاً.. وما شاب عَزمُنا والوثوب
ورِيـاحـاً قـد مَـزَّقَـتْـنـا ولـكـنْ
ما نَسيٰ ضَيْعَةَ الشَمالِ الجَنوبُ
وسِـيـاطـاً قـد آلـمـتْـنـا جـمـيـعـاً
مـا نَـجـىٰ ضـارِبٌ ولا مَـضـروب
ودمـاءً يَـظَـلُّ يَـنْـهَـبُـهـا الـسـيْـ
ـفُ فَـيَـذْوِي.. لأنّـه الـمـنـهـوب
و(شِـعـاراً) نـجـلـو بِـهِ وَحْـشَـةَ الـمَـنْـ
ـرىٰ وكـلُّ الـذي بـهِ مـكـذوب!
وحَـنـيـنـاً إلـى (الـوَراءِ).. وعُـقـبـا
كَ خُـمـودٌ مُـهـوّمٌ يـا لَـهـيـب!
ارْفُـقـي بـالـعـراقِ، قـد ذَبُـلَ الـحُـبُّ
وجَـفَّـتْ مـن الـضِـرامِ الـقـلـوب
وتـسـاوىٰ بـسـمـعِ صَـفْـصـافـةِ الـوادي
غِـنـاءُ الـشـادي بـهـا، والـنـعـيـب
فـمـتـىٰ تُـدرِكـيـنَ أنّ رِيـاحـاً
لـيـس لـلـشـعـبِ مـن هُـداهـا نَـصـيـب
سـتـقـودُ الـظُـلَّالَ حـيـثُ يَـشُـبُّ الـ
ـرعـبُ مِـن حـولِـهـم، وتَـضـرى الـخُـطـوب

❀ ❀ ❀

أيـنَ مِـنّـا (أبـو سـنـانٍ) فـقـد أمـ

حَـلَ قـلـبُ الـرّجـاءِ وهـو خَـصـيـب

إذْ دَعَـونـاهُ فـاسـتـجـابَ.. وكـم صَـوْ

تٍ تـنـاهـى، فـلـم يَـجِـدْ مَـن يُـجـيـب

أيـنَ مِـنّـا تَـحـفُّـزٌ، وانـتـظـارٌ،

واقـتـحـامٌ، عـلـى الـلـظـى، وهُـبـوب

أيـنَ مـنّـا تـلـكَ (الـثـمـانـونَ) مـا نـاءَ

بِـهَـمّ الـشـبـابِ مـنـهـا الـمـشـيـب

واهـدَئِـي يـا رِيـاحُ.. لـن يُـسـلِـمَ الـحـقـلَ

لِـمـا تُـحـرِقـيـنَـهُ شُـؤبـوب

١٩٦٦/٢/١٠

حسّونيّات

حسونٌ هو أولى ثمرات (اللحن القديم) في صيغته الجديدة..
والقصيدتان هدية لطفولته الحبيبة.

- ١ -

حَسّونُ يا أجملَ مِن	كلِّ صِغارِ البَلَدِ
يا وَردةً تَفتَّحتْ	على جَبينٍ ويَدِ
ويا شَذىً تَجسَّدَتْ	أنفاسُهُ في وَلَدِ
يا نَغَماً هَزَّتْ به	(فيروزُ) قَلبَ (مَعبِد)[1]
هَشَّ لَهُ مِن طَرَبٍ	ياسي، وغَنَّتْ عُقَدي

❀ ❀ ❀

حَسّونُ يا قَصيدةً	ما خُلِقَتْ لِمُنشِدِ
فَاتَ (الخليلَ) أنّه	لِوَزنِها لم يَهتَدِ
لكنَّها بِرغمِهِ	ظَلَّتْ نَشيدَ الأبَدِ
(مُحسِّدٌ) أشعرُ بَيـ	ـتٍ لأبي مُحسَّدِ
وخَيرُ طينٍ مَسَّهُ	(فِدياسُ) قَلبُ الوَلَدِ[2]

❀ ❀ ❀

حَسّونُ يا نارِي التي	بالأمسِ أذكَتْ كَبِدي
شَبَّ على حَريقِها	فَوْدِي وشابَ أسْوَدي

---

(١) المغني العربي المعروف نشأ في المدينة ورحل إلى الشام في العصر الأموي.
(٢) محسَّد: ابن المتنبي. وفدياس: نحّات مشهور.

واشتَعَلَتْ حتى الأما		ني الهاجِعاتُ في غدي
حتى إذا لم يَبْقَ لي		غيرُ حُطامِ المَوْقِدِ
طَلَعتَ لي بينَ الرما		دِ جَمرةً لم تَخْمُدِ
أنبَلُ ما في طَبعِها		أنَّ اللظى غَضٌّ نَدِي

❀ ❀ ❀

حَسّونُ يا فُجاءَةً		تَفُوقُ ألفَ مَوْعِدِ
ويا لِقاءً عابراً		عُمْرِيَ منه يَبتدي
كنتَ بعينيها بَري		قاً خافِتَ التَوَقُّدِ
وكنتَ في عينيهِ أخـ		ـلاطَ طُيوفٍ شُرَّدِ
وكنتَ - لا أكتُمُ سِرْ		رَاً - عابِثَ التَوَدُّدِ
إنْ ضَحِكتْ طَلَعْتَ.. أو		غامَتْ فَرَرْتَ مِن يدي
حتى إذا صاحَ الغُرا		مُ: يا عُيونُ زَغْرِدي
أطْلَلْتَ في صَفائها		تَضحَكُ مِن تَرَدُّدي

❀ ❀ ❀

حَسّونُ يا (مُهنّدي)[1]		يا ساعدي يا عَضُدي
يا (كوثري) العَذْبَ ويا		(فِردوسَ) قلبي الغَرِد
ويا هَوىً طَعِمتُهُ		مِن قبلُ في (حُمَيّدي)
فكانَ لي - على الطَوى -		زادي وعَذْبَ مَوردي
يا صُورةً طَبَعتُها		(عَشراً) فلم تُقلَّدِ
لأنني أنا الذي		كُنتُ بها.. لا وَلَدي

١٩٦٧/٩/٢

---

(١) مهند، وكوثر، وفردوس، وحُمَيّد، هم ابناء الشاعر قبل حسّون.

- ٢ -

أهلاً بعينيكَ أبا فلاحِ[1]
يا مالىءَ القلوبِ بالأفراح
وحَاصِدَ اليأسِ.. وزارِعَ المُنى
وساكِبَ البُرءِ على الجِراح
وجاعِلَ الليلِ، لِفرطِ بَهجةٍ،
أجملَ مِن تَوهُّجِ الصباح
يا قارِباً يَخفِقُ في شِراعِهِ
قَلبانِ قد شُدّا على كفاح
ما اسْتَسْلَما يَوماً لعَسفِ مَوجَةٍ
ولا استلانا لـهوىً رِياح
حتى إذا الشاطىءُ مَدَّ كَفَّهُ
يَمسَحُ فيها تَعَبَ المَلّاح

(١) أبو فلاح: الكنية المحببة لمن اسمه (حسن) عند العراقيين.

تَـفَـتَّـقَـتْ رِمـالُـهُ عـن نِـبـتَـةٍ

خَـدّاكَ فـيـهـا زَهـرتـا أقـاح

❁ ❁ ❁

حَـسّـونُ يـا سُـلافَـتـي وراحـي

يـا قـلـبـيَ الـسـكـرانَ وهـوَ صـاح

يـا نِـبـتَـةَ الـحُـبِّ الـتـي حَـمَـيْـتُـهـا

بـأضـلُـعـي عـن لافِـحٍ وَقّـاح

إنْ يَـبِـسـتْ عُـروقُـهـا رَوَّيـتُـهـا

بـأدمـعـي.. لا عَـذِبِ الـقَـراح

أو ذَبُـلـتْ رَفْـرفَ فـوقَ فـرعِـهـا

قـلـبُ أبـيـكَ راعِـشَ الـسَـمـاح

حـتـى إذا أَثْـقَـلَ غُـصـنَـهـا الـجَـنـىٰ

وأَثْـمـرَتْ حَـسُّـونَـهـا أدواحـي

شَـعَـرتُ أنّـكَ أمـتَـلَـكْـتَ قـلـبَـهـا

وأنّـنـي الـخـاسِـرُ فـي قِـداحـي[1]

وأنّ (عُـشّـاً) كـان قـلـبـي وَحـدَهُ

يَـطِـيـرُ فـي رِحـابِـهِ الـفِـسـاح

---

(١) القداح لعبة عربية معروفة، والقداح: جمع قِدْح وهو: سهم الميسر.

زَاحَمَني عليهِ رِيشٌ زَغَبٌ
فَضَاقَ في جَناحِهِ جَناحي

⊛ ⊛ ⊛

يا غَيْرةً أُحِبُّها.. ويا هَوىً
أغارُ من عَبيرِهِ الفَوّاح
دُمْ لي ـ كما أنتَ ـ جَحيماً بارِداً
وجَنَّةً من لَهَبٍ نَفّاح
١٩٦٧/١١/١

إلى: الطليعة الشاعرة

أقيم في جمعية الرابطة الأدبية في النجف موسم ثقافي، كان للشعر فيه النصيب الأوفر، والخطاب للطليعة الشعرية المتصارعة حول الشكل التقليدي والشكل الحديث من شعرنا العربي المعاصر.

أَسرِجي[1] الشِعرَ في قُلوبِ الشَبابِ

وأنظُري فَتْكَهُ بليلِ العَذاب

كم فؤادٍ دَجَا، فما ضَاءَ إلاّ

بِوَمِيضٍ من القوافي العِذاب

وضميرٍ قد أثقَلَتْهُ خَطاياهُ

فَخَفَّتْ بها سُطورُ كِتابِ

وكم ارتدَّ عن مُحلِّقةٍ فِكرٌ

قَصيرُ الخُطى.. ثَقِيلُ الثِياب

كيف يَرقى مع النُسورِ جَناحٌ

لم يَزَلْ طَبعُ رِيشهِ مِن تراب؟!

وثِمارُ العُقولِ، لولا بَريقُ الحَرفِ

ما امتازَ قِشرُها عن لُباب

(١) أسرجَ السراج: أوقده.

نِـعـمـةُ الـشِـعـرِ نِـعـمـةُ الـغَـيـثِ

سِيّـانِ: قَـوافِـيـهِ، أو ضُـروعُ الـسَّـحـاب

فـكـلا الـمـاطِـرَيْـنِ مـا ارفَـضَّ إلاّ

عَبَقاً في:

قَـــرائـــحٍ.. أو رَوَابـــي

⊛ ⊛ ⊛

أَسْرِجِي الشِعرَ تأمَنِي حَيْرَة المَسـ

ـرىٰ فَـدَرْبُ الـنُّـهىٰ كـثـيرُ الـشِـعـاب

فـي رَعـيـلٍ مـن الـسُّـراةِ قُـصـارىٰ

هَـمِّـهِـمْ أنْ يُـوفَّـقُـوا لـلإِيـاب

بَـلَـغـوا الـعَـجْـزَ غـيـرَ أنّ دَعـاوَاهُـمْ

أَبَـتْ أنْ تَـكُـفَّـهـمْ عـن طِـلاب

فـاكْـتَـفَـوا مـن رَهَـافَـةِ الـحِـسِّ أنَّ (الـ

ـوَزْنَ) فـي شِـعـرهـم دَقـيـقُ الـحِـسـاب!!

وأراحُـوا قـلـوبَـهـم مـن مُـعـانـا

ةِ حُـروفٍ كـثـيـرةِ الأتـعـاب

فـانْـتـهـوا لا نَـهـارُهُـمْ بـاردُ الـجـمـرِ

ولا لَـيـلُـهـم لـذيـذُ الـعَـذاب

والـدُّجـىٰ لا يَـطـولُ فـي عـيـنِ صَـاحٍ

والـضـحـىٰ لا يُـنِـيـرُ فـي قـلـبِ خَـابِ!!

⊛ ⊛ ⊛

وَرَعيلٍ لم يَبلُغوا سَرحَةَ[1] الفَنِّ

فَهَاموا مِن حَولِها في ضَباب

ثم راحوا يُبَرِّرونَ ضَلالَ القَصدِ:

أنّ الخُيولَ غيرُ عِراب

فالقوافي لُجْمٌ تَحُدُّ مِن الشَوطِ

وهذي الأوزانُ غَرثى[2] كَوابي!!

وحَلُمنا أنّا سَنَبْني وإيّاهُمْ

قُصوراً مُجَنَّحاتِ القِباب

يَسجُدُ الغيمُ في مقاصيرِها البيـ

ـضِ، ويَعنو لها شُموخُ الهِضاب

فإذا بالتي وَصَلْنا إليها

هِيَ تلكَ البُيوتُ.. بعد خَراب!!

وإذا السَرْحَةُ التي ظَلَّلَتْنا

فَيْأها، كُومةٌ من الأحطاب

ترتمي حَوْلَها المَناقِيرُ لا تَعـ

ـرِفُ مِنقارَ بُلبلٍ من غُراب!!

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) السرحة وجمعها سَرْح: الشجرة لا شوك فيها.

(٢) غرثى: جائعة.

أيُّها العازِفونَ رُبَّ أصِيلٍ

في الأهازيجِ.. خَافِتُ الإِطراب

وغِناءُ الرُّعاةِ عَذبٌ، وإنْ لم

تُعطِهِ بَعضَ هذه الألقاب

أَبعِدوا عن قَضيّةِ الشِعرِ ما لا

تَشتَكي رُوحُهُ من الأوصاب

فقضايا الأفكارِ أنبَلُ قَصداً

من مُلاقاةِ هَمُّها بالتَغابي

لم يكنْ (للخليلِ) حَقٌّ على الشِعرِ

ولا بَيْعةٌ له في الرِقاب

قد سَمِعنا (عَرُوضَهُ) وَلَكَمْ شَقْـ

قَ حُسامٌ ما مَلَّه مِن قِراب

غير أنّا نَخافُ مِنْ صَدَإِ الرو

حِ إذا طالَ هَجرُها لِلإِهابِ

فاملأوا الكأسَ كيف شِئتُمْ ولكنْ

حَاذِروا أنْ يكونَ مُرَّ الشَراب

واكتبُوا الشِعرَ مُتْرَفَ الروحِ والجسـ

ـمِ وخَلُّوا جِدالَنا في الثِياب

فَطِرازُ (الفُستانِ) آخِرُ ما يُلـ

ـفِتُ أنظارَنا لِسِحرٍ كَعَاب

للثأر.. وللفداء

شاركت هذه القصيدة في مِهرجان
الشعر العربي التاسع المنعقد ببغداد في
قاعة الخلد ٢٣ نيسان ١٩٦٩.

لَـمْـلِـمْ جِـراحَـكَ واْعـصِـفْ أيّـهـا الـثـارُ

مـا بَـعْـدَ عـارِ (حَـزِيـرانٍ) لـنـا عـارُ

وخَـلِّ عـنـكَ هَـدِيـرَ الـحـقِ فـي أُذُنٍ

مـا عـادَ فـيـهـا سـوى (الـنـاپـالِ) هَـدَّارُ

وخُـضْ لَـهِـيـبَ وَغـىً لا بـدّ جـاحِـمُـهـا

يـومـاً، فـإنَّ بَـرِيـقَ الـسـلـمِ غـرّار

إنْ تُـحرِقِ البَغيَ.. تَجلو ذُلَّ مَوقِفِنا

أَو تَـحـتَـرِقْ.. فـطـريـقُ الـجَـنـةِ الـنـارُ

عِـشـريـنَ عـامـاً رَكِـبْـنـا ظِـلَّ قـادَتِـنـا

نَـطوِي الـمَـتِيْـهَ ونَـسـرِي حيـثُـما ساروا

إنْ غَـرّبـوا فـمَـهـبُّ الـخـيـرِ غـايـتُـنـا

أو شَـرّقـوا فـمَـدبُّ الـشـمـسِ مِـضـمـار

حتى إذا اشْتَدَّ عَصفُ الريحِ واختلَجتْ

رُؤى الـسـفـيـنِ، وغـامَـتْ فـيـه أقـدار

لم تَدرِ كيف تُدارِي النَوْءَ (صارِيةٌ)

وكيف يَدرَءُ عَسفَ الموجِ (بَحّار)!!

⊛ ⊛ ⊛

ويا أخا الثأرِ لا يُقْعِدْكَ أنّ يداً

وَراءَ جُرحِكَ تَدري كيف تَمتار

تَذوبُ فيهِ حَناناً، وهيَ وَاغِرةٌ

وتَمسحُ التُربَ عنه، وهيَ أوضار

إذا تَجهَّمَ وَجْهُ الحربِ وانقلبَتْ

على الضِفافِ مَعايِيرٌ وأقدار

دَعَتْكَ للسلمِ.. كي تَبقى (صَنِيعَتُها)

في كِفَّةِ النصرِ، مَعقوداً لها الغار

وما دَرَتْ أنّ نارَ الثأرِ يُوقِظُها

سِلمٌ - يَقودُ خُطىَ المغلوبِ - خَوّار

لا سِلمَ حتى نَرى (الأُرْدُنَّ) تَرفُدهُ

مِن الدمِ الحاقِدِ المَغرورِ أنهار

ورَملَ (سِيناءَ) يَحكي أنّ مَن صُرِعوا

مِنّا بهِ أمسِ، في أرماسِهم ثاروا

يَستقبِلونَ خُطى الباغينَ مُدبِرةً

ويُطفِئونَ لَظاها وهيَ أوغار

حتى إذا لم يَلُح من قَيْظِها أَثَرٌ
وعادَ للرَمْلةِ السمراءِ (أيّار)
تَفَتّقوا غُصنَ زَيتونٍ بها خَضِلاً
أرواحُهم في شُمُوخٍ منه أزهار

⊛ ⊛ ⊛

ويا ثَرىٰ القُدسِ لا تَعبأبقافلةٍ
أقدامُها في التُرابِ الطُهرِ أقذار
تَمُرُّ فيكَ بِطاءاً وهيَ مُوقِنةٌ
أنَّ المُخِفَّ بهذا الجمرِ صَبّار
دَعهم يَعبّونَ في (الاقصىٰ) كؤوسَهُم
وتُستَلذُّ لهم في (المَهْدِ) أسمار
دَعهم يَحجّونَ (للمبكىٰ)[1] وما نَسَجتْ
لهم عليه أساطيرٌ وأحبار
فسوف يَصحُونَ يَوماً واللظى حَبَبٌ
والخمرُ دمعٌ ـ كَلَذْعِ النارِ ـ مِدرارٌ
في كلِّ (حائِطِ)[2] كهفٍ، ضَمَّهُم زُمَراً
مُشرَّدينَ، لهم (مَبكىٰ) وزُوّار

(١) (٢) المبكى أو حائط المبكى: جدار السور لهيكل أورشليم يقف اليهود أمامه نادبين خراب الهيكل.

ما عَوّدتنا (يَهوذا) قبلُ أنهمُ
صُبْرٌ لهم باصطناعِ المجدِ أدوار
ولا تَلألأَ في التاريخِ مُنعطَفٌ
لهم عليه عَلامَاتٌ وآثار
لكنها ليلةٌ لا بُدّ وَاجِدةٌ
ضحىً يُفسِّر كيف استأسد الفار
وكيف أصبَحَ صَيْداً في حَبائِلِهِ
جَيشٌ على الجَبَهاتِ الغُرِّ جَرّار
أضغاثُ حُلمٍ ثقيلٍ سوف نَعبرُهُ
وما له غيرَ هذا الجَمْرِ عَبّار

⊛ ⊛ ⊛

ويا أخا الثأرِ لا تَجزَعْ لأنهمُ
قَسَوا عَليكَ.. فإنّ الثأرَ إصرار
في كلّ يومٍ لنا في حِضْنِ رابيةٍ
بَيْتٌ على أملِ (الفادِينَ) يَنهار
دَعهم يَعبُّون من أوداجِ فِتْيَتنا
دَماً تَنِزُّ به في المِحنةِ الدار
وَلْيَفْنَ جِيلُ (أبي عمّار) في وَضَحٍ
يَقودُ فيه لِداتِ الغيبِ عَمّار

وليَحترِقْ جيلُنا الآتي على ضَرَمٍ
وَقُودُهُ مُهَجٌ حَرّىٰ وأعمار
فإن فَنَيْنا، ولم نَفلَح، فإنَّ لنا
رَمْلاً يَهبُّ به للحقد إعصار
إنّا لَمِنْ أُمَّةٍ تارِيخُ ثَوْرتِها
يقولُ: حتى الصُخُورُ الصُمُّ ثُوّار
خُضْنا الوغىٰ، وامتلكناها، فما ارتعدتْ
أرضٌ فَتَحنا، ولا أقوىٰ[1] لنا جار
وحين دارَتْ بنا الأيّامُ دَوْرَتَها
واستعمرتْنا طواغِيتٌ وأشرار
ما نامَ ظالِمُنا إلاّ على حَسَكٍ
ولا تَنبَّهَ إلاّ وهوَ مُنهار

⊛ ⊛ ⊛

وأنتمُ يا شُواظَ الحرفِ[2] مُتَّقِداً
ويا شَذاهُ المُندّىٰ وهو نُوّار
أَسَرَجْتمُ يأسَ هذا الجيلِ فاتّقدتْ
بليلِ أوهامِهِ للفكر أقمار

(١) أقوىٰ القومُ: افتقروا، أوفنيَ زادهم.
(٢) الخطاب لأدباء العرب المجتمعين في مؤتمرهم ببغداد.

وَشَدَّ آنافَهُ في التِّيهِ مُعتَكِراً

روضٌ من الشِعر في بغدادَ مِعطار

من كلّ حَقلٍ عليه طائرٌ غَرِدٌ

وكلِ لونٍ له في الشدوِ مِنقار

بغدادُ دارُكُمُ الأولى وليس لها

إلاّكُمُ - ما استطالَ الدَربُ - دَيّار

و(المِربَدُ)[1] الخِصبُ ما زالتْ قصائِدُكم

من ألفِ عامٍ به تُجنى وتُشتار[2]

وأنتمُ نحنُ في الجُلّى.. وإنْ زَعَمتْ

حُدودُنا السُودُ: أنّا بعدُ أغيار

أعراسُ (وَهرانَ) في (الخُرطومِ) صاخِبةٌ

وجُرحُ (تُونسَ) في (البحرينِ) نَغّار

و(القدسُ) عارٌ طَعِمنا منه دِجلَتَنا

مُرّاً، ومُجَّتْ به في النِيل أثمار

١٩٦٩/٤/٢٣

---

(١) المربد: موضع في البصرة يشبه سوق عكاظ في الحجاز تجري فيه المفاخرة بين الشعراء، وقد اقيمت فيه احدى حفلات مهرجان الشعر ومؤتمر الأدباء العرب هذا

(٢) اشتار العسل: استخرجه وجناه.

أنتِ.. وأنا

قِيلَ لها: ذَهَبَ إلى أهله.
فهُرِعَتْ تَكْتبُ إليه: ومَنْ أكون أنا؟!

تُسائِلُني خُلْوَتي: مَنْ أكونُ إذا أنتَ أبْعَدتَ عن حَيِّنا

وأسْلَمْتَني لرُكامِ الهُمومِ يَعيا بوَطأتِها بَيْتُنا

ويا حَبَّذا لو تَركتَ فؤادي - كما كانَ مِن قَبلُ - جَهْمَ المُنىٰ

تَرِفُّ مَسالِكُهُ باللُّغوبِ فَتَجني خُطاهُ ثِمارَ الوَنىٰ

ولكنَّكَ اقْتَدتَهُ لطريقِ لَذيذِ الضَيَاعِ.. حَبيبِ العَنا

فأبدلتَ حَيْرتَهُ باليقينِ وصَيَّرتَ فَقْرَ رُؤاهُ غِنىٰ

وحَوَّرتَ مِن ظُلُماتِ الشُكوكِ بعَيْنَيْهِ حتى استحالتْ سَنىٰ

وأغدقتَ دمعَكَ في حَقلِهِ فأثقلتَ أفنانَهُ بالجَنىٰ

إلى أنْ أطلَّ على وَاحَةٍ مِن الحُبِّ لم تَزدهِر قبلَنا

وعُشٍّ رأيتُ، على ضِيقِهِ، - وأنتَ معي فيهِ - كلَّ الدُنا

فكيف ذَهَبْتَ وخَلَّفتَني لِليلِ العذابِ وصُبْحِ الضّنَىٰ

أسائِلُ عن طائري وَكْرَهُ وأبحثُ عنه: هُنا.. أو هنا

فَيُخبِرُني كلُّ شيءٍ رآكَ تَعبُّ بكأسي رَحيقَ الهَنا

بأنكَ كنتَ (هُنَا) زائِراً وكان سِوايَ لكَ المَوْطِنا

فإن كان ما زَعَمَتْهُ الظُنونُ قَوْلاً، صَريحَ الهُدىٰ، بَيِّنا

وكان لقلبِكَ، غيري، هَوىً أصِيلٌ.. وأهلٌ..

فقُلْ: مَنْ أنا؟!

⊛ ⊛ ⊛

سؤالٌ يُحيِّرني يا مُنايَ ويُركِبُني شَوطَهُ الأرعَنا
ويَقذِفُ بي حيثُ صَخرُ الطريقِ مُدىً صَلْدةٌ كرؤوسِ القَنا
أهذي التي كَتَبَتْ لي تَقولُ: «مَنْ هِيَ؟!».. قد جَهِلَتْ مَنْ أنا!!
أما كنتُ أنتِ.. وكنتِ أنا وكنّا جميعاً صَدىً بَعضِنا؟!
أما ذُبْتُ فيكِ لَظىً جاحِماً وذُبتِ بقلبي نَدىً لَيِّنا؟!
ألم تَدخُلي أُذُني كِلْمةً مُمَوْسَقةً كَرَفيفِ السنىٰ؟!
وأدخُلُ مِن أُذُنَيكِ بثَوبٍ مِن الشِعرِ قد حِيكَ لي والغِنا؟!
ألم يَتَسلَّقْ شَبابُكِ عُمري فيقلِبَ عَوْسَجَه سَوْسَنا؟!
ألم تَتقحَّمْ ظلامَكِ رُوحي فتَضهرَ مارِدَهُ مُؤمِنا؟!
ألم أنتظِركِ ثلاثين عاماً وتِسعاً.. تَحدّيتُ فيها الفَنا
إلى أنْ نَجمتِ بعُمريَ زَهراً.. وشِعريَ مَعنىً.. وغُصني جَنىٰ
وخَلّفتُ تلكَ الدموعَ ورائي كأنْ لم أُفجِّر بها الأعينا!!

⊛ ⊛ ⊛

فيا طَلْعَةَ الفجرِ، حُلوَ الهبُوبِ، ويا ضِحكةَ القلبِ، عَذبَ المنىٰ
ويا فَرحَةَ العِيدِ، يَبني الصغيرُ على حُلمِها المُرتجىٰ ما بَنىٰ
ويا نَشوةَ الكأسِ ما ذاقَها نَديمُكِ.. لكنّه أدمَنا
لأنتِ ليَ الوَطَنُ المُرتجىٰ وأنتِ بِهِ رَوْعَةُ المقتنىٰ
وأنتِ لي الأهلُ والأصدقاءُ والناسُ كلُّهُم.. والدُّنا
ويا حُلوةَ العَتْبِ ليلُ العذابِ طويلُ الخُطىٰ.. قَصِّريهِ لنا
أتىٰ العيدُ يَحمِلُ للأصدقاءِ هداياهُ محفوفَةً بالثنا
وهذي هَديّةُ عيدي السعيدِ إليكِ، وما هيَ إلاّ (أنا)

١٩٦٥/١١/٦

شهيد الفداء

ألقيت في مؤتمر الأدباء العرب، ومهرجان الشعر المنعقد بمدرّج الجامعة في دمشق ١٩٧٢.

يَبِسَ الجرحُ فانتَفِض يا شهيدُ

نامَ عن ثأرِكَ الكُماةُ الصيدُ!!

العيونُ التي تجمَّرَ فيها الـ

ـسُهْدُ يوماً.. قد مَلَّ منها الرُقودُ!!

والسيوفُ التي تفجَّرَ فيها الـ

ـحِقدُ حتى ذابت عليها الغُمودُ..

.. نَسِيَتْ أنها، وقد أصحر الثأ

رُ تهاوَتْ عليه، وهيَ جَريدُ!

والرماحُ التي رَكَزْنا على الرَمـ

ـلِ نَشاوىٰ، يَتِيهُ فيها الصعيدُ

لم تَزلْ في الثرىٰ الذليلِ حَيارىٰ

تتبارىٰ بذُلِّها.. وتَميدُ!!

وانتشىٰ جَذرُها، فأينَعَ نَصلٌ

أريحيٌّ الجنىٰ، وأورقَ عُودُ!!

كَذِبَ الوَهمُ.. ليس يَعرِفُ طَعْمَ الـ

ـمجدِ رُمحٌ، مُزوَّقٌ، رِعديدُ

الوغىٰ تَصطَلِي حَوالَيْهِ حِقداً

وهوَ في غَمْرةِ الجحيمِ جَليدُ

كُلُّ أحلامِهِ.. إذا اشتدَّ عَصْفُ الـ

ـريحِ في الثائرينَ: «كيف يَحِيدُ»

❀ ❀ ❀

يا شهيد الفداءِ، نحن على الدَّر

بِ، ولكنَّ شوطَنا مكدود

لم نَصِلْ ذِروَةَ السُّرىٰ بَعدُ، فالخيـ

ـلُ عِطاشٌ.. والقَفْرُ جَهمٌ بَليد

ورَعيلُ الفِداءِ بَعدَكَ ضاقَتْ

بخُطاهُ سُهولُنا والنُّجود

فتَنادَتْ عليه ـ والشوطُ نَشوا

نُ ـ فُلولٌ من الأعاصيرِ سُود

وتَبارىٰ (أيلولُنا) و(حَزِيرانُ)..

كلا الفارسَيْنِ شَهْمٌ نَجيدُ!!

غيرَ (أنّا) ـ والأهلُ أدرىٰ ـ عَرَفنا:

كيف نَطوِي قِلاعَهُ، ونُبِيدُ

فـأريـنـاه: أنّ أرضـاً نَـمـا بَـذْ

رأ عـلـيـهـا.. لَـيْـسَـتْ لـه، وهـو عُـودُ

وجِـبـالاً شـابَـتْ عـلـيـهـا الـلـيـالـي

وهـو فـي جِـذعِ كَـرمِـهـا مَـشـدودُ..

.. سَـيَـدورُ الـزمـانُ فـيـهـا فَـيَـغـدو

وهـو عـنـهـا ـ بـسـيـفِـهِ ـ مـطـرودُ!!

يـا لأردُنِـنـا الـجـريـحِ.. أغـالَـتْ

ضِـفَّـتَـيْـهِ: عُـروبـةٌ.. أم يـهـودُ؟!

❀ ❀ ❀

يـا شـهـيـدَ الـفـداءِ، نـحـن عـلـى دَر

بِـكَ، والـذُّلُّ زادُنـا والـوُرود

فـي مَـتِـيـهٍ جَـدبٍ تـمـطّـى بـهِ الـلـيـ

لُ، وأرخـى عِـنـانَـهُ الـتـسـهـيـدُ

وعـلـى طُـرّةِ الـصـبـاحِ الـذي نَـنْـ

شُـدُ رَيـبٌ، مـن مِـحـنَـةٍ، وهُـمُـود

وإلـى (يَـمـنَـةِ) الـطـريـقِ و(يُـسـراهـا)

رُبـىً صَـلْـدَةُ الـصـخـورِ، عَـتُـود

فَـمَـشَـيْـنـا، وأنـتَ تـعـلَـمُ، أنّ الـ

ـسـيرَ فـي مـثـلِـهـا عَـسِـيـرٌ شـديـد

نَتملّىٰ مَصارعَ التّيهِ، حيثُ (الـ
ـنجمُ) أعمىٰ.. والفجرُ، بعدُ، وَليد

وانتهينا، بعد المُغوبِ، إلى (سَرْ
حةِ سَرْوٍ) مَقِيلُها مَهدود

فَحَمِدنا السرىٰ، وقلنا: سنغدو
والضحىٰ في جباهِنا مَعقود

ثُمّ هَبَّ الصباحُ، يَملأُ بُردَيْهِ
(الغَدُ) المُرتجىٰ، وتصحو الرقود

فإذا السَروةُ الغريبةُ أشبا
حُ ظِلالٍ، مع الرياحِ، تَمِيد

وإذا نحن في لظىٰ القيظِ حَقلٌ
أجردُ النبتِ، مُوحِشٌ، مخضود

يتساوىٰ بسمعِهِ ناعِبُ الليـ
ـلِ، وشادٍ، على الضحىٰ، غِرّيدُ!!

❀ ❀ ❀

يا لأحلامِنا الثكالىٰ: أهذا
الكالِحُ الوجهِ فجرُنا الموعود؟!

أثِمارُ (الخمسِ) التي حَشّدتْنا
للوغىٰ: أنّنا قَطيعٌ بَديد؟!

خيرُ ما عندنا حَماسٌ يَشقُّ الـ

ـدربَ للسالِكينَ ..

.. وهو قَعِيد!!

و(خِطابٌ) كجَلْوةِ الوَرْدِ، باقٍ

مِنه في كل مَسْمَعٍ توريدا!

وطريقٌ نحدو به خانِعَ السِلْمِ

ونَدري بأنه مَسدود!!

ثُمَّ ماذا؟!

مأساتُنا أنْ يقولَ الـ

ـبعضُ: لا بُدَّ للأسيرِ القُيود!

وَيْكَ.. إنّ الإسلامَ ما كان إلاّ

نَفَراً جُلُّهم أسيرٌ، طَرِيد

ثمَّ شبَّتْ به عزائمُهُ الغُرُّ

فَرِقَتْ في (السِنْدِ) منه البُنود

وتُرانا، والمسجدُ القُدسُ مِنّا

قِيْدَ باعٍ.. لم نَدرِ كيف نُعيد

هل لنا من صَلاتِنا، بعد هذا الذُّلِّ،

إلاّ رُكوعُها والسُجود؟!

أينَ منا إيمانُنا، والحِفاظُ المُرُّ،

والبأسُ، والظُبى، و(الصمود)؟

طُوِيَ الفتحُ، واستحالَ رَماداً

في الملايينِ جَمْرُهُ المَوْقودا!!

❀ ❀ ❀

عَيَّرونا على الفَخارِ بماضِينا

فقالوا: «غَوَايةٌ وجُمود..

.. وانطواءٌ على القديمِ، وقد نَضَّرَ

قلبَ الصحراءِ هذا الجديدُ

.. شَفَقُ الأمسِ، لن يَعودَ، وفي الأفـ

ـقِ بُروقٌ لغيرِهِ ورُعود.»

- يا دُعاةَ الغدِ الجديدِ..

لنا اليومُ - بما فيهِ - والغدُ المنشود

ولنا الأمسُ - فجرُهُ ودجاهُ -

وشُبوبٌ، عليهما، وخُمود

ولنا، بَعدُ، أنَّ (جَمْراً) صَلَيْنا

كان مِنّا (ضِرامُهُ) والوَقود

و(كؤوساً) قد رَنَّحتْنا وفاضَتْ

ليس فيها لغيرِنا عُنقود

(أمسُنا).. يالمَشرِقِ الشمسِ:

فَتْحٌ عَربيٌّ.. وفَيْلَقٌ محسود

ليس فيه - والحمدُ للّهِ - سَيفٌ

فاتِكُ الغَدرِ، أو سِنانٌ حَقود

عارُنا: أنّنا نسيناه، فاربدّتْ

سَمانا.. وزاحَمَتْنا العبيدُ

كيف يَقوىٰ على العواصفِ غرسٌ

جَذرُهُ في تُرابِهِ موؤد؟

١٩٧٢/١/١٠

مِرْبَدات

المِربَد في البصرة كسوق عكاظ في الحجاز... كان الشعراء يتناشدون الشعر فيهما ويتفاخرون، وقد أريد إحياؤه في العراق، ليكون سوقاً للشعر من جديد، ولكن التفاخر هذه المرة بين الشعر العربي التقليدي وما اصطلح عليه بالشعر الحديث لذلك فضلت أن أضع لها هذا العنوان

ظَمِىءَ الرَملُ، فاهطِلي يا سَماءُ

بُحَّ مِنْ ضَارعِ الحقولِ النِداءُ

وتَلَوَّت على شِفاهِ الأزاهيرِ

صَلاةُ الندىٰ.. وغامَ الرجاءُ

الغِراسُ الرِطابُ، إذْ هَوَّمَ الليـ

ـلُ على خِصبها، وأغفى الرُواء

.. شَبَّ فيها طَيفُ الرمادِ فذابَتْ

بينَ كفّيهِ رُوحُها الخضراءُ

وظِلالُ النخيلِ ما عاد يختا

لُ بنشوىٰ ضِفافِها النُدَماء

غَرِقَتْ في فَمِ (الخليجِ) فضاعَتْ

في خَوابي أُجاجِهِ الصَهْباء

أينَ منها (أبو نُواسٍ) و(بَشّا

رٌ) وجيلٌ من حوله ظُرَفاءُ

تَعِبوا من تَرشُّفِ (النجمِ)، فانثا
لوا على الرملِ، كلُّهم أنضاءُ
ثُمَّ هَبَّ الصباحُ مِن بعدِ ألفٍ
فَصَحا الكأسُ، واستفاقَ الغناءُ
كَذِبَ الظنُّ.. لن تَموتَ على الحَقلِ
غِراسٌ، بُذورُها أحياء
ليس للجدبِ في جُذورِ التِلاعِ
البِيضِ - إنْ أرزَمَ الغمامُ - بَقاء
وبقلب الربيعِ حِضنٌ يَنامُ الـ
ـوردُ فيهِ.. وتَحلُمُ الأشذاء

⊛ ⊛ ⊛

أيّها القادِمونَ من رَهَجِ الأمـ
ـسِ، عليهم من (يومِنا) أزياءُ
تتخطّىٰ بهم رِقابَ الليالي
لُغَةٌ، سَمْحَةُ الرُؤىٰ، مِعطاء
كلّما الْتَاثَ خَطوُها في طريقٍ
جَنَّحَتْهُ طُيوفُها السَمراء
وخَيالٌ صَلْتُ القَوادِمِ، ما ضا
قَ على نَشرِهِ بيومٍ فَضاءُ

أريحيُّ الجناحِ، ما رَفَّ إلاّ

هَدَرتْ تحت ريشِهِ عصماءُ

مَرحباً قد بَلَغْتُمُ دارَنا الأولى

وحتْ لأهلها (الفيحاء)[1]

وانتشى خاطِرُ (الفرزدقِ) إذ عا

دتْ إليه (نوارُهُ)[2] الحسناءُ

وتلقّاكمُ (جَريرٌ) بِسِربٍ

مِن قَوافيهِ، كُلُّهن وِضاءُ

لَسْنَ مِمّا (غَضّتْ نُمَيرٌ)[3].. ولكن

غَضَّ من طَرفِها الصِبا والحياء

وتَناسى (الخليلُ) في نَشوةِ اللُقـ

يا عِتاباً[4]، طغى عليه الوَفاء

فانبرى يُوسِعُ الطريقَ لجيلٍ

عَبَثوا في (عَروضِهِ) كيف شاؤا

---

(١) الفيحاء: لقب البصرة.

(٢) نوار: صاحبة الفرزدق التي قال فيها:

نَدِمت ندامةَ الكُسَعيِّ لمّا غَدَتْ مني مُطلّقةً نوارُ

(٣) اشارة إلى قول جرير وهو من شعراء المربد:

فغُضَّ الطرفَ إنّك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي، عالم البصرة، وواضع علم العروض، واللغة، والنحو، والنكتة في عتاب الخليل مع شعراء الجيل الحديث الذين تمرّدوا على عروض الخليل، وربما على لغته أيضاً.

ثُمّ أصغِي لَعلّهُ يَجِدُ العُودَ

الذي وَقَّعَتْ بِهِ الأبناء

فإذا اللحنُ نَبعُهُ في يدِ (الفنّـ

ـانِ)، والعُودُ صَخرةٌ صَمّاء

يُولَدُ الشِعرُ كيف شاءَ وتَبقى الـ

ـخَمرُ خَمراً، مهما اسْتجدَّ الإناء

۞ ۞ ۞

مَرحباً يا لِداتِ حَرفٍ شَربنا

مُرَّ أقداحِهِ، ونحن ظِماءُ

ثُمّ عُدنا إليه أظمأَ ما كُنّا

قلوباً.. وفي الشفاهِ الماءُ

حَسْبَ الشِعرَ أنّه لَعِبٌ حُلْـ

ـوٌ، وجَمرٌ شُواظُهُ أنداء

يكتسي غُصنُهُ النضارَةَ إذْ تَشْـ

ـتدُّ عُرياً مِنْ حَولِه الصحراء

فإذا أعشَبَتْ تَعرّىٰ.. كأنّ الـ

ـخِصبَ في جَذرِهِ المُكابِرِ داء!!

مِحنةُ الشِعرِ: أنّه في قلوبِ الـ

ـبَعضِ زَهوٌ مُدلَّلٌ وانتشاء

وهُروبٌ من اللظى، واصطلاءُ
بلظىً، جَمرُها الأكولُ إدّعاء
وتَوابيتُ من حروفٍ، يُسجّىٰ الـ
ـشِعرُ فيها، كأنه أشلاءُ
ثم لا شيءَ غير أنكَ تدعوها
بما سَنَّهُ لكَ الأدعياء
فحوالَيْكَ ألفُ منحىً جديدٍ
فتَخيَّر من بينها ما تَشاء
وإذا لم تَجِد بأقربِ من نا
غاكَ أُذناً يَشدُّها الإِصغاء
فسيأتي مع (السرابِ) الذي نُسقاهُ
(نَقدٌ)، مُنزَّهٌ، بَنّاءُ!!
السماءُ الضَحوكُ في عَينهِ قفرٌ
وَوَعرُ القِفارِ فيها سماءُ!!
هكذا تكثُرُ (المذاهبُ) يا شِعرُ
وتَنمو ما بينَها الأسماء
وسيبقىٰ (خَراشُكَ) الغِرُّ لا يَد
ري: أغولٌ أمامَهُ.. أم ظِباء[1]

❀ ❀ ❀

---

(١) اشارة إلى البيت المشهور:
تكاثرت الظباء على خراشٍ فلا يدري خراشٌ ما يصيد

نحن سُمّارُ (مِربَدَيْنِ) سَهِرنا
والدُجى مِن ضُحاهما وَضّاء

رَنّحتنا عليهما أكؤسٌ ذا
بتْ شَمُولاً بِصَفْوِها الشُعَراء

وصَحَوْنا فما اشتكتْ غُربَةَ الرُوحِ
مَعانٍ، ولا تَلَوّىٰ أَدَاءُ

يَشهَدُ النخلُ، والضِفافُ، ورملٌ
لَوّحَتْ حُرَّ وجهِهِ الرمضاءُ

وغديرٌ صافٍ تَقلَّبَ في أيـ
ـدي الأعاصيرِ، وهو ذاكَ الرَوَاء

أنّ عُوداً غنّىٰ عليه جريرٌ
فانتشَتْ خيمةٌ وتَاهَ خِباء

هو ذاك العود الذي نازَعَتْ
(جَيْكورَ)[1] في مجدِ كُوخِهِ الأبهاء

وَتَرٌ واحدٌ، تَغيَّرَ فيه اللحنُ..
والسِحرُ..

والرُؤىٰ..

والعَطاء.

---

(١) جيكور: قرية الشاعر بدر شاكر السيّاب في البصرة.

وتَحامى عن أنْ يَفُلّ لساناً

أحكَمَت شدَّ عُودِهِ البيداءُ

وسنبقى سُمّارَ نجمِكِ يا بيْـ

ـدُ.. وتَبقى لغُولِها الظلماء

ولتكوني ما كنتِ، يا سَرحَةَ اليو

مِ، فهذي أصولُكِ الخضراء

سِدرةُ المنتهى بغير جُذورٍ

حَطَبٌ ما لِفِيحِهِ أفياء

الحانة الغريبة

أعدت هذه المجموعة لتضم ما كتب في منفى الشاعر بين سنتي ١٩٨٠ و١٩٩٤.

لرمادها.. ورماد الوطن

كان حبي لها، لا يعادله قوةً ويعارضه انجاهاً، غير حبي للعراق. واستمر هذا الحب، بهذه القوة، أكثر من ربع قرن، ولكنني أحسستُ أنها، في آخر سنوات الغربة، ابتعدت عني، لا لأن ما بيننا من حب قد فَتَر، فقد ـ والله ـ وجدتُها أقربَ إليّ من نفسي، ولكنّ قَدَراً، لا أعرف له كُنهاً، ولا أملِكُ له علاجاً، حال بيني وبينها، فوجدتُها أبعدَ عني من ذلك الوطن المحترق بنار الحرب ونارِ الأحقاد، فما ألقتُ إلاّ على هذه الدموع وهي تجري في الخطوط المتعرجة بين رمادها.. ورماد الوطن.

عُودِي فقد ضَيَّعتُ بَعدكِ ذاتي

ونَسِيتُ كيف أذوقُ طَعمَ حَياتي

وعَرَفتُ كيف يَتِيهُ في غَمرِ الضحىٰ

طرفٌ لفقدكِ زائغُ النَظَراتِ

وطَفِقتُ أزرَعُ كلَّ صبحٍ مُجدِبٍ

بِوَرِيفِ ما نَضُرتِ مِن سَنَواتي

فإذا بعُمرٍ كنتِ خِصبَ مُروجِهِ

حَطَبٌ لأيامٍ هَجَرتِ مَوَاتِ

يا وَهجَ أشعاري، وزَهوَ خواطري

وضِمادَ أوجاعي، وبُرءَ شَكاتي

عُودي ـ كما قد كنتِ ـ عُشَّ قصائدٍ

تأوي إليكِ مَهِيضَةَ الكَلِماتِ

قد كنتِ تَحتضِنينَها مَذعُورةً

وتُدلِّلِينَ نُفورَها بأناةِ

وتحاولينَ طُموحَ رَخوِ جناحِها
ألاّ يَطيرَ على مَهبٍّ عاتِ
طَارَتْ، وأتعبَها الرفيفُ فلم تجد
وَكْراً كشغركِ مُترَفَ البَسَمات
هيّا أحضِني زَغِباً تَعوَّدَ رِيشُهُ
ألاّ يَراكِ بَطيئةَ اللَمَسات

⊛ ⊛ ⊛

يا ألفَ ليلةِ (شهرزادَ)، حديثُها
أبداً بسمعي ماتِعُ الحَلَقاتِ
ظَمِئَتْ لِسَكْبِ الذِكْرَياتِ مَسامعي
وتَرَقَّبتْ آناءَهنّ.. فَهاتي
وَهَفَت عُيوني للضحى مُتضرِّجا
فوقَ الجبينِ الصَلْتِ والوَجَناتِ
وتنصَّتَتْ رِئتايَ تزعُمُ: أنّها
سَمِعتْ رفيفَ شَذاكِ في النَسَمات
لا كأس تُطفِئ جانِحيّ، وفي فمي
عَطَشٌ لوجهِكِ لافحُ الجَمَراتِ
(بَرَدىٰ) يَرِفُّ فأجتَوِيهِ[1] لأنّني
ضَيّعتُ في عينيكِ عَذْبَ فُراتي

(١) اجتوى البلدَ: كرهَ المقام به.

وأعافُ ظِلَّ (الغُوطَتَيْنِ) لَعلَّني
أتَفيّأُ الهَفْهافَ من سَعَفاتي
حُلُمٌ أفِرُّ إلى خَلُوبِ ظِلالِهِ
من لَذعِ هذا الجمرِ في يَقَظاتي
وتَعِلَّةُ العُشّاقِ ما هو مُنعِشٌ
مَيْتَ الرجاءِ.. وليس ما هو آتِ

⊛ ⊛ ⊛

يا أنتِ، يا وَطَناً حملتُ رُبوعَهُ
في غُربتي، وجَمَعتُهُ بِشَتاتي
عيناكِ مَنبعُ رافِدَيْهِ، ومُلتقى
فَرعَيكِ[1] خُضرُ مُروجِهِ النَضِراتِ
وإذا نَطَقتِ سَمِعتُ عَذْبَ لحُونِهِ
بخريرِ ساقِيةٍ، وعَزفِ رُعاةِ
وأكادُ ـ إنْ هَوّمتِ ـ أحضُنُ قريتي
التَعبى، وقد غَرِقتْ بليلِ سُباتِ
فإذا صَحَوْتِ صَحَتْ مَدارِجُ صِبْيَةٍ
وثُغاءُ ماشِيةٍ، ولَهوُ لِداتِ

---

(١) الفرع: الشَعرَ.

ورأيتُني - وأنا بـ (جِلَّقَ) - مالِئاً

(سوقُ الشيوخِ) عَليَّ سِتَّ جِهاتي[1]

ماذا؟!

أَأَقربُ مِنه حين وجدتُني

أنأى، فتُلصِقُني به نَبَواتي[2]؟

أم أنتِ - يا وَطَناً تركتُ ربوعَهُ

نَهْباً لِنارِ وَغىً ونارِ تِرَاتِ[3] -

أزمعتِ ألاّ تَعكِسيهِ بخاطري

إلاّ كما هوَ: كَالِحَ القَسَماتِ

وطني رمادُ جنائنٍ محروقةٍ

وأنا وأنتِ، هنا، رمادُ حياةٍ!!

١٩٩٠/٩/٢٢

---

(١) جلَّق: دمشق وسوق الشيوخ: بلد الشاعر في العراق.

(٢) النبوة: التجافي والابتعاد.

(٣) جمع تِرَة: الانتقام والظلم.

مصارع الشهداء

كتبت هذه القصيدة تحيةً للدماء الطاهرة التي أراقها حاكم العراق في الوجبة الأولى من شهداء العقيدة، أبناء المرجع الديني الكبير السيد الحكيم، وكانت هذه الوجبة تضم أبا علي السيد عبد الصاحب وإخوانه الثلاثة: الدكتور عبد الهادي، والسيد علاء والسيد محمد حسين عام ١٩٨٣.

مَـرحـبـاً يـا مَـصـارعَ الـشـهـداءِ

طَـهِّـري ذُلَّـنـا بـفـيـضِ الـدمـاءِ

عَـطِـشـتْ (كـربـلاءُ) مـن كـثـرة الـدمـ

ـعِ، وغَـصَّـت جـراحُـهـا بـالـرثـاءِ

فـتَـفـجَّـر يـا حِـقـدُ فـيـهـا ورَوِّي

بـالـنـجـيـعِ الـقـانـي جُـذورَ الـفِـداء

وتَـمَـلَّـيْ يـا رمـلـةَ (الـنـجـفِ الأشـرفِ)

وَردَ الـجُـنـيـنَـةِ الـحـمـراءِ

والـغِـراسَ الـتـي تَـفَـتَّـقَ عِـطـراً

بـيـن أوراقِـهـا دَمُ الأنـبـيـاء

رَوِيَـتْ مـن دِمـا (عـلـيٍّ) بـكـوفـا

نَ، ورَهْـطِ (الـحـسـيـنِ) فـي كـربـلاء

والـدمـاءِ الـتـي صَـبَـغْـنَ بـ (بـاخَـمْـرا)
و(فَـخٍّ)[1] جَـدائـلَ الـرمـضـاء
عَـلَـويّـون مـا تَـرَنَّـحَ يـومـاً
جِـذعُ (زيـدٍ)[2] إلاّ بـوجـهِ مُـضَـاءِ
وعـروقُ (الـنـفـسِ الـزكـيّـة) مـازا
لَـتْ تـغـذّى بـأنـفُـسِ الأزكـيـاء
بـ (حُـسـيـنٍ) و(صـاحـبٍ) و(عَـلاء)
ورعـيـلٍ مـن فِـتـيـةٍ أُمَـنَـاء
خَـضَّـبـوا مَـفـرِقَ الـصـبـاحِ بـمـا يَـسـ
ـوَدُّ خِـزيـاً بـه جَـبـيـنُ الـمـسـاء
واعـصـفـي بـالـذُحـولِ يـا (عـبـدَ شَـمـسٍ)
فـمـصـابـيـحُـنـا لِـغـيـرِ انـطـفـاء

⊛ ⊛ ⊛

مـرحـبـاً يـا أبـا عـلـيٍّ[3] وأهـلاً
بـدمٍ قـد بَـذَلْـتَ جَـمَّ الـعَـطـاء

---

(١) باخمرا: موضع على ستة عشر فرسخاً من الكوفة دارت فيها معركة قتل فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أخو محمد (النفس الزكية) الذي قتل قبله وسيأتي ذكره. و (فخ) وادٍ بمكة على ثلاثة فراسخ منها قتل فيه الحسين بن علي بن الحسن المثلث.

(٢) زيد بن علي بن الحسين الذي قتل وصلب في الكوفة على جذع نخلة، وبقي مصلوباً حتى عششت الفاخته في جوفه.

(٣) هو الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم.

ظَلَّتِ الأرضُ، وهي عَطشى إليه
يتلوّى بها خَضيلُ الرجاء
فعسى تَستَفيقُ ثاراتُ شعبٍ
مَرَنَتْ عينُهُ على الإغفاء
وعسى يُدرِكُ السُراةُ بأنّ الـ
ـليلَ لا ينجلي لفَرطِ الدعاء
تُولَدُ الشمسُ حيث يَحتَدِمُ
الأُفقُ، ويُحمى بالغَيْظ وجهُ السماءِ
أفأنتم: يا سادةَ النجفِ الأَشْـ
ـرَفِ أهدى.. أم رهطُ عاشوراء؟!
أَسْرَجُوا الليلَ بالدماءِ، وأنتم
تُطفِئونَ الضحى بليلِ البُكاء!
فمتى - يا دَمَ الشهيدِ - تُباريـ
ـكَ مِداداً مَحابرُ العُلماء[1]؟!
أرِماحُ الحسينِ صَرعى وأقلا
مُ بَنِيهِ تَضَنُّ بالإفتاء؟!
وخِيامُ الحسينِ نَهْبٌ وحُرّا
سُ حِماها يبكونَها كالنساء

(١) المِداد: الحِبر وفي البيت اشارة إلى القول المعروف: (مِداد العلماء كدماء الشهداء).

وقُصارىٰ ما يرتجي أهلُ هذي الـ

ـدارِ غوثُ الجيرانِ والأصدقاء!!

⊛ ⊛ ⊛

أينَ مِنّا سَناكِ يا (ثورةَ العشـ

ـرين)[1] يَجلو غَياهِبَ الظلماء

أينَ مِنّا رأيٌ كمُنبَلَجِ الصبـ

ـحِ، وعَزمٌ كالزَعزَعِ النَكْباء

و(شيوخٌ) أقلامُهم وسيوفُ الـ

ـهندِ سِيّانِ في الشَبا وَالمَضاء

و(عِقالٌ) كحيَّةِ الرملِ ما نِيـ

ـطَ على غيرِ صَعدةٍ سمراء

أين وَلَّتْ عن شوطِها غُرَرُ الخَيـ

ـلِ فَتِهنا في طِخْيَةٍ عمياء

نَنْتَشي كالعبيد من سَكْرة الذُلّ،

ونَهتزُّ للخَنَا كالإماء

لا نرىٰ في مَتِيهنا غيرَ وَمْضٍ

شاحِبِ الضوءِ مُوغِلٍ في الخفاء

---

(١) ثورة حزيران ١٩٢٠ التي حققت استقلال العراق وقد قام بها علماء النجف وكربلاء.

يتراءىٰ كالنجم في ظَنّنا حيـ
ـناً، وحِيناً حُباحِبَ الصحراء[1]

وعلى جاثِمِ الصُخورِ ضحايا الـ
ـتَّيْهِ مِن قومِنا لَقَىً في العراء

كلَّما أوغَلَتْ خُطانَا تَراكَمْـ
ـنا على بعضِنا من الإعياء

وبنو عَمِّنا[2] تُصفِّقُ - عن عَمْـ
ـدٍ - لتَيْهٍ نسري به وبلاء

وتُغنّي لفارسِ العُربِ؛ كي يُجْـ
ـلَىٰ دُجاها بفِكرِهِ الوضّاء

و(يُصفَّق) شَعبُ العراقِ، فتمحو
يَعربٌ عارَها على (سِيناء)؟!

⊛ ⊛ ⊛

يا لَبؤسِ العراق.. ما سار في الحَلْـ
ـبَةِ إلاّ وشوطُهُ للوَراء؟

---

(١) الحُباحب: ذُباب يتطاير في الليل كالسراج أو كالنار، و (نار الحباحب) يضرب بها المثل في الضعف. يقول أن هذا الضوء الذي نراه في متيهنا نظنه حيناً (النجم الهادي) وحيناً (نار الحباحب).

(٢) بنو عمّنا: هم اكثرية الدول العربية التي ناصَرَتْ حاكم العراق، وسمته (فارس العرب) و (حامي البوابة الشرقية).

رُبْعُ قَرنٍ مضى و(تمّوزُ) مازا

لَ رَماداً بأعينِ البُؤَساء

وسنيناً من الشُّواظِ تَآكَلْـ

ـنا عليها، ونحن صَرعى انْتشاء

وأناشيدُنا لـ (وَحدةِ) شعبٍ

لم تُحقَّقْ حتى من (الرُفَقاء)!

ونغنّي (حُريّةً) لم نَذُقْ مِنـ

ـها سوى ذُلِّ قيدِنا.. والغِناء!

و(اشتراكيّةً) طَحنَتْ بها الأجـ

ـيالَ فارفَضَّ طَحنُنا عن هَبَاء

ثمّ عُدنا، بَعد النِضالِ، إلى جَنْـ

ـناتِ عَدنٍ.. أنهارُها مِن دِماء!

وكرُومٍ مُعَرَّشاةٍ، دَوَالِيـ

ـها بَقايا أعضائِنا البَتْراء!!

وعِراقٍ أبناؤهُ غُربَاءُ

وحِماهُمْ والأهلُ للغُرَباء!

وزعيمٍ تَقدّمي، يرى النا

سَ سواءً: في القتلِ والإيذاء

أريحيٍّ، ثيابُهُ ومَبادِيـ

ـهِ رِقاقٌ كمِطْرَفِ الحِرباء

و(رفيقٌ) يُقدِّسُ (اللاتَ) و(العُز
زَى) و(فَهداً) وسائرَ الأمراء!!

⊛ ⊛ ⊛

أينَ يا (فارسَ العروبة) أمْسَيـ
ـنا.. وكيفَ انتهيتَ في الهيجاء؟!
ومتى تَنجلي ليَالِيكَ عن صُبْحٍ
ولو كان باهِتَ اللألاء!!
مَنْ سيُحيي أعيادَ (ميلادِكَ) الآ
تي، وأوطانُنا بلا أبناء!
أوراءَ الخمسين ألفاً من الأسـ
ـرىٰ، وأمثالُهم على الغبراء..
.. ما يُريحُ اقتناعَ فهدٍ بأنّا
عَرَبٌ، أهلُ نخوةٍ ووفاء!!
وبأنّا ـ من أجْلِ أنْ يَرفعَ السُلـ
ـطانُ عَرشَ (القواعدِ) الشمّاءِ ـ
قد بَذَلْنا دَمَ الرجالِ.. وبِعنا
في هواهُ حتى حِلِيَّ النساء!!
وسيأتي يومٌ نَبيعُ به العِر
ضَ لصَوْنِ (الأميرة الحسناء)!

وأرانا نَبيعُ (بغدادَ) كي يَبـ

ـقىٰ لـ (عَمّانَ) وَارِثُ الأنبياء!!

(مَلِكُ البعثِ)، والرفيقُ المفدّىٰ

وأمينُ (الرسالةِ) العَصماء!!

وإلى الملتقىٰ ببغدادِنا الأُخـ

ـرىٰ.. خِياماً على رُبىٰ (الزرقاء)

٨٣/٨/١٢

على ضفاف الغدير

أنشدت هذه القصيدة في افتتاح (مهرجان الإمام علي) بـ (لندن) بمناسبة مرور ١٤ قرناً على (عيد الغدير) في ١٨ ذي الحجة سنة ١٤١٠هـ.

ظَمِيءَ الشِعرُ أم جَفاكَ الشُعورُ

كيف يَظما مَنْ فيه يجري الغديرُ

كيف تَعنو للجدبِ أغراسُ فِكرٍ

لِعليٍّ بها تَمُتُّ الجذورُ

نَبتَتْ ـ بين (نَهجِهِ) وربيعٍ

من بَنيهِ، غَمْرِ العَطاءِ ـ البُذورُ

وسقاها نَبعُ النَبيِّ، وهل بعـ

ـدَ نَمِيرِ القُرآن يحلو نَميرُ؟

فَزَهَتْ واحةٌ، وَرَفَتْ غصونٌ

ونما بُرعُمٌ، ونَمَتْ عُطورُ

وأعدَّتْ سِلالَها، للقِطافِ الـ

ـغَضِّ مِنّا، قرائحٌ وثغورُ

هكذا يَزدهي ربيعُ عَليٍّ

وتُغنّي على هواه الطيور

شَـرِبـتْ حـبَّـهُ قـلـوبُ الـقـوافـي
فـانـتـشـتْ أحـرفٌ، وجُـنّـتْ شُـطـور
وتَـلاقـى بـهـا خَـيـالٌ طَـروبٌ
وَرُؤىً غَـضَّـةٌ، ولـفـظٌ نـضـيـرُ

⊛ ⊛ ⊛

ظامِيءَ الشِعرِ، ههنا يُولَدُ الشِعـ
ـرُ، وتَـنـمـو نُـسـورُهُ وتـطـيـر
هـهـنَـا تَـنـشـرُ الـبـلاغـةُ فَـرعَـيْـ
ـهـا، فَتَـشْـتـافُ مِن شـذاهـا الـدهـور
(هَـدَرَتْ) حَـولَـهُ بـكـوفـانَ يـومـاً
(ثُـمَّ قـرّتْ).. ومـا يَـزالُ الـهـديـرُ[1]
وَسَـيـبـقـى يـهُـزُّ سَـمْـعَ الـلـيـالـي
مِـنـبـرٌ مـن بـيـانـهِ مـسـحـور
تـتـلاقـى الأفـهـامُ مـن حـولـه شـتّـ
ـىً: فَـفَـهْـمٌ عـادٍ، وفَـهـمٌ نَـصِـيـر
وَيَـعـودونَ.. لا الـعـدوُّ قَـلـيـلُ الـ
ـزادِ مـنـهُ، ولا الـصـديـقُ فـقـيـر

(١) اشارة إلى قول الإمام حين أريد منه الاستمرار في خطبته المعروفة بالشقشقية: إنها شِقْشِقَة هدرت ثم قرت

ظامِيءَ الشعرِ، ههنا: الشعرُ، والفَنُّ،
وصَوتٌ، سَمْحُ البيانِ، جَهِير
بِدعَةُ الشعرِ أنْ تَشُوبَ الغديرَ الـ
ـعَذْبَ في أكؤسِ القصيدِ البُحورُ
وعَليٌّ إشراقَةُ الحبُّ، لو شِيـ
ـبَ بسُودِ الأحقادِ كادَتْ تُنير

⊛ ⊛ ⊛

أيُها الصَاعِدُ المُغِذُّ مع النَجـ
ـم هنيئاً لكَ الجَناحُ الخبيرُ
قد بَهَرتَ (النجومَ) مَجْداً وإشعا
عاً، وإنْ ظُنَّ: أنكَ المَبهور
وبَلَغتَ المَرمى، وإنْ فُلَّ رِيشٌ
وانطوىٰ جانِحٌ عليه كَسِيرُ
ومَلأتَ الدنيا دَوِيّاً، فلا يُسـ
ـمَعُ إلاّ هُتافُها المخمورُ
فَقُلوبٌ على هواكَ تُغنِّي
وأكفٌ إلى عُلاكَ تُشِيرُ
جِيَلٌ للخلودِ، قامَرَ فيها
لاعِبيهِ.. والرابحُ المَقْمُورُ!!

وسيبقى لكَ الخلودُ، وللفا
فِينَ، في ناعِمِ الحريرِ، الغُمورُ
وستُبنى لك الضمائِرُ عُشّاً
ولدنيا سِواكَ تُبنى القصور
وستبقى إمامَ كلِّ شَريدِ
لَزَّهُ الظُلمُ، واجتواهُ الغُرورُ
وسيجري بمَرجِ عذراءَ من (حُجـ
ـرِكَ) نَحرٌ.. تقفو سَناهُ النحورُ[1]

⊛ ⊛ ⊛

سيّدي أيّها الضميرُ المُصفّى
والصِراطُ الذي عليه نسيرُ
لك مَهوى قلوبِنا، وعلى زا
دِكَ نُربي عُقولَنا، ونَمِيرُ[2]
وإذا هَزّتِ المَخاوِفُ روحاً
وارتمى خَافِقٌ بها مَذعورُ

(١) حجر بن عدي الكندي صاحب الإمام علي الذي طُلب منه البراءة منه، فأبى، وقتل هو وابنه وأصحابه في مرج عذرا قرب دمشق.
(٢) نمير: فعل مضارع من مار يمير عيالَه اتاهم بالطعام والمونة، ومنه الآية الكريمة (ونمير أهلنا ونزداد كيل بعير).

قَـرَّبـتْـنـا إلـى جـراحِـكَ نـارٌ
وهَـدَانـا إلـى ثَـبـاتِـكَ نُـور
نحن عُشّاقُكَ المُلِحّونَ في العِشـ
ـقِ.. وإنْ هامَ في هواكَ الكثير
باعَدَتْنا عن (قومِنا) لُغةُ الحـ
ـبِّ فظنّوا: أنّ اللُّبابَ القُشور
بعضُ ما يُبتلَىٰ به الحبُّ هَمْسٌ
من ظنونٍ.. وبعضُهُ تَشهير
إنّ أقسىٰ ما يَحمِلُ القلبُ أنْ يُطـ
ـلَبَ مِنهُ لِنَبضِهِ تفسير
نحن نهواكَ، لا لشيءٍ، سوى أنّـ
ـكَ من أحمدٍ أخٌ ووزير
وحُسامٌ يحمي، وروحٌ تُفدِّي
ولسانٌ يدعو، وعقلٌ يُشير
ومفاتيحُ من علومٍ، حَباها
لكَ، إذ أنتَ كنزُها المذخور
ضَرَبَ الله بين وَهْجَيكُما حَـدْ
داً: فأنتَ المَنارُ وهوَ المُنير
وإذا الشمسُ آذنَتْ بمَغيبٍ
غَطّتِ الكونَ من سَناها البدورُ

❀ ❀ ❀

نـحـن، يـا قَـومَـنـا، وأنـتُـمْ عـلـى دَر

بِ سَـواءٍ، يَـلَـذُّ فـيـه الـمَـسـيـر

غـيـرَ أنّـا نَـسـري إلـى (الـوحـدةِ الـكـبـ

ـرىٰ) ونـدري: أنّ الـطـريـقَ عَـسـيـر

فـي مَـتـيـهٍ تـنـاهَـبَـتْـهُ الأعـاصـيـ

ـرُ، وجُـنّـت بـجـانـبـيـهِ الـصـخـورُ

وعـلـى دَربـنـا إلـى الـقِـمّـةِ الـسـمـ

ـحـاءِ، شَـوكٌ يُـدمِـي، ورمـلٌ يَـمـورُ

وبـنـو عـمِّـنـا تُـراوِحُ فـي الـسـيـ

ـرِ، وتـدري: أنّ الـوقـوفَ خَـطـيـر

ويـقـولـونَ: إنّ نـهـراً مـن الـفُـر

قَـةِ يَـنـشَـقُّ بـيـنـنـا ويَـغـورُ

وعـلـى ضِـفّـتـيـهِ يـمـتَـلـيءُ الـتـا

ريـخُ حِـقـداً.. فـيـسـتـحـيـلُ الـعُـبـور!

صَـدَقـوا... غـيـرَ أنّـنـا لا نُـحِـيـلُ الـ

أمـرَ مـا طـالَ حـولَـهُ الـتـفـكـيـر

بـعـضُ مـا يُـسـتـحـالُ مـن وَحـدَةِ الـرأ

ي قُـصـورٌ، وبـعـضُـهُ تـقـصـيـر

وإذا طـابَـتِ الـنـوايـا تـلاقَـتْ

فـي هـوىٰ الـضِـفّـتـيـنِ مـنـا الـجُـسـور

قَارِبُونَا، نَقْرَبْ إليكمْ، وخلّوا
الحقدَ تَغلي قلوبُهُ وتفور
فسيصحو الطُّهاةُ يوماً، وقد ذا
بتْ بنارِ الأحقادِ، حتى القُدورُ

⊛ ⊛ ⊛

نحن، يا قومَنا، سُراةُ طريقٍ
يَستوي بَدؤنا به والمَصير
قد صَعِدنا به إلى ذُروةِ المجـ
ـدِ، فما عاقَنا اللظى والهجير
واستشارَ الإسلامُ موتىٰ مَوَاضِينا
فَهبّتْ.. وفي شَباها النُشور
وَدَعَتْنا بدرٌ لصَحوَتِنا الأو
لىٰ وأحدٌ، وخيبرٌ، والنَضِير
فَركبْنا مَتنَ الزمانِ، وقُدنا الـ
ـموتَ أعمىٰ، يَسير حيثُ نسير
وأتَينا (هِرَقْلَ)[1] في صِفَةِ (اليـر
موكِ) شُعثاً، فارتجّ فيه السرير

(١) هِرقل: امبراطور بيزنطة الذي جرت المعركة على نهر اليرموك في الأردن بين خمسين الفاً من جيشه وبين طلائع جيش المسلمين فكانت فاتحة احتلال بيزنطة سنة ١٥ هـ.

قـد مَـزَجـنَـا أمـواجَـهُ بـالـعِـقـاصِ الـ

شُـقـرِ فـانـداف طِـيـنُـهُ والـحـريـر

واقـتـحَـمْـنـا (الأبـوانَ) هُـوجـاً فـلا (رُسْـ

تُـمُ) كَـفَّ الـردئ، ولا (أردشـيـر)[1]

اسـألـوه: هـل شـبَّـتِ (الـنـارُ) فـيـه

مُـذ دخـلـنـا، وفـي ظُـبـانـا (الـنـور)

يـا لأمـجـادنـا: أنَـحـنُ بـقـايـا الـ

ـسيـفِ مـنـهـا، أم غِـمـدُهُ الـمـكـسـور

هَـذنـا ذُعـرُنَـا وحـارَتْ سـرايـا

نـا: أغُـولٌ يَـقـودُهـا أم أمـيـر؟!

❁ ❁ ❁

أيّـهـا الـخـانِـعـونَ قـد أيـنَـعَ الـذُعـ

ـرُ، وأعـطـى ثِـمـارَهُ الـتـذعـيـرُ

ومـلأتُـمْ أسـواقَـنـا بـغِـلالِ الـ

جُـبـنِ، حـتـى اسـتـكـانَ مـنّـا الـجَـسـور

فـألِـفـنـا (الـعَـويـلَ) حـيـن نَـبـا فـي الـ

ـسـمـعِ مـن جـائـمِ الأسـودِ (الـزئـيـر)

---

(1) الأيوان: هو أيوان كسرى في المدائن ـ قرب بغداد ـ وأردشير أحد ملوك الفرس، ورستم القائد الفارسي الذي انتصر عليه سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية سنة ١٤ هـ.

واصطنعتُمْ للفكر سُوقَ رقيقٍ
سِيمَ فيه النُهى، وبِيعَ الضمير

فقرأنا ما دبَّجوا من مَعاذِ
ير هُروبٍ، تَخزىٰ عليها السُطور

وسَمِعنا صَوتَ الهزيمةِ، يُخفيـ
ـهِ ـ على بُؤسِهِ ـ خِطابٌ مُثير

وعَلِمنا ـ كما تُريدونَ ـ: أنّ الـ
ـحَربَ في مثل حَالِنا تغرير

وبأنّ الجيشَ الذي سَدَّ عينَ الـ
ـشمسِ ـ ما رَدَّ عادياً ـ مَعذور

والسلاحَ الذي حَشَدنا، فضاقتْ
بضحاياه من بَنِينا، القبور

قد عَذَرنا به الأساطيلَ لم تُر
ـهِبْ سَفيناً، ولم تَهَبْها بحور

وَعَذَرنا حتى (الأواكِسَ)، لم تَكـ
ـشِفْ مَغاراً.. وكيف يَرنو ضَرِير!!

حسبُكُمْ أيّها المَلِيئون نُصحاً
وانهزاماً، فسعيُكم مشكور!

اتركونا.. تُحارِبِ السيفَ أودا
ـجٌ، وتُردي الرُمحَ اللئيمَ صُدورُ

وأريحوا سِلاحَكم، وأعِدُّو

هُ لشعبٍ، تحتَ الرّمادِ، يثور

ودعونا نَرمي الحجارةَ من كفٍّ

صغيرٍ يَحميهِ عَزمٌ كبير

فوراءَ (المِقلاعِ) بأسٌ وصِدقٌ

ووراءَ (الصاروخِ) رُعبٌ وزور

لندن: ٧/ ٥/ ١٩٩٠

من أمس الأمة إلى غدها

عقد في ديترويت بالولايات المتحدة مؤتمر إسلامي تحت شعار (واقع الأمة الإسلامية في العصر الحاضر) بمناسبة مرور ١٤ قرناً على وفاة الرسول الأعظم ٢٧ ـ ٢٩/١٢/١٩٩١ والقصيدة هي استعراض لهذا الواقع الذي تعيشه الأمة.

عُـودِي لأمـسِـكِ يَـنـطـلِـقْ مِـنـكِ الـغـدُ

مـا شَـعَّ فـي دمِـكِ الـنـبـيُّ مـحـمـدُ

يـا أمّـةً يَـبِـسَ الـزمـانُ، وعُـودُهـا

رَيّـانُ مـن نَـبـعِ الـنُّـبـوّةِ أمـلَـدُ

تَـسـرِي بـأعـمـاقِ الـسـنـيـنِ جُـذورُهُ

وتَـشُـدُّ أذرُعَـهُ الـنـجـومُ فـيـصـعَـدُ

ما ارتاعَ من عَسْفِ المُحولِ ولا انثنىٰ

بـيـد الـعـواصـفِ فـرعُـهُ الـمـتـأوِّدُ

ومُـذِ اشـتَـكَـتْ تـلـكَ الـجـنـائـنُ حـولَـهُ

مِـمّـا يَـعِـيـثُ بـهـا الـخـريـفُ الأجـرَدُ

ألـقـىٰ رُواءَ الـهَـدْيِ بـيـن غُـصـونِـهـا

فـأفـاقَ حـتـى الـهـامِـدُ الـمـتـقـصِّـدُ

وسَـرَتْ بـهـا بـعـدَ الـذُّبـولِ غَـضَـارةُ الـ

ـقـرآنِ، تُـخـصِـبُ رُوحَـهـا، وتُـوَرِّدُ

وتَطلّعتْ فإذا بسُنَّةِ أحمدٍ

سُحُبٌ يَفيضُ بها النعيمُ ويَرفُدُ

وإذا النُبوّةُ في الوجوهِ نَضارةٌ

والعقلِ نورٌ.. والقلوبِ تَوَدُّدُ

وإذا بصرعىٰ الجاهليةِ في الوغىٰ

حُمَمٌ.. وفي ليلِ المَتِيهَةِ فرقد

وإذا بمكّةَ وهي صُمٌّ جَنادلٌ

سُودٌ، لمؤتلِقِ الكَواكبِ مَقصِدُ

⊛ ⊛ ⊛

عُودِي لدربِكِ لا يَصُدُّكِ أنّهُ

عَسِرٌ.. ودربُ الآخَرِينَ مُعبَّدُ

وبأنّ أمسَكِ، من متاعبِ شوطِهِ

هَرِمٌ.. ويومَكِ، من صِقالٍ، أمرَدُ

فالمجدُ لا ترقىٰ إليهِ أُمّةٌ

لم يُبْنَ فيها بالضحايا مِصعَدُ

والفكرُ لم يَقْبِسْهُ يوماً خاطرٌ

تَرِفُ المَجسّةِ، من جَليدٍ أبرَدُ

عودي؛ لأنّ غداً طَرَقْتِ رِتاجَهُ

بابٌ ـ بغير جَلالِ أمسِكِ ـ مُوصَد

يُبنىٰ الجديدُ على القديمِ، وخيرُ ما
يَبقىٰ من النَشْبِ الطريفُ المُتْلِدُ
ويَغورُ في النِسيانِ وَهْجُ حَضارةٍ
بَتراءَ، لم يَرفع سناها مَحتِدُ
سُنَنُ الحياةِ: على الرمالِ قِلاعُها
تَهوِي، وفي القِمَمِ المُنيفةِ تخلُدُ

۞ ۞ ۞

يا أمّةَ القرآنِ لم يَذْبُلْ على
شَفَتَيْكِ هذا اللؤلؤُ المتوقّدُ
تَندىٰ به، خَضِلَ البَيانِ، تِلاوةٌ
ويَنثُّهُ، عَطِرَ الخشوعِ، تهجُّدُ
وتثِبُ فيهِ بالفتوحِ سَرِيّةٌ
ويَضِجُّ مِنهُ بالمعارفِ مسجد
ويكاد حتى الصَخرُ لو رَنّتْ به
آياتُهُ، يُصغِي لها، ويُردِّد
هَدَرتْ به لُغَةٌ، كأنّ حُروفَها
من طِيبِ ما حَمَلتْ، شَذىً مُتَجسِّد
تتساءَلُ الكَلِماتُ، وهي تُقِلُّهُ:
مِن أينَ هذا الفارسُ المتفرِّدُ؟!

للشِعرِ تَنبيهُ؟

... ونَـعـرِفُ أنَّـه

بَـوْحُ الـحـيـاةِ، وزَهـوُهـا الـمُـتـمـرِّد

لـكـنّـه مـهـمـا اسـتَـطـالَ يَـظَـلُّ فـي

حَـصَـرٍ، أمـامَ شُـمـوخِـهِ يـتـنـهَّـد

يـا أمـةَ الـقـرآنِ أمـسُـكِ مُـخـصِـبٌ

بـوَرِيـفِ مـا أعـطـىٰ ويـومُـكِ أرْبَـدُ[1]

مـا بـالُـكِ اسـتـدبـرتِـهِ وتـركـتِـهِ

يَـخـتـالُ بـيـن بَـنِـيـهِ وهـو مُـصـفَّـدُ

يُـلـقِـيـهِ فـي حَـلَـكِ الـقـلـوبِ تَـبـرُّكٌ

ويُـذِيـبُـهُ بـيـن الـشِـفـاهِ تَـعـوُّدُ

ويـكـاد يـسـتـجـدي الـهُـدىٰ مِـنْ فِـتْـيَـةٍ

لـولا تَـوهُّـجُ نُـورِهِ لـم يـهـتـدوا

❀ ❀ ❀

يـا أمّـةً بَـهَـرَ الـخُـلـودُ لِـداتِـهـا

فـيـمـا أَقـامَ بـهـا الـبُـنـاةُ وشَـيَّـدوا

وتـألَّـقَ الـتـاريـخُ فـي خُـطُـواتِـهِ

يـجـلـو بـهـا مـا شَـرَّعـوهُ وقَـعَّـدوا:

(١) أربد: مقحِط.

الـعـدلُ أُسٌّ.. والـعُـلـومُ فـريـضـةٌ

والـحُكمُ شوریٰ.. والسياسةُ سُؤدَدُ

والـنـاسُ عـنـد وُلاتِـهـا وقُـضـاتِـهـا

شَـرَعٌ.. سـواءٌ عـبـدُهـم والـسـيّـدُ

والأرضُ أرضُ الـلّٰـهِ لا (كسرىٰ) بـهـا

يَـهَـبُ الحياةَ، ولا (هِـرَقْـلُ) يُـسـعِـدُ

و(مـحـمـدٌ) عُـرُشُ الـمَـمـالـكِ دونَـهُ

قَدراً، عـلـى خَـشِـنِ الـحَـصِـيـرة يـرقُـدُ

و(عَليٌّ) ذو الثَّوْبينِ يكسو (قمبراً)

أغـلاهـمـا ولـه الـرخـيـصُ الأجـرَد

و(الـراشِـدونَ)، خـلائِـفـاً وأئِـمـةً،

مـا بـيـن أقـدام الـرَعـيّـةِ أعـبُـدُ

حتىٰ إذا فَتَحوا الفُتوحَ، وأَسرَجوا الـ

ـدنـيـا، فَـضَـاءَ بـهـا الـزمـانُ الأسـود

وَزَهَـتْ بـوَهْـجِ ذُبـالـةٍ فـي (يَـثـربٍ)

غُـرَفٌ بـأعـلا (طـاشَـقَـنْـدٍ) هُـجَّـدُ

أَلـفـيـتُـنـا يـحـدو طـلائـعَ ركـبِـنـا

تَـيْـهٌ، ويَـغـمـرُهـنّ لـيـلٌ سَـرمَـدُ

وتـشـعَّـبـتْ طُـرُقُ الـمَـتِـيـهِ: فَـشـرَّقَ الـ

أعـمـىٰ.. وغَـرَّبَ فـي دُجـاهُ الأرمـد

⊛ ⊛ ⊛

يــا أمّــةَ الإســلامِ وِقْــفَــةَ حــائــرٍ

تَـزِنِـيْـنَ فـيـهـا: مـا يُـرِيـحُ.. ويُـجـهِـدُ

عـودي لأمـسِـكِ تـركـبـي طُـرُقَ الـهـدىٰ

فـالأرضُ سَـهْـلٌ، والـركـائـبُ حُـشَّـد

وأمــامَ عَــيْــنِــكِ حــاضِــرٌ مــتــقــدِّمٌ

فـيـه مـن الـرَشَـدِ الـوفـيـرُ الأجـوَد

فـتـخـيّـري مـا تَـشـتـهـيـنَ، وجَـدِّدي

هِـمَـمـاً تـكـادُ مـن الـتَّـغَـرُّبِ تـهـمُـدُ

وتـعـدّدي طُـرُقـاً فـلا تُـوهِـي الـسُّـرىٰ

سَـعَـةُ (الـمـذاهِـبِ) والـمـدىٰ مُـتـوحِّـد

فـالـرأي تَـصـقُـلُـهُ الـعـقـولُ، تَـخـالَـفَـتْ

نَـظَـراً، وقـد يُـصـدِيـهِ عـقـلٌ مُـفـرَد

والـخـوفُ لـيـس بـأن نـكـونَ مَـنـاثِـراً

شـتّـىٰ، تُـضِـيءُ لـنـا الـسـبـيـلَ وتُـرشِـدُ

الـخـوفُ أن يُـبْـنـىٰ فـريـقٌ مُـسـلِـمٌ

بـحُـطـامِ آخـرَ، مِـثـلَـهُ، يـتـبـدَّدا

والـخـوفُ مـن لُـقـيـا عَـدوِّكَ شـاهِـراً

لأخـيـكَ صـارِمَ حِـقـدِهِ فـتُـمـجِّـد!!

والـخـوفُ أنَّ (الـعُـنـصـريّـةَ) هَـوَّمـتْ

زَمَـنـاً.. فـأيـقَـظَـهـا الـدمُ الـمُـسـتـورَدُ

والخوفُ أنّ (الطائفيّةَ) تَبتني

أعشاشَها بين العقولِ فنحمَدُ

ونَطيرُ أسراباً نُرفرِفُ حولَها

ونَعُبُّ فَضلَ دمائِنا.. ونُغرِّدُ

❀ ❀ ❀

يا قومُ حَسبُكمُ التفرّقُ في المدىٰ

فالليلُ طاغٍ، والضَياعُ مُعربِدُ

والطائفيّةُ - وهي أسوءُ ما سعىٰ

أعداؤكم فيه - تُصانُ وتُعضَدُ

ويكاد (رَمزُ الطائفيّةِ) - وهو مَنْ

تَدرونَ بُغضاً للتديّنِ - يُعبَدُ

ما انفَكَّ يَلمِزُ مِنْ ذُرىٰ أحسابِنا

حَنَقاً، فَـ (يُعجِمُنا) لكم أو (يُهنِد)[1]

نحنُ العراقُ شُموخُهُ وإباؤهُ

وكريمُ ما أعطىٰ بنوهُ وأنجدوا

عُرُبٌ تكاد عُروقُنا - ممّا بها

من (دارِمٍ) و(مجاشِعٍ) - تتفصّدُ

---

(١) اشارة إلى ما كتبه النظام عن شيعة العراق مرةً بانهم عجم إيرانيون، ومرةً بانهم هنود جاء بهم محمد بن القاسم لما فتح الهند.

وجرىٰ بنا الإسلامُ سَيْلَ حضارةٍ
وتَمَدُّنٍ، يُرغي هُداهُ ويُزبِدُ
وامْتدَّ وَهْجُ (القادسيّةِ) من دِما
آبائِنا.. حتى (الشُعَيْبَةِ) يَشهَدُ[1]
أتكونُ مِحنَتُنا؛ لأنّ قلوبَنا
من نَبْعِ آلِ محمدٍ تَتَزوّد؟!
ويكون عُذرُ بني أبينا أنهم
خُدِعوا ببارقِ ما يَقولُ فأرعدوا؟
هَبْكُمْ صَدَقْتُمْ ما تَنطُّعَ فيه من
خَرقِ اليهودِ مُنافقٌ مُتَهوِّد
أفتسكتونَ، وقد أحالَ خرائباً
مَثوىٰ الأئمةِ، جيشُهُ المستأسِد
حتى كأنّ بكربلاءِ (حائِطَ المَبكىٰ)
وفي النجف (الكِنيسِتُ) يُعقَدُ!!

❀ ❀ ❀

يا رَملَةَ النجفِ الشريفِ تَذكّري
ظَمأَ العيونِ، ففي يَدَيْكِ المورِدُ

(١) القادسية المعركة المعروفة بين الإسلام والفرس. والشعيبة المعركة بين المسلمين والإنكليز، وكلاهما في العراق.

حَنَتْ، فكان لها بذكرِكِ مَسرحٌ
وَشَكتْ، فكان لها برملِكِ إثْمِدُ[1]
أشرَقْتِ بي نَوْراً، وغَرسي ناعمٌ
وزَهوتِ بي ثَمَراً، وعُودي أغْيَدُ[2]
وَوَقيتني غِرَرَ[3] الشبابِ فما الْتَوَتْ
قَدَمٌ، ولا امتدّتْ لِناقِصَةٍ يَدُ
وعَبَرتِ بي نَهْرَ الكُهولةِ، لم يَضِقْ
ذَرعاً بصارِيَتي الشِراعُ المُجهَدُ
حتى إذا (الستّونَ) أثقَلَ جِذْعَها
ثَلْجُ الشتاءِ، وبَاخَ ذاك المَوقِدُ
ألفيتُني ومَلاَبُ[4] رَملِكِ في مدىٰ
عَينيَّ من زُهرِ الكواكب أبعَدُ
ووجدتُني أنأىٰ، وأحمِل في دمي
من ذكرياتِكِ ما به أتجلَّدُ
أعزِزْ عَليَّ بأن أراكِ فَريسةً
لِشُبوبِ وَحشٍ لم يزلْ يترصّد

(١) الأثمد: حجر يكتحل به لشفاء العيون.
(٢) عاش الشاعر في مدينة النجف من طفولته حتى شيخوخته وفي الأبيات اشارة إلى مراحل حياته فيها والأغيد: الناعم المثني من النبات.
(٣) الغِرَر: جمع غِرّة وهي غفلات الشباب وعدم خبرتهم.
(٤) الملاب: طِيبٌ يشبه الزعفران.

يُعوِّضه أنّكِ للعراق منارةٌ
ولشعبِهِ عند الشدائدِ مُنجِد
وبأنّ حمراءَ القِبابِ تُزينُها
لهُمُ، دِماءُ سَراتِها، لا العسجد
فطغى ليَغسِلَ فيكِ عارَ هزيمةٍ
ألقاهُ فيها مَنْ بهم يتمرّدُ
كَذِبَ الغرورُ، فلن يَهُدَّ (عَقيدةً)
سيفٌ لدى (أمّ المعارِكِ) مُغمَدُ

دمشق في: ٢٠/١٢/١٩٩١

في حضن الأم

والأم هنا هي بريطانيا العظمى، التي عاش العراق والخليج وأجزاء كبيرة من الأمة العربية في حضنها، وفي أوائل ١٩٨٠ كان الشاعر يشكو من صداع مزمن زار من أجله لندن، وجرى بينه وبينها حوار شعري، ابتدأ بـ (ملائكة الرحمة) وانتهى بـ (شياطين السياسة).

جِـئـتُـهـا يـومـاً ورأسـي بـالـغُـيـومِ الـسُّـودِ مُـفْـعَـمْ
صـاخِـبـاً أسـمَـعُ فـي صِـدْغَـيْـهِ شـيـئـاً يَـتـحـطّـمْ
واسـتـحـالَ (الـثـلـجُ) فـي فَـوْدَيْـهِ جـمـراً يـتـضـرّمْ
فـتـلـقّـانـيَ مـنـهـا الـصـدرُ، والـسـاعِـدُ، والـفـمْ
ويـرفْـقِ الأمّ فـي طـفـلٍ - عـلـى الـفـاقـةِ - يُـفـطَـمْ
أَسْـلَـمَـتْ رأسـي إلـى حِـضْـنٍ مـن الـرحـمـةِ أرحـم
فـإذا بـالـغـيـمِ يَـنـجـابُ، ودمـعـي يـتـبَـسَّـم

❀ ❀ ❀

سـألـتْـنـي بـالـفَـمِ الأعـجـمِ والـلَّـحـظِ الـمُـتَـرجَـمْ:
مَـنْ تُـرىٰ؟ مـا بـالُ هـذا الـطـفـلِ فـي عـيـنـيـكَ يَـهْـرَم؟
سـيّـدي أَجـزِمُ أنّـي بـالـذي يُـخـفِـيـهِ أعـلَـمْ
لـيـس عـنـي بـغـريـبٍ وجـهُـهُ الـغـارِقُ بـالـهـمّ
والـدمُ الـشـاحِـبُ فـي خَـدَّيْـهِ، والـعـودُ الـمُـهـشّـم

أتــراهُ عَــرَفَ الــحِــضْــنَ الــذي اعــتــادَ فــهَــوَّمْ؟
أمْ تُــرانــي شِــبْــتُ، والــرأيُ إذا شَــاخَ تَــجــهَّــم؟!

❀ ❀ ❀

قــلــتُ: (سَــوْرِي) لــسْــتِ يــا حُــلْــوةُ مِــمــنْ تــتــوهَّــمْ
فــأنــا طِــفْــلُــكِ ذاكَ الــعــربــيُّ الــلــحــمِ والــدَّم
جِــئْــتِــنــي[1] والــلــيــلُ نــشــوانُ عــلــىٰ مَــهْــدِيَ خَــيَّــمْ
وهُــمــودُ الــنــومِ فــي جَــفْــنــيَّ كــالــموتِ الــمُــحــتَّــمْ
فَــرَكَــلْــتِ الــمَــهْــدَ وارْتــدَّتْ فُــلــولُ الــلــيــلِ تُــهــزَم
وتَــوهَّــمْــتُ بــأنَّ الــنــومَ فــي حِــضْــنِــكِ أسْــلَــمْ
فــإذا بــي أرضَــعُ الــحِــقْــدَ بــثــديَــيْــكِ فــأتْــخَــمْ
وأعُــبُّ الــجــهْــلَ، والإذلالَ، والــحِــرمــانَ، والــغَــمْ
وإذا بــالــلــيــلــةِ الــرعــنــاءِ مِــن فــجــرِكِ أكْــرَمْ

❀ ❀ ❀

أنــا يــا سَــيِّــدتــي مِــن شــرقِــكِ الأوســطِ مَــنْــجَــمْ
واحِــدٌ مِــنْ هــذه (الآبــارِ) بــالــثــروةِ مُــتْــخَــمْ
بِــئْــرُ كــركــوكَ، أم الــظــهــرانِ، أم طُــبْــرُقَ.. أمْ.. أمْ
كــلُّــهــا آبــارُكِ الــثَّــرَّةُ حــتــى (بِــئْــرُ زَمْــزَمْ)!!

---

(١) في الأبيات التالية يصف الشاعر مجيء بريطانيا للعراق أيام الأتراك.

وأنا جَنّتُكِ العَذراءُ والحُلمُ المُنَمنَم
لم أزلْ أعنى بأغراسِكِ في قلبي وأهتمّ
الضَنى أثمرَ، والجهلُ رَبا، والحِقدُ بَرْعَم
وأنا أَخزُنُ في قلبي الجنى حتى تَورّمْ
منذ خمسينَ، ودُنياي (دُمىً) تُبنى.. وتُهدَم
ومقاصيرُ وأحراجٌ على الرملة تُرسَم
وأساطيلُ تَخوضُ الوَهْمَ والأدمعَ.. لا اليَمّ
وجِنانٌ يَنفحُ الوَردُ بها نارَ جهنّم

۞ ۞ ۞

كَمْ صَديقٍ كان في المِحنَةِ لي كَفّاً ومِخذَمْ
لم يَعُدْ يحصُدُ مِن جَنّة أشواكي سوى الذمّ
وعدوٌّ لم يزلْ يَجثُمُ في الدار ويَنعَمْ
أَتَرضّاهُ وأفدِي (كلبَهُ) بالخالِ والعمّ
وأُسمّي الذُلَّ: (تطبيعاً)، وأجرَ العرضِ: (مَغْنَمْ)
وانهزامي في الوغى: الرأيَ (الحَضاريَّ) المُسلَّم

۞ ۞ ۞

وإذا لم تكنِ الأمُّ بذكرى الأمس تسأم
قلتُ: مَنْ غيرُكِ قد صَيّرني شِلواً مُخذَّم

وبنى في كلّ (بيتٍ) دولةً عظمى.. وأعظم
مَنْ أقامَ الجيشَ والدستورَ، حتى للمُخيّم!!
أأنا صَيَّرتُ فِرعونَكِ سلطاناً مُعظَّم؟!
وأنا أنبتُّ في الخيمةِ رَأساً يتحكَّمْ؟!
ولَوْ أنّ الأمرَ في تَقسيمِكِ الأوطانَ قَدْ تَمّ
لتحمّلتُ وقلتُ: الشَملُ مِن بَعدِكَ يَلتَمّ
غيرَ أنّ الأمّ من كل الذي صوّرتُ أظلَم
لم تكنْ تَرحَلُ إلاّ والفتى منّا مُقسَّم
اليَدُ اليُمنى - بما تنوي - على اليُسرى تَكتّم!!
وحديثُ الرأسِ يَجتَرُّ سِواهُ القلبُ والفمّ!!

۞ ۞ ۞

وانتهى الأمرُ بنا.. أعلِكُ أحزاني فتَبسَمْ
ثم قالتْ: أزِفَ الوقتُ و(جِيمي) يتألّم

قلتُ: مَنْ جِيمي؟
فَهزَّ الكلبُ أُذنَيهِ ودَمْدَمْ:
أنا.. واذهبْ أنتَ والعُربُ إلى قَعرِ جهنّم
٦/ ٣/ ١٩٨٠

صورتان

طلبت منه صورته، فأهدى لها الصورتين.

هـذه ـ يـا حَـبـيـبـتـي ـ صُـورتـي الأُخْـ

ـرىٰ، أَطـلّ الـخـريـفُ مـنـهـا حَـزِيـنـا

غـاضَ نَـبْـعُ الـصِـبْـا، فَـجـفَّـتْ مُـروجـاً

وانـطـفـىٰ سِـحـرُهُ، فَـشـابَـتْ غُـصـونـا

ونَـدِيـفُ الـثَـلْـجِ الـمُـبـكّـرِ غَـطّـا

هـا، فـأضـحـىٰ نَـيْـسـانُـهـا: كـانـونـا

غـيـرَ أنّـي أرىٰ بـعـيـنـيـكِ لَـمْـحـاً

عَـبـقـريّـاً، وخـاطِـراً مـفـتـونـا

يَـقـرأُ الـشِـعـرَ غـيـرَ مـا يَـقـرأ الـنـا

سُ، ويُـصـغِـي لـغـيـر مـا يَـسـمـعـونـا

فـأَعِـيـدي قِـراءتـي تَـجـدِي الـطِـفْـ

لَ بـعـيـنـيَّ، والـصِـبـا، والـحـنـيـنـا

ودمـاءَ الـشـبـابِ فـي الـشَـعَـرِ الأبْـ

يـضِ يـجـلـو بَـريـقُـهـا (الـخـمـسـيـنـا)

وأنـا، بـيـن صُـورَتـيَّ: أسِـيـرُ الـ
شَـوْكِ حِـيـنـاً، وآسِـرُ الـوَرْدِ حِـيـنـا

⊛ ⊛ ⊛

جئـتُ مـن (رافِـديَّ) أبـحـثُ فـي (الـتَـيْـ
ـمِـيـسِ) عـن راحِـهِ الـتـي يَـصِـفـونـا
فـرأيـتُ الـشـعـورَ مَـلأىٰ بـطُـهـرٍ
دونَـهُ الـعِـهـرُ، خِـفَّـةً ومُـجـونـا
وإذا بـالـكـؤوس تَـنـهَـشُ فـي ثـغـ
ـري، وتـأبـىٰ نُـيـوبُـهـا أنْ تَـلِـيـنـا
فَـتَـلـكَّـأتُ، أكـرَعُ الـظَّـمـأَ الـمُـرَّ،
وأرمـي إلـى الـذِئـابِ الـمَـعِـيـنـا
ثـمَّ هَـبَّـتْ رِيـاحُ (دجـلـةَ) مـن حـو
لـي، وفـاضَـتْ عـيـنـاكِ يـا (سَـبْـريـنـا)!!
مَرْحباً.. أنتِ هٰهُنا؟!
... يـا بَـهـارَ الـ
شَـرْقِ طَـعْـمـاً، ويـا نَـدىٰ الـغَـرْبِ لِـيـنـا
خـائِـرٌ أنـتَ يـا دَمـي، فـارْتَـشِـفْـهـا
قـبـل أن تـغـتـدي بـ(لـنـدنَ) طِـيـنـا
١٩٨٠/٣/٢٤

الصحو الغائم

في عَينَيْ لندن ـ كما في سياستها ـ
ضَبابٌ يحار فيه الزائر، لأول مرة ، وهو
يتطلع لاكتشاف ما في عينيها من صحو

أنـتِ قَـطْـرُ الـنـدىٰ وقـلـبـيَ وردُ

فـلـمـاذا الـجَـفـافُ بـي يَـسـتَـبِـدُّ

مـا لِـعَـيـنـيـكِ تُـومِـئـان فَـتَـخـضَـرُّ

دُروبـي، وتَـسـتـفِـيـقُ، وتَـشـدو

وإذا مـا هَـمَـمْـتُ... سَـدَّ طـريـقَ الـ

نـورِ خَـوفٌ وَراءَ هُـدبِـكِ يَـبـدو

نَـبِّـئـيـني: عـنْ صَـحوِ عَـيـنـيـكِ مـاذا

يـخـتـبـي خَـلْـفَـه.. أبَـرقٌ ورَعـد؟!

أم غـرامٌ بِـمُـتـقِـنـي الـجَـدفِ لـم يَـتـ

رُكْ مَـجـالاً لـسـابـحٍ يَـسـتـجِـدّ؟

أم لأنـي - مِـنْ فَـرطِ مـا ذُبـتُ شَـوقـاً

في المدىٰ الواسِعِ الرؤىٰ - لستُ أبدو!!

❀ ❀ ❀

مِن لُهاثِ الصحراءِ جئتُكِ ظَمآ

نَ، وفي جَانِحيَّ للسُحبِ وَعدُ

فإذا بي أمامَ عَينيكِ و(التَّيْـ

ـمِيسُ) عِطرٌ من حولهنّ وشَهدُ

أتلهّىٰ بكأسِكِ الفارغِ المُرّ

.. وللراحِ في شِفاهِكِ مَدُّ

حُلُمٌ أن أَغُوصَ في خمرِ عَينيـ

ـكِ وأَسرِي مع العُروقِ وأعدو

فإذا ما وَصَلْتُ قلبَكِ، والطيـ

ـنَ الذي في الشَغَافِ كاد يَسُدّ

خُضتُهُ.. واقتحمتُ لُجّتكِ العَذ

راءَ، أُغرىٰ بموجِها، وأشُدُّ

لِيَرىٰ مُجتَلُو ضِفافِكِ: أنّ الـ

ـبحرَ صَافٍ.. وأعينُ الناسِ رُمْدُ!!

١٩٨٠/١/٢٠

أنشودة لوليد الصحراء

يقظان

كانت للشاعر بنت، تركها في العراق طالبةً، يوم خرج قبل اثني عشر عاماً، ثم أكملت دراستها الجامعية، وتزوّجت من قريبٍ لها، قبل الإنتفاضة الشعبانية بأشهر، وحين انتكست الإنتفاضة، فَرّتْ مع ثلاث وستين من أهلها إلى الأهوار، ثم الجزيرة، فصحراء نجد، وفي الصحراء وضعت وليدها البكر (يقظان)، اختارت له هذا الاسم، لأنه من سِمات الذئب، وليذكّرها أنها ولدته في الصحراء.

فإليها، وإلى يقظانها الصغير، بعضَ هذا الحزن الكبير.

نَبِّئوني يا مَن بـ (رفحاءَ)[1] بانوا

كيف يَغفو بلَيْلِها اليَقظانُ

كيفَ هَزّتْ عَواصفُ الرملِ مَهْداً

ضَجِرتْ من بُكائِهِ الأوطانُ

ضاقَ فيهِ حِضنُ الفُراتينِ ذَرعاً

فتَلَقَّتْهُ هذه الكُثبانُ

فَرَشَتْ جَمْرَها له مُهَجُ البيـ

ـدِ، وجادَتْ بشوكِها السَّعدان

وَتَولَّتْهُ بالرَّضاعةِ أثْدا

ءُ السَّوافي وهَدْهَدَتْه الرِعان

ثُمّ غَطّاهُ من لظى القَيظِ لَفْحٌ

أريحيٌّ يَغارُ منه الحَنان!

---

(١) رفحاء: المنطقة الصحراوية التي وضع فيها المهجّرون العراقيون في السعودية.

فاسْتَنامَتْ في (نَجدَ) كالذِئبِ إحدىٰ
مُقلَتَيْهِ.. وفي العِراقِ الجَنان
وهَنيئاً لحاضِني (القائدِ الرَمْـ
ـزِ!)، وما يَحضُنونَ، هذا الرِهَانُ
نامَ أطفالُهمْ لديهِ.. وغَصَّتْ
بِبَقايا أطفالِنا الوِديانُ
غَيْرَ أنّا على الصَحارىٰ، وما هُنْـ
ـنَا، وهُمْ في ذُرىٰ القُصورِ وهانوا

⊛ ⊛ ⊛

يا وَليدَ الصَحراءِ لا تَعرِفُ الصَحـ
ـراءُ عُوداً يَلْويهِ رَخْواً بَنانُ
كُنْ ـ كما أرتَجيكَ ـ عُودَ قَناةٍ
يَتمنّىٰ لو يَعتَليهِ سِنان
إنَّ يوماً وُلِدتَ فيه لَيَومٌ
نَسِيَتْ نَفسَها به الأزمانُ
ضاعَ تاريخُهُ القَريبُ، وشَبّتْ
في حَنايا خُمودِهِ النِيرانُ
فَتَناسىٰ المُدِلُّ بالرُعبِ: أنّ الـ
ـنارَ في كفِّ جاحِميهِ دُخانُ

وبأنّ (الحِزبَ) الذي كان جَيشاً

يُرعِبُ الناسَ هَولُهُ أُلعُبان

والزعيمَ الذي حَشَرنا (حَمُورا

بي) بتمثالِهِ العظيمِ، جَبَان

وبأنّ الشعبَ الذي كان يَوماً

مَرتَعَ الشكِّ، كُلُّه إيمان

ثارَ زَحفاً يُحطِّمُ الخوفَ حتّى

لم يَعُد فيهِ للقُيودِ مَكان

(كربلاآتُهُ) تَناسَتْ مآسِي

ها، وغطّى (عاشورَها) شعبانُ[1]

وانتماآتُهُ لأيّامِ (بَدرٍ)

لم يُبَدِّدْ أحسابَها (نيسان)[2]

❀ ❀ ❀

يا وَليدَ الصحراءِ ذَكِّرْ بَني قَو

مِكَ: أنّ العراقَ كانَ.. وكانوا..

---

(١) كربلاء: موضع المأساة التاريخية التي استشهد فيها الإمام الحسين يوم (عاشوراء). و١٥ شعبان ١٤١١ هـ يوم انتفاضة الشعب العراقي، ويقصد الشاعر: أنّ في كل بيت عراقي كانت مأساة تشبه كربلاء، فتناسى الشعب، يوم انتفاضته كل مآسيه وكربلاآته.

(٢) ٧ نيسان: مولد الحزب الذي يتوهم الرئيس العراقي أن (كل عراقي بعثي وإن لم ينتسب) وقد أظهرت الإنتفاضة إن كل عراقي مسلم ينتمي لأيام بدر.

وسيبقى غيرُ (الفُراتين) لم يَصـ

ـنع عِراقاً، وليَخسىء النِسْيانُ!!

كيف غالوا دَمَ (الشُعَيبةِ) و(العشـ

ـرينَ) ـ و(الكوتَ) واسْتباحوا، وخانوا[1]

كيف تَظمْا بِنتُ (الرُمَيثةِ) في نَجْـ

ـدٍ، وتُسقىٰ فراتَها الذُؤبان

كيف جاءَتْ بنو تميمٍ من (الهِنـ

ـدِ)، وهَلّتْ من (مَكّةَ) التُركمانُ[2]!!

كيف يُنمىٰ إلى (عليٍّ) فتىً يَأ

باهُ، من لُؤمِ عنصرٍ، (مَروانُ)[3]!

ولْيَقُلْ ما يُريدُ، ولْيَنشُرِ الإعـ

ـلامُ ما شاءَ بَثّهُ السلطان

فسيأتي يومٌ به يَنطِقُ الحقـ

ـقُ بَليغاً، ويَخرَسُ الخَيْزران

---

(١) الشعيبة، وثورة العشرين، وموقعة الكوت، والرميثة: أيامٌ خالدة في تاريخ الجنوب العراقي، وهي التي حققت استقلال العراق، وقد تناساها التاريخ العراقي الحديث.

(٢) في البيت تهكّمٌ مما نشرته جرائد النظام العراقي ـ بعد الإنتفاضة ـ عن أصول قبائل الجنوب ـ وأكثرهم من تميم واسد ومالك ـ ويدعي النظام: أن محمد بن القاسم الثقفي حين فتح الهند جلبهم مع الجاموس، أما التركمان ـ فهم موضع اجلالنا ـ ولكن مجيئهم كان للمفارقة الساخرة، بين مجيء بني تميم من الهند، فيقتضي أن الأتراك ـ ومنهم أكثر حكام العراق ـ قد جاؤا من مكة!!.

(٣) اشارة إلى النسب الذي تدعيه الفئة الحاكمة للإمام علي.

وَسَتَنْشَقُّ عن بَنِيها بُطونُ الـ

أرضِ، والغادِرونَ كانوا فبانوا

وبـ (سوقِ الشيوخِ) لا رَمْلِ (رَفحا)

من جديدٍ سَيُولَدُ (اليقظانُ)[1]

وستَرتدُّ كلُّ شاخصةٍ خَجْـ

لى، وتبقى لأهلِها (بَغدان)

الفُراتانِ ماءُ يَعربَ، لا الأتْـ

راكُ ترعاهُما، ولا إيران[2]

⊛ ⊛ ⊛

يا وَليدَ الصحراءِ أنتَ على الصَّحْـ

راءِ نَبْتٌ يُغرى به الأُرجُوانُ

وَلَدَتْكَ الشحناءُ ذِئباً، فكنْ ذِئـ

ـبَ فلاةٍ، في جَوْفِهِ إنسانُ!

أنتَ.. مَنْ أنتَ؟

أنتَ نبعٌ من (الأهـ

ـوارِ) أودَىٰ بجذرِهِ الطُّوفان

وفَسيلٌ في نَخْلةٍ كادَ ـ لولا الـ

حِقدُ ـ يَزهو بِعِذْقِهِ البُستان

---

(١) سوق الشيوخ بلد الشاعر الذي يفترض أن يولد فيه يقظان.

(٢) يَتهِمُ حكامُ العراق ـ وأغلبهُم من السنجق التركي ـ عربَ الشيعة في العراق انهم، إيرانيون يجرّون العراق إلى إيرانهم!! والبيت يقول أن العراق للعراقيين لا لغيرهم.

أنتَ، لولا (الذِئابُ)، ما كنتَ إلاّ
(بُلبلا) كلُّنا له آذان
المُناغاةُ، في صباحِكَ، عِيدٌ
والبُكا، في مَسائِهِ، مِهرَجان
ورَنينُ الأطفالِ أبلَغُ ما تَسْـ
ـمَعُ أُذنٌ، وما يَنُثُّ لِسانُ
وعَزيزٌ عَلَيَّ أنْ تَتَلَقّا
كَ رَقيقاً تِلكَ الصُخورُ الخِشانُ
وتُلاقِيكَ بالأعاصيرِ والأنْـ
ـواءِ في رَمْلِ (رَفحةَ) الأحضان
الضحىٰ من غُبارِها الجَهْمِ لَيلٌ
والدُجىٰ من سَمومِها ضَحيان

⊛ ⊛ ⊛

يا وَليدَ الصحراءِ لولا (دِمشقٌ)
وقلوبٌ، لمّا لَقِيتَ، حِزَانُ
وجذورٌ شَدّتكَ بـ(الأسدِ) الها
درِ تُرعىٰ حُقوقُها وتُصان
لَتَناسَتْكَ يَعربٌ، واستضافَتْـ
ـكَ صِلالُ الفَلاةِ والعِقبان

ولَحيّاكَ من ذرىٰ (نجد) لفحٌ
عَرَبيٌ بـ (أَمنِهِ) يُستعان
أريحيٌ نماه للكَرَمِ البا
ذِخِ (فِهرٌ) وأنجبتْ (عدنان)!
أكثيرٌ عليه أنْ يَفتَحَ الصحـ
ـراءَ للجارِ لَزَّهُ الطغيان!!
ويَحوكَ الهجيرَ خَيمةَ عِزٍّ
اللظىٰ والرمالُ فيها جِفان!!
وإذا اهتزّتِ المقاصيرُ بالأمـ
ـنِ لصَرعىٰ الكويت وهيَ جِنان..
فلأنّ العراقَ مِنّا ـ وهم أهـ
ـلٌ ـ وسعدٌ، وجابرٌ ضِيفان!!
وسِماتُ الكرامِ أنْ يَنزِلَ الضَيـ
ـفُ، وتُجلىٰ عن دارها الوِلْدان!!

❀ ❀ ❀

يا أبا باسلٍ وبعضُ هُمومِ الـ
ـعُربِ أنّ الجُذورَ فيها تُشان
والدماءَ التي تَشُدُّ سِوانا
مَزّقتنا كأنّها العُدوان
العراقيُّ وهو للعُربِ دارٌ
وحُسامٌ لضَيمِهم وَسِنان

وقـلـوبٌ إذا تَـشـكَّـتْ بـ (يـافـا)

طِـفـلـةٌ، شَـبَّ وَقْـدُهـا الـغَـيْـران[1]

وكـأنَّ الـرحـابَ فـي (الـنـجـفِ الأشـ

ـرفِ) مـن فَـرطِ غَـيْـظِـهـا (وَهْـران)

والـعـراقـيُّ حـيـن ثـارَ عـلـى الـظُّـلْـ

ـمِ وغـالـىْ بـجـانِـحـيْـهِ الـهَـوَان

فـاجَـأَتْـهُ أنّ الـعـروبـةَ (أمٌّ)

مـالـهـا ـ عـنـد حُـزنِـهِ ـ أجـفـانُ!!

طَـرَدتْـهُ (هَـوَازِنٌ) فـأجـارَتْـ

ـهُ (قُـريـش).. لـكـنّـهـم (رُومـان)[2]!!

يـا أبـا بـاسـلٍ ولـولا دِمـشـقٌ

ودمٌ فـيـكَ مـاتِـعٌ رَيَّـان

لاعـتـقـدنـا أنّ الـعـروبـةَ (كـأسٌ)

نَـنْـتَـشِـيـهـا.. ودارُ يَـعـربَ (حـان)

---

(١) يافا في فلسطين المحتلة، و (وهران) في الجزائر، وفي البيتين اشارة إلى مواقف العراقيين ـ وبخاصة في النجف ـ من دعم واسنادٍ إلى ثورة الشعبين: الفلسطيني والجزائري، وما بعدهما اشارة إلى تنكر الشعبين، والعرب عامة، لمحنة الشعب العراقي.

(٢) هوازن: احدى قبائل العرب المعروفة، وكانت إذا طردت أحد أفرادها أجارته قريش في مكة، وأعلنت أنه (عشيرها) والسخرية في البيت أن العراقي حين طرد من وطنه أجارته قريش أيضاً.. ولكنهم هذه المرة(قريش الرومان) لا العرب، أي انكلترا حيث مئات الألوف من اللاجئين العراقيين، وحيث قرئت القصيدة.

ضَمَّنا مِنكَ خافِقٌ دونه الأهـ

ـلُ، وبِشرٌ تُنسى به الأحزان

واحتوانا مُجرِّبٌ لو أطاعو

هُ، لضَلَّتْ طريقَها الأشجان

ولكانتْ (أمّ المعاركِ) حُلْماً

ضاقَ فيه (بَوشٌ) وأضغثَ (جان)[1]

١٩٩٢/٢/٢٢

(١) جورج بوش و (جان ميجور) اللذان دبّرا ما سماه النظام بـ (أم المعارك) التي أذلت الأمة العربية، وفي البيتين اشارة إلى (الرسالة) التي بعثها الرئيس السوري محذراً من (لعبة) احتلال الكويت.

تساؤلات

سَيِّدتي ماذا أرىٰ: عَريشُ كَرْمٍ.. أمْ مُقَلْ؟

أمْ زَورقانِ سَابِحا نِ في غَديرٍ من عَسَلْ

طافا بنا فَصَفَّق الـ حبُّ، وعَربَدَ الغَزَلْ؟

وَجَمرتانِ تُسرِجا نِ اللَيلَ والبَدرُ أفَلْ

أم وَجْنتاكِ الغَضّتا نِ أحمرٌ فيهما الخَجَلْ؟

وغُصنُ بانٍ هَزَّهُ الـ ربيعُ في أبهىٰ حُلَلْ

أم شَعرُكِ الحريرُ قد ماجَ بِكتفَيْكِ خِصَلْ؟

وهَمْهَماتُ الريحِ في الـ غُصنِ تلوّىٰ.. واعتدلْ

أم شَفَتاكِ غَمْغَمتْ من رَعَشاتِها الجُمَلْ؟

وأرنبانِ خُوصِرا فارتَعَدا مِن الوَجَلْ

أمْ نَاهِداكِ الراقِصا نِ في خَفَارةٍ ودلّ؟

وضِحكةٌ تلكَ التي أسمَعُ.. أم صدىٰ قُبَلْ

.. تَناغَمَتْ بها شِفا ةُ بَضّةٌ على عَجَلْ؟

أمْ بُلبلٌ صادَفَ في ثغرِكِ عُشّاً فَزَجَلْ؟

⊛ ⊛ ⊛

سيدتي أقسم بالـ ـورد بخدّيك اقتتلْ
والعطر قد شمّ بفر عينك النعيم فانذهلْ
والدرّ من بين يوا قيت الشفاه قد أطلّ
أنّ الذي صوّره الـ ـشعر من (الأصل) أقلّ

⊛ ⊛ ⊛

يا مُخرجَ الوردِ نقيـ ـيّاً من حُشاشةِ الوَحَلْ
ومُبدِعَ الماءِ رَقيـ ـقاً من قَساوَةِ الجَبَلْ
هل أبدَعَتْ كفّاكَ أنـ ـقى أو أرقَّ من (زُحَلْ)؟

١٩٨٤/١٢/١٠

غزوة في البحر الأسود

كَحِّلِي نَاظِرِيَّ فالطَّرفُ أرمَدْ

بِخَضِيلٍ من ناعمِ الشَّعرِ أسوَدْ

لا تَخافي على عيوني فما في

نَبعِ هذا الحَنانِ وَخْزَةُ مِروَدْ

أنا يا خُلوَتي صَريعُ تَثَنِّيهِ

على سَاعِدِي كَلَيلِ المُسهَّد

غارِقٌ في خِضَمِّ لُجَّتِهِ السوداءِ

والزورقُ المُغيثُ تَبعَّدْ

لستُ أدري: أَأَصرَعُ الموجَ أمْ أطـ

ـفو صَريعاً مُمزَّقَ الروحِ مُجهَدْ

ناظِري في الشِراعِ . . والقلبُ في الشاطىءِ . .

والجَدفُ في ذِراعَيَّ هَوَّدْ

أنقِذِيني يا مَنْ غَرِقتُ وإياها

بليلٍ لم أدرِ: أينَ سيمتدّ

الـهـوى - يـا حـبـيـبـتـي - بَـحْـرُ غَـرقَىْ
شـاطِـئـاهُ، مـن كـلّ مـا ظُـنَّ، أبْـعَـدْ

⊛ ⊛ ⊛

أيّـهـا الـواحَـةُ الـتـي لـسـتُ أدري
كـيـف صـادَفْـتُـهـا ودَرْبـيَ أجْـرَدْ
فـي بـلادٍ وَرِثْـتُ فـيـهـا (أبـا الـطـيّـ
ـبِ) غُـربَ الـلـسـانِ، والـوجـهِ، والـيَـدْ
فـحـنـا ظِـلُّـهـا عَـلَـيَّ.. ونـامَـتْ
غُـربـتـي.. واسـتـراحَ خَـوفُ الـمُـشـرَّدْ
وعـلـى حِـضْـنِـهـا وفَـوقَ الـروابـي
الـخُـضـرِ راحـتْ هُـمـومُـهُ تـتـوسَّـدْ
لا تَـظُـنّـي بِـيَ الـظُّـنـونَ فـمـا ضَـيْـ
ـفُـكِ لِـصّـاً.. ولا حِـمـاكِ مُـهـدَّدْ
لستِ لي..
بـلْ لـهُ.. ومـا أنـا إلاّ
طـائِـرٌ هَـزَّهُ الـربـيـعُ فـغـرَّدْ
١٩٨٤/١٢/١٥

حوارٌ صَامِت

شَفَتاكِ بالنيران تَشتعِلُ
فعلى مَ تَبرُدُ فيهما القُبَلُ
وضِرامُ خَدِّكِ أمسِ ذابَ بهِ
ثَلْجُ السهولِ، وصَوَّحَ الجَبَلُ
ما بالُهُ انطفأتْ بَشاشَتُهُ
وذوىٰ بِوَهْجِ نُضارِه الجَذَلُ
يا رَوضةً أنفاسُ فُلفُلِها
حَرّىٰ، وَوَهْجُ بَهارِها ثَمِلُ
إنّي لأكفُرُ بالورودِ إذا
غَطّىٰ تَوهُّجَ خدِّها كَسَلُ
لو أنزلوني (الخُلدَ) بارِدَةً
يَمّمتُ شطرَ (النارِ) أبتهِلُ

❀ ❀ ❀

أمسِ استضافَتْنا على مِقَةٍ[1]
شَفَتاكِ، والخدّانِ، والمُقَلُ

---

(١) المقة: الحب.

وأصابعٌ كالعاج تحسِبُها:
- بين الكؤوس الحمرِ تنتَقِلُ -
أغصانَ بَلُّورٍ تلألأَ في
أحشائهنّ الزُبدُ والعَسَل
وتَرنّحَ الأضيافُ من كَرَمٍ
فالسّهلُ أخضرُ، والمدىٰ خَضِلُ
و(مَوائدُ) الجيرانِ تسألُنا:
- والخمرُ فوقَ ظهورِها خَجِلُ -:
ماذا؟ أتَصحو؟ والكؤوسُ لظىً!!
وتُعَربِدونَ؟ و(شايُكُمْ) وَشَلُ!!

❀ ❀ ❀

وجرىٰ حِوارٌ تحتَ مائِدةٍ
دُرنا عليها، صامِتٌ، عَجِلُ
بَطَلاهُ: أقدامٌ، تَناقَرُ في
شَجوٍ، كما تَتَناقَرُ الحَجَلُ
قالتْ بهِ قَدَماكِ شارِحةً
ما التاثَ فيهِ طَرفُكِ الوَجِلُ
يا أفصَحَ النَقَراتِ تُرسِلُها
أنثىٰ، فَيَفهَمُ لثْغَها رَجُلُ

أتـعـطّـلـتْ كَـلِـمـاتُـنـا، فَـجَـرَتْ
بـيـن الـمَـفـاصِـلِ تـرقُـصُ الـجُـمَـل؟!
أم لـلـهـوىٰ، فـي كـل جـارحـةٍ،
لُـغَـةٌ بـهـا الأرواحُ تَـتـصِـلُ؟
١٩٨٤/١٢/٢٠

تحية لألفية الشيخ المفيد

معلم الأمة

كنت أتمنى أن تقف هذه القصيدة في إحدى قاعات بغداد عاصمة العلم والحكمة والأدب ومدينة معلّم الأمة وشيخها أبي عبد الله المفيد العكبري العربي القحطاني - لولا الظروف القاسية التي أحاطت بذكراه الألفية - وكان وفاء طهران لمن انتفعت به علماً، وعقيدة، وحضارة، هو المعادل النوعي لِتَنَكُّر بغداد لبناة عصرها الذهبي وحضارتها الخالدة، والقصيدة من وحي هذا الوفاء وذلك النكران.

جُذورُكَ في بَغدادَ ظامِئَةٌ سَغبى

وظِلُّكَ في طِهرانَ يَحتضِنُ العُربا

وأنتَ ربيعٌ من جِنانِ محمدٍ

تَضوَّعَ في أردانِ (سَابورَ) إذْ هبّا

كأنّ مَجاني (عُكبرا)[1] حين أخصَبَتْ

تَذوّقُ في أفواهِ جاراتِها الخِصبا

وأنّ دماً مِن قلبِ (قحطانَ) لم يَجد

شَرايينَهُ، فاختار من (فارسٍ) قلبا

فَهبّتْ له أوداجُها وعُروقُها

ولاقتْ على كفيهِ مَنهلَها العَذبا

وعُقباكِ يا بغدادُ أنّكِ عاقِرٌ

وإنْ كنتِ أنجبتِ العباقرةَ الشُهبا

(١) عكبرا: بلد الشيخ المفيد على مقربة من بغداد

فإنّ الذي أرضعتِه العِلمَ والحِجا

وَوَهْجَ اللُّغىٰ، لم يرتَضِع بينها الحُبّا

أدرتِ له ظَهراً، فأفقرتِهِ رُؤىً

وأوحشتِهِ درباً، ويَبّدتِهِ صَحبا

وشكّكتِ حتى في مَدَبِّ عُروقِهِ

فخُنتِ به حقَّ الأمومةِ والقربىٰ

ولكنَّ مَوفورَ الجناحينِ إنْ يَضِقْ

به الوَكْرُ يوماً يَمتَطِ الأُفْقَ الرحبا

⊛ ⊛ ⊛

جُذورُكَ في بغدادَ كانتْ مَنيعةً

تَهيَّبها جَوْرُ السلاطينِ مُنصَبّا

يَطوفُ بها ركبُ (الخليفةِ) موهِناً

مخافةَ أنْ تُؤذىٰ إذا وَطِىءَ الثُّربا

ويرتادُها قلبُ (البُويهيِّ) لاثِماً

بأعتابها الأغصانَ والوَرَقَ الرَّطْبا

تَضايَقَ مَجرىٰ دجلةٍ من عُروقِها

وشبَّتْ أعاليها لتَعتَرِضَ السُّحبا

ودارتْ على (الكرخِ) (الرُصافةُ) فانتهتْ

بـ(دَرْبِ رباحٍ)[1] حيث كنتَ بها القطبا

---

(١) الحارة التي كان يسكنها الشيخ المفيد، وفيها مسجده ومجلسه المكتظ بمختلف النظّار والمتكلمين: اشاعرة، ومعتزلة، وزيدية، وغيرهم.

تَمُر بكَ الأفهامُ غَرثى، فتنثني

وقد بَشِمتْ حتى دخائِلُها الغَضبى

وتُعطيكَ أخلاطُ العقائدِ جُوفَها[1]

فَترجِعُ من عينيكَ مُكتَظَّةً لُبّا

تُبادِرُكَ (النُظّارُ) بالرأيِ ناضِجاً

فتجعَلُهُ فِجّاً بأفواهِهم جَشْبا

وتَفجَؤهم منكَ البَديهةُ بالضحى

وُضوحاً، وبالسَلسالِ من رقّةٍ شُربا

وما بَرِحتْ أغصانُك الفِيحُ فوقَنا

تَمايَلُ زَهواً، وهيَ مُثقَلَةٌ كُتْبا

وتَستافُكَ الدنيا عبيراً، وبيننا

وبينكَ (ألفٌ)، ما سَهى العِطرُ، أو أكبى

ستبقى مع الأجيالِ مدرسةً لها

(برامجُ) في (أجرِ المودّةِ في القُربى)

تَفرَّدَ فيها (ابنُ المعلّمِ) مَنهجاً

فأفقَرَ من جافى، وأغنى الذي ربّى

⊛ ⊛ ⊛

(١) الأخلاط: الأصناف المخلوطة، والجُوف جمع أجوَف.

جُذورُك في بغدادَ أرهَقَها الطَوىٰ
ونَخَّرها الحِقدُ الدفينُ بما خَبّا

وأفنانُكَ الخضراءُ في كل تَلْعةٍ
أضافتْكَ.. هَبّتْ روحُها تُخصِبُ الجَدبا

يَشُدُّكَ للسارينَ أنكَ نهجُهم
وما ضَيّعوا ـ رغمَ الدجىٰ ـ ذلكَ اللّحبا

وتَستَنُّك الأجيالُ منّا كأنّنا
صِغارُكَ نَحبو بين عينيكَ، أو نُحبىٰ

كأنّكَ لم تَبرحْ، إلى الآنَ، واقفاً
على الكرخِ من بغداد، تَستطلِعُ الدَربا

وحولَكَ أشياخٌ يَظنّونَ: أنّنا
نَسينا القِبابَ الحُمرَ، والقتلَ، والسَلبا

ونادىٰ (الرضيُّ) (المرتضىٰ): ما مُقامُنا[1]؟
وهذا (الرضا) هَلّتْ كتائبُهُ الشُهبا

تَشمّر مُهتاجاً وخَلفَ ضلوعِهِ
خُراسانُ رَفّتْ (سُودُ راياتِها) سِربا

---

(١) اشارة إلى قول الرضي يستنهض الفاطميين في مصر ويثبت نسبهم عندما طلب العباسيون من الشيخ المفيد وطلابه التوقيع على محضر يطعن بنسبهم:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مِقوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حميّ

أتيناكَ لم يَقعُدْ بنا خوفُ ظالمٍ
ولم نتَهيّبْ قَرعَ كأسِ الردىٰ نَخْبا

أتيناكَ والشاراتُ حُمرٌ وفوقَها
دمُ (الصدرِ) تجلو نارُهُ الليلَ والكَربا

أتيناكَ نَبني ما تَهدّمَ من هوىً
تفرّدهُ الباغي، فأوسعَهُ نَهبا

قِبابَ عليٍّ والحسينِ.. فهل شَكَتْ
قُريشٌ، ولامتْ هُجْنَها العَرَبُ العَرْبا؟!

وهل أضربتْ (فاسٌ) وأنكر (أزهرٌ)
وسَكَّرتِ (الزيتونُ) أبوابَها نَدْبا؟!

بلىٰ.. زارَ بغدادَ (ابنُ مُلجم) فانحنتْ
(نَياشِينُ) شِمرٍ فوقه تَمسَحُ العَتْبا[1]

وَثنّاهُ من عُليا فِلسطينَ (ثائرٌ)
لينفُضَ عن أظفاره لَحمَنا الغَبّا

ويغسِلَ عن شِدقَيْ هَجينٍ مُعَرّبٍ
دمَ العَرَبِ الأقحاحِ.. واللؤمَ، والعُجبا

وهيهاتَ يجلو سَخنةَ العبدِ غاسِلٌ
وهل طهَّرَ البحرانِ من دَنَسٍ كلبا

⊛ ⊛ ⊛

(١) اشارة إلى المحاولات المتكررة من بعض الزعماء العرب، لصقلِ وجه النظام العراقي وتسويقه من جديد إلى العالمين: العربي والإسلامي.

جُذورُكَ في بغداد شقَّت فُروعُها
ثرىٰ الغيِّ حتى عمَّتِ الشرقَ والغربا
تَرضّبَها في ثغر إيران (رَهْبَرٌ)
تعلّم منها الحزمَ، والموقفَ الصُلْبا
إذا سارَعَتْ في (قُمّ) دَقّاتُ قلبِهِ
تَباطَأَ (ريگانٌ) فطارَ بها رُعبا
وإنْ (أرهَصَتْ) أقلامُهُ بِنُبوءةٍ
تَوجَّسَ رُبّانُ (الكِرمْلِن) في العُقبىٰ
يَصولُ عليه الكفرُ لَهفانَ أصفراً[1]
فيلقاه جمرَ العتبِ، مخضوضِرَ العُتبىٰ
فيرجِعُ مَخزِيّاً، وبينَ شفاهِهِ
حصَىٰ (طَبَسٍ) يجترّهُ، لاذعاً، صَلبا
ولكنّهُ يَختارُ من غَدرِ (جارِهِ)
بَديلاً.. ومن حُرّاسِ (بترولِهِ) إلْبا
وهيهَاتَ تَخبو شُعلةُ الشمسِ في الضحىٰ
وإنْ طالَ نَفْخُ الريحِ في وجهِها حُقْبا

---

(١) في الابيات الأربعة اشارة إلى محاولة الأمريكان انقاذ الرهائن في أول الثورة الإسلامية واحتراق طائراتهم في صحراء طَبَس في الحادثة المعروفة، ثم اثارتهم النظام العراقي وامداد دول الخليج لحرب استمرت ثمان سنوات لم تستطع اسقاط الثورة.

أعـادَ لأمـجـادِ (الـعِـمـامـةِ) دَوْرَهـا

فـألـبَـسَـهـا دِرعَ الإمـامـةِ والـعَـضْـبـا

وأجلَـسَـهـا فـي قِـمّـةِ الـعـرشِ وَحـدَهـا

لـيَـعـرِفَ ربُّ (الـتـاجِ) أعـلاهـمـا كَـعـبـا

وهَـوّمَ (طَـلاّعُ الـثـنـايـا) فـمـا وَهَـتْ

لأنّ الـذي قـد لاثَ[1] عَـلّـمـهـا الـوَثـبـا

وأركَـبَـهـا الـشـوطَ الـذي خُـلِـقَـتْ لـه

فجازتْ رِعانَ الصخرِ والمُرتقىٰ الصَعبا

ونَـمْ يـا أخـا (سُـقـراطَ) جَـفْـنـاً فـإنّـمـا

تجرّعـتَ كأسَ السَمِّ كي تُوقِظَ الهُدْبا[2]

⊛ ⊛ ⊛

جُـذورُكَ فـي بـغـدادَ شـقّـتْ طـريـقَـهـا

وطـار بـهـا (الـروحُ) الـخـمـيـنـيُّ إذْ شَـبّـا

فَحَطَّتْ عـلـى (مصرٍ) ولمّتْ بـ (تونسٍ)

وأحـدثَ فـي (وهَـرانَ) (خُـرطـومُـهـا) ثُـقـبـا

---

(١) لاثَ العمامة: لفّها وعَصَبها.

(٢) سقراط الفيلسوف المعروف الذي حكم عليه بأن يتجرع السم، وفيه اشارة إلى قول الإمام الخميني ـ حين شبّه أمره بايقاف الحرب بأنه (يتجرّع السّم).

ومـا ضَـرّهـا أنّ الـمـنـونَ مُـبـارَكٌ

عـليـهـا، وكـافِيـهـا يَشُنُّ لـهـا الـحـربـا

وأنّ نـواطـيـرَ الـجـزيـرةِ أسـلَـمَـتْ

محاريبَـهـا للصّ، واستبقتِ النُّصبا

وأنّ الـيـهـودَ استُنفِـرت حيـن أنبتَتْ

بـ (مَرج الزهورِ) الوردَ فاقتلع العُشبا

وأنّ الـهِـضـابَ (الـعـامِـلـيّـةَ) وَحـدَهـا

أعادت لِمجدِ العُربِ ما وَسّخَ الهُضْبا

أبىٰ صـخرُهـا أن يَـسـتـريـحَ بـجـمـره

(حِزامٌ) يَقي جيرانَها اللذعَ واللّسبا

وخـيـرٌ مـن الـسّـلـمِ الـذلـيـلِ جِـجـارةٌ

تَـقَـلّـبَ غـازيـهـا عـلـى لَـفـحِـهـا جَـنْـبـا

وأنّ حُـمـاةَ الـمـسـلـمـيـنَ تـجـمّـعـوا

بتونسَ كي يَحمُوا من الحَمَلِ الذئبا

مـسـاكـيـنُ أبـنـاءُ الـيـهـودِ تَـشـقّـقـتْ

أكفُّهمُ من طولِ ما ذَبَحوا العُربا!!

وطـالَـتْ يـدُ (الإرهـابِ) حـتـى لَـدَافَـعَـتْ

عن الروحِ إذْ يَغتالُها ظالمٌ غَصبا!!

وأنّ أخـا (أُمّ الـمـعـارِكِ) بـاذِلٌ

قُصاراه كي تَستَمرِئوا الذُلّ والكِذبا

تأرنَبَ في (الخَفجِيّ) و(الحفرِ)[1] حاقدٌ

تـنـمَّـر فـي طـفـلٍ وثـاكـلـةٍ تـعـبـىٰ

وأَقْـعَـتْ صواريخٌ إلى الـقـدسِ وجهُها

فكَعَّتْ[2] . . ومالتْ تَحصُدُ الدينَ والشَعبا

ويا جِيلَ (شعبانَ)[3] اصمدوا إنَّ خلفكمْ

صِـقـالَ الـمـواضـي، والـعـقـيـدةَ، والـربّـا

دمشق: ١٥/٤/١٩٩٣

---

(١) الخفجي وحفر الباطن موقعان على الحدود السعودية الكويتية دارت بهما الموقعة التي سمّاها النظام العراقي: (أم المعارك).

(٢) كعّت: جبنت.

(٣) (شعبان) هو الشهر الّذي وقعت به الانتفاضة على النظام عام ١٤١١ هـ، فأسقطت أربعة عشر محافظة، وكادت بغداد تسقط لولا دعم الامريكان والسماح لطائراته وصواريخه بالانقضاض على المدنيين الثائرين.

الفقيدان

السيد عبد الزهراء الحسيني مؤلف (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) وغيره من كتبه الممتعة، كان إحدى الشخصيات المهجرية الرائعة، الذي يجد العراقيون المغتربون بنبله، وخلقه، وطيبة قلبه، وطنَهم الذي فقدوه، وهم في أمسّ الحاجة إليه، فإلى روحه، وإلى ما تركه فقده في قلوب فاقدي وطنهم كانت هذه الدموع.

كيف تنسى دموعَها الآماقُ

والفقيدانِ: نُبلُهُ والعراقُ

والثكالى: نحن الأُلى.. غاضَ منّا

رافِداهُ: الفُراتُ والأخلاق

واغتَرَبْنا فلم نَجِدْ في مَنافِيـ

ـنا بَديلاً يَلَذُّ فيه المَذاقُ

قد شَبِعنا من الضَياع وجِعنا

مِن فُتاتٍ لنا عليه استباق

وكَرَاماتُنا نَكادُ نُزكّيـ

ـها، اختلاساً، كأنّنا سُرّاق

وحَصَدْنا زَرعَ الوعودِ وذَرّينا

فلم يَبْقَ منه إلاّ النِفاق

وَطَنُ الناسِ تُربةٌ نَبتُها العِزُّ

وقلبٌ بحبِّهم خَفّاق

ضاعَ منّا: القلبُ الكبيرُ.. وأمسى

ذِكرياتٍ ذاكَ الشرىٰ العبّاق

❀ ❀ ❀

أيّها الشاكِلونَ حُبَّ أبي موسىٰ

تَعالَوْا.. فكُلُّنا عُشّاق

هٰهُنا الحزنُ: واحةٌ تُنبِتُ الوَجْـ

ـدَ، وكأسٌ من الهمومِ دِهاق[1]

وخَريفٌ أزهارُهُ المُقَلُ الحُمرُ

وسَلْسالُهُ الدموعُ الرِّقاق

ولَفِيفُ الأغصانِ أَذرُعُ مَنْ حَفْـ

ـفُوا بنَعشِ الربيعِ والأعناق

مِن صِحابٍ كأنّهم خاشِعُ السَّرْوِ

ذَوَتْ من شُحوبِهِ الأوراق

وعُفاةٍ جاؤوا لِقطفِ الأماني

فتلقّىٰ قلوبَها الإخفاق

ماتَ وَهجُ الربيعِ مُغتربَ العِطـ

ـرِ.. فَقَصَّتْ جُذورَها الأعراق

(١) دِهاق: ملآنة.

وبــكــاهُ الــفــراتُ حــزنــاً، وجَــزّتْ
شَـعـرَهـا حـولَـه الـنَخِـيـلُ الـعِـتـاق[1]
۞ ۞ ۞

يـا أبـا الـمـكـرُمـاتِ بـيـضـاً كـأنَّ الـصِـدقَ
فــي لــيــلِ وَعــدِهــا إشــراقُ
وأخـا الـجِـدِّ فـي نُـكـاتِـكَ، تَـكـسـو
هـا ثِـيـابَ الـمِـزاحِ، وهـي دِقـاق[2]
وصـديـقَ الـمِـحـرابِ، طـالَ وُقـوفُ الــ
ـلـيـلِ فـيـهِ، فـطـالَ مـنـكَ اشـتـيـاق
وخـديـنَ الـيـراعِ، يُـبـطِـىءُ فـي صَـوْ
غِ الـدَراري، لـكـنّـه الـسَـبّـاق
لـكَ فـي كـلِّ مُـقـلـةٍ دمـعـةٌ حَـرّىٰ
وفـي كـلِّ سـامـرٍ إطـراق[3]
كـنـتَ نَـبْـضَ الـقُـلـوبِ، شـتّىٰ، فـلـم يَـحْـ
ـجِـزْكَ حِـزبٌ، ولا ادّعـتـكَ رِفـاق

---

(١) العتاق: الرائعة.
(٢) دقاق: عميقة.
(٣) السامر: المحل الذي يجتمع به السمّار.

شـائعَ الـنُبْـلِ، لـم يُـصنّفْ، قـريبـاً

أو بَــعــيــداً، تَــمِــيــزُكَ الــدَقــاق

مُصحَفٌ تَهتدي به الناسُ في المـ

ـجـد، مـا حَـازَ نُـورَهُ وَرّاق[1]

ومَــقِــيــلٌ زَاهٍ بــقـــارِعَــةِ الــدَربِ

تَــفَــيّــا ظِــلالَــه الــطُــرّاق

أختُكَ الشمسُ، دِفءُ كلِّ الثرىٰ، يَخـ

ـضَـرُّ حَـقـلٌ بـهـا، ويُـورِق سـاق

وأخـوكَ الـبـدرُ الـمـنـيـرُ، لـه فـي

كـلِّ دربٍ عـلـى الـسُـراةِ إئـتـلاق[2]

⊛ ⊛ ⊛

يـا مُقِيـلَ الـكِرام مِـن عَـثَراتِ الـدَربِ

طـالَ الـسُـرىٰ عـلـيـهـم فـضـاقـوا

ومُـعِـيـدَ الـرُواءِ فـي يَـبَـسِ الـحـقـ

ـلِ، تَـعـاصَـىٰ بـنَـبْـتِـهِ الإيـراق

ومُـصِـدُّ الـسِـهـامِ عـن جَـبـهـةِ الـحـقْـ

ـقِ، وقـد رَاشَـهـا الـهـوىٰ والـشِـقـاق

(١) الورّاق: بائع الورق والكتب.

(٢) السراة: الماشون في الليل.

مُنذُ ألفٍ، والحِقدُ يَرمي (الشريفيـ
ـنِ)[1] جُزافاً، فتَطرَبُ الأبواق
وهَديرُ (الإمامِ) شِقشِقةٌ قَرَّ
تْ[2]، وما قَرَّ غَيُّهم أو أفاقوا
أغريبٌ على البَلاغةِ أنْ يَر
قىٰ ذُراها المجنَّحُ الخَلّاق؟!
أم بَعيدٌ عن الفصاحةِ بيتٌ
لفصيحِ القرآن منهُ انطلاق؟!
وتقحّمتَ لُجّةَ البحرِ، تُلقي
بَينَ كفيكَ دُرَّها الأعماق
ومَجاديفُكَ اليَراعُ، و(كَشّا
فُكَ) في اليَمِّ ذِهنُكَ البرّاق
فجلوتَ الأوهامَ، رَاجَتْ زماناً
ثم أكْدَتْ ببيعِهَا الأسواق
قد تَطوّعتَ للدفاعِ بما تَعجزُ
عنه الكتيبةُ الحُذّاق

---

(١) المرتضى والرضي اللذين أتهما بوضع نهج البلاغة.

(٢) اشارة إلى الخطبة الشقشقية التي هي مدار انكار نهج البلاغة.

مُـفـرداً صُـلْـتَ، والأراجـيـفُ آلافٌ

ويَـدراً قَـفَـلـتَ، وهـيَ مَـحـاقُ

⊛ ⊛ ⊛

لـم يَـمـتْ يـا عِـراقُ قـلـبُ أبـي مـو

سـى، وإنْ لـم تَـطُـفْ بـه الأحـداق

قـلـبُـهُ كُـتْـبُـهُ الـتـي جَـسَّـدَتْـهُ

فَـيْـضَ نـورٍ، ضَـاءتْ بـه الآفـاق

ومَـضَـخُ الـدمـاءِ مـا تَـنـبِـضُ الـحـكـ

ـمـةُ فـيـه، وتـنـطِـقُ الأعـلاق[1]

وشَـرايـيـنُـهُ الـسُـطـورُ، وخَـفْـقُ الـ

ـحـبُ فـيـه مـا تَـخـفِـقُ الأوراقُ

لـم يـمـتْ يـا عـراقُ، بـل مـات جِـيـلٌ

أنـتَ فـي قـلـبـه الـدمُ الـمُـهـراق

نَـسِـيَـتْـكَ الـقُـلـوبُ داراً وحَـنَّـتْ

لـمـنـافـي (الـفِـرنـجِ) تـلـكَ الـنِـيـاق!!

دارُنـا فـي (الـسُـوِيـدِ) والـحـقـلُ فـي

(الـدَانـوبِ) و(الـشـيـخُ) عـنـدنـا إسـحـاق!!

---

(١) الأعلاق: النفائس.

ولـنـا (الـقُـبَّـعـاتُ) زَيّـاً عـرويـيّـاً!!
وخَــلٌ (الــعِــقــالَ) فــهــو رِبــاق![1]

❀ ❀ ❀

أيّـهـا الـمُـدلـجـونُ في ظُـلَـمِ الـمـنـفى
وزادُ الــــمَــــســــيــــرةِ الإرهـــاق
الــقــريــبــونَ، والــوِفــاقُ بَــعــيــدٌ،
والــطَـلـيـقـونَ، والـخِـلافُ وِثـاق
والـمُـطِـيـقـونَ كـلَّ ضَـائـقـةِ الـغُـربـةِ،
لــكــنّ ذُلّــهــم لا يُــطـــاق
أَحَـسِـبـتـم أنّ الـحـيـاةَ الـتـي تَـحـ
يَـوْنَ خـيـرٌ مـن الـدمـاءِ تُـراق؟
لـيـسَ أَمْـنـاً أنّـا نَـنـامُ، ولا يـأ
لَـفُ أجـفـانَ أهـلِـنـا إطـبـاق!
زادُنـا الـذُلُّ فـي الـمَـتِـيـهِ، وتَـنـصَـبُّ
لــهــم فــي (الــقَــذائــف) الأرزاق!
أفَـتَـرعى فـي الـجـنّـةِ الـشَّـوْكَ، إذْ هـم
حَـطَـبٌ في جـحـيـمـهـم، واحـتـراق؟!

---

(١) الرباق: حبل فيه حلقات متعددة لربط صغار الغنم، والعامة تسميه (ربج).

أيّها المُدلجونَ في ظُلَمِ المنفى
قِفوا.. فالطريقُ وَعْرٌ مُعَاق[1]
إرجعوا..

أو توحّدوا..

فالذي أنتُمْ عليه مُرُّ الشَرابِ زُعاق
قد نَجوتُمْ.. والأهلُ صَرعى، وبُعثِرْ
تم، وقد شَدَّهم لِحتفِ نِطاق
وقصارىٰ ما تأملونَ: تصاريـ
ـحُ سِمانٌ، تَلوكُها الأشداق
وجِوارٌ مضى، وآخرُ يأتي
واجتماعٌ عليهما، وافتراق!
ثم لا شيءَ.. غيرَ أنّا قَطِيعٌ
باعَهُ المترفون منّا وساقوا
وسلاماً على العراق وأهلاً
بالمنافي إنْ ضاعَ مِنا العِراق!!
١٩٩٤/٢/٣

---

(١) فيه عوائق وحواجز.

حُلُمُ الأُمَّة

أنشدت هذه القصيدة في أربعين (حلم الأمة) الرائد الركن باسل حافظ الأسد في مسقط رأسه بالقرداحة في ٢٠/ رمضان ١٤١٤ هـ الموافق ٢/ آذار/ ١٩٩٤م.

بـمـاذا أُعـزِّي والـردىٰ أخْـرَسَ الـفَـمـا

ونـادىٰ بَـلِـيـغَ الـدمـعِ أن يـتـكـلَّـمـا

وَهَـبْـنـي مَـلَـكـتُ الـنُـطـقَ بـعـدَ تَـجـلُّـدٍ

فَـمَـنْ لـي بـشِـعـرٍ فـي رثـاكَ تَـلـعـثـمـا

ومـا الـشـعـرُ إلاّ صـوتُ قـلـبٍ تـقـطّـعـتْ

نِـيـاطُ الـهـوى فـيـه فَـبُـحّ وتَـمْـتَـمـا

لـقـد كـانَ قـلـبـي وَكْـرَ أحـلامِ أمّـةٍ

بـشـادٍ، أثـارَتْ شَـجْـوَهُ، فـتـرنّـمـا

وشَـدَّ خـوافـيـهـا، وهَـزّ قَـوادِمـاً

وزَفَّ بـأفـقٍ كـان قـبـلُ مُـحـرّمـا[1]

فـلَـمّـا أفـاقَـتْ مـن مُـتَـرَّفِ حُـلْـمِـهـا

رأتـهُ جَـنـاحـاً هـامِـداً يـقـطُـرُ الـدَمـا

---

(1) الخوافي: صغار الريش، والقوادم كباره، وزف الطائر: بسط جناحيه وطار.

لـه الـلّـهُ نـجـمـاً شَـدَّ أعـيـنَـنـا بـهِ
رَجـاءً فـلـمّـا خَـيّـمَ الـيـأسُ أظـلَـمـا
ومَنْ كـان فـي الأرضِ الـبـسيطةِ كـوكـبـاً
فـلا غَـروَ أن تَـخـتـارَ إشـراقَـهُ الـسـمـا

⊛ ⊛ ⊛

أخـا الـفـجـرِ رأيـاً، والـربـيـعِ شَـمـائـلاً
ورَيّـاه طَـبْـعـاً، والـشـمـوسِ تَـضـرُّمـا
فَـقَـدنـاكَ إذْ كـان ارتـقـاؤكَ لـلـذُرىٰ
سـريـعـاً، وإذ كـانَـتْ سـجـايـاكَ سُـلَّـمـا
فـلـمّـا صَـعِـدنـا هَـدّنـا الـنَـعيُ بَـغْـتَـةً
وصَـيّـرَ أعـراسَ الـفُـتـوّةِ مَـأتـمـا
لـقـد وَجَـدَتْ فـيـكَ الـشـبـيـبـةُ حُـلْـمَـهـا
وكَـنْـزَ رُؤاهـا، والـخـيـالَ الـمُـجـسَّـمـا
فـلا زَحـفَ إلاّ كـنـتَ فـيـهِ لِـواءَهـا
ولا سَـبْـقَ إلاّ الـفـارسَ الـمُـتـقـدِّمـا
ولا اخْـتَـلَـجَـتْ إلاّ رأتْـكَ قُـلـوبُـهـا
دَمَـاً شـائِـعـاً فـيـهـا ونَـبْـضـاً مُـؤمِّـمـا
فَـتَـرقـىٰ بـكَ الـسَّـهـلَ الـذي كـان مُـصـعِـبـا
وتُـسقـىٰ بـكَ الـشَّـهْـدَ الـذي كـان عَـلـقَـمـا

وتُطبِقُ جَفْنَيْها على طَيفَ وَاعِدٍ
تَنَظُّرها فَرعاً نَديّاً وبُرعُما
فلمّا استطالتْ في يديكَ غُصونُها
وكاد جَناها أنْ يَلِينَ فَيُطعِما
أَلَمّ بأشجارِ الخَمِيلةِ عاصِفٌ
فَحطَّمَها روحاً، وذَعَّرها حِمى
(وما كان قيسٌ هُلكُه هُلكُ واحدٍ
ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهدّما)

⊛ ⊛ ⊛

أبا باسلٍ هلْ لِي وآمالُنا مَعاً
تَوَاكِلُ أن ألقاكَ بالصبرِ مُفْعَما
لقد كنتَ - مُذْ جاءَتكَ - غَارِبَ أُمّةٍ
تَحمَّل منها، وَحدَهُ، العِبءَ أحزَما[1]
إذا ازْدَحَمَتْ سُودُ الخطوبِ ببابِها
تَخيّرَ أحماها لظىً فتقحّما
وإنْ رَكِبتْ أشواطَها فتلكّأتْ
عِجافاً، رأتْ فيكَ السَّبوحَ المُطهّما

(١) الغارب: الكاهل، ما بين السنام والعنق.

إذا كنتَ للحربِ الضَروسِ مُفَجِّراً

فقد كنتَ للسِلْمِ الشُجاعِ مُصَمِّما

تُدِيرُ بإحدى راحَتَيْكَ صُروفَها

وتُمسِكُ بالأخرى الشكائِمَ مُلجِما

وَمَنْ كانَ زَئّاراً بـ (تِشرينَ) كانَ في

جِوارِ (جِنيفٍ) للعدوِّ مُعلِّما

فَدَع مَنْ يُريدونَ السلامَ مَراحِلاً

يَخوضونَ في أوحالِ (غَزَّةَ) عُوَّما

وهُمْ في (أرِيحا) لاجِئونَ، فلم يكُنْ

تَحرُّرها مِن أسْرِ (بِيسَانَ) أكرَما

وكيفَ ستَحمي (شُرطةُ) السلمِ أمْنَها

إذا لاذَ بالمُحتلِّ سيفُكَ واحتمى!!

وها هوَ في حِضنِ السلام الذي ارتضى

يُريكَ به فَجْرَ المُصلِّينَ مُظلِما

أغارَ فلم يَترُكْ لِذُلِّكَ مَهرَباً

وَصَيَّر عُذّارَ المُزَكِّينَ لُوَّما

وَفَرّطْتَ حتى في انتمائِكَ، عامِداً

فَخُنْتَ عُروبيّاً، وَجَدّفتَ مُسلِما[1]

(١) التجديف: الكفر بنعم الله والاهانة لقيم الدين.

إذا خانَ أصحابُ القضيّةِ أمْرَها
فليس عَجيباً أنْ تُذلَّ وتُهْزَما

⊛ ⊛ ⊛

أبا باسل عَفواً إذا كانَ مِقْوَلي
تَجاوَزَ أُفْقَ الحُزنِ كي يَتظلَّما
فأنتَ الذي عَوّدتَنا أن نرىٰ بِهِ
لجُرحِ كراماتِ العُروبَةِ بَلْسَما
تَلَفَّتْ تَجِد أقطارَنا وعُقولَنا
أسارىٰ عَدوٍّ، أو ذَليلٍ تَحكَّما
فَصِرنا ـ كما شاؤا ـ لِساناً مُعَرَّباً
وقَلْباً هَجِيناً، ألْكَنَ النَبْضِ، أعْجَما
ولَولاكَ لارتَدّتْ عُروبَةُ (جِلَّقٍ)
كـ (بغداد) نَهْباً للغُزاةِ مُقسَّما
حَمَيْتَ ذُراها بالنُسورِ، وشِدْتَ في
سُهولِكَ شَعباً كان للجيشِ تَوأما
وَحصّنتَها من ناصِعِ الرأيِ بالنُهىٰ
دُروعاً، وبالأفكارِ جَيْشاً عَرَمْرَمَا
على حِينَ ألقى الآخَرونَ قِيادَها
لأرعَنَ، خَوّارِ العَزيمةِ، أبكَمَا

فَقَسَّمَها: للرومِ شَطراً، وفارسٍ

نَصِيباً: ولِلسيفِ البَقيّةَ منهما[1]

تَناسَى الصواريخَ التي قد أعَدَّها

لِيُرجِعَهم فوقَ (التوابيتِ) نُوّما

فَنكّس مُرتاعاً وصَبَّ جَحِيمَهُ

على امْرأةٍ ثَكلى، وطفلٍ تَيتّما

وشعبٍ أبتْ أهوارُهُ وهِضابُهُ

رُضوخاً، فكان القَتلُ، والجوعُ، والظَما

ومَنْ لم تَذُقْ (أمُّ المعارِكِ) نَصرَهُ

أذاقَ بَنِيها النَصرَ مَوتاً مُحتّما[2]

❀ ❀ ❀

هَنِيئاً مَرِيئاً (بَعثَ بغدادَ) هذِهِ

نِهايةُ حِزبٍ بالأكاذيبِ نُظِّما

---

(١) النظام العراقي ألجأ الأكراد في شمال العراق للاستعانة بدول الحلفاء لحمايتهم وحماية حكومتهم الأقليميّة: وحاصر الشيعة في الجنوب باسقاط الجنسية عنهم وتسفيرهم بحجة أنهم من التبعية الإيرانية، أو بمحاصرتهم في الأهوار وتهجيرهم إلى إيران، وحكّم السيف فيما تبقى من العرب والأكراد.

(٢) سمّى حاكم العراق حرب الخليج الثانية (أم المعارك) ولا يزال يعتبر نفسه منتصراً فيها وهي التي أعلن فيها أنه سيرجع جيوش الحلفاء في التوابيت إلى أوطانهم.

بَـنَـيْـتُـم فـأعـلـيـتُـم صُـروحَ نِـظـامِـهِ
شَـوامـخَ، لَـكـنْ بـالـجـمـاجِـم والـدِّمـا
رَفـعـتُـمْ (شِـعـارَ الـشـامِ) أبـيـضَ نـاصِـعـاً
فَـصَـيَّـرتـمـوهُ، مـن دَمِ الـشـعـبِ، أدهـمـا
ولـو أنَّ عَـبْـدَ الـسُّـوءِ قَـدَّرَ خُـلْـسَـةً
ثِـيـابَ كِـرامِ الـقَـومِ لَـنْ يـتـكـرَّمـا
ثَلاثينَ نَدعوْا العُربَ فيها لِـ (وَحدةٍ)
حَـصِـيـلـتُـهـا: أنَّ الـعِـراقَ تَـشَـرذَمـا
وَ(حُـريّـةٍ) ذاقَ الـجَـنـوبُ وَبـالَـهـا
وَعَبَّ الشَمالُ (الغازَ) حتى تَسمّما[1]
وكـانـت ثِـمـارُ (الإشـتـراكـيّـةِ) الـتـي
رَفعنا: عِراقاً، فاقِدَ القُوتِ، مُعدِما
على حينَ يبني الحزبُ (يَخْتاً) مُذهَّباً
لـمـن غـالَ مَـجْـدَ الـرافِـدَيْـنِ وَهـدّمـا
وشِيدَتْ قُصورُ الحكمِ فينا بأضلُعٍ
تكسّرنَ في (العشرين) كي يتحكّما[2]
وكـان عَـجـيـبـاً أن نَـرى فـي صُـفـوفِـنـا
كَـريـمَـاً بـحُـسـنِ الـظَّـنِ فـيـكـم تَـوسّـمـا

(١) إشارة إلى قصف حلبجة بالكيماوي وحملات الأنفال في شمال العراق.

(٢) ثورة ١٩٢٠ التي كانت السبب في إنهاء الحكم البريطاني المباشر واستقلال العراق.

وهيهاتَ ينسى الشَعبُ (مَليونَ) خِنجَرٍ
بهم كان جَزّارُ الفُراتينِ مُجرِما

⊛ ⊛ ⊛

عَزاءً وعفواً - يا أبا باسلٍ - فَقَد
(تَعرَّق) حُزني بعد أن كانَ (مُشئِما)[1]
فأنتَ - كما عَوّدتَنا - جانِحٌ، إذا
تألّم قَلبٌ في العراقِ تألّما
إذا اتّسَع القَلبُ الكبيرُ تكاثَرَتْ
(بَوَاسِلُهُ) في حُزنِها، فَتقسّما
فكان لدمعٍ في (الفُراتَيْنِ) مُرقِئاً
وكان لجرحٍ في (البِقاعين) مَرهما[2]
أناتَكَ، لا تَجزَع فأنتَ امرؤٌ إذا
تَجهّمتَ وَجهُ الرأيِ فينا تَجهّما
لقد كان وَجهُ الشامِ مِن بِشْرِ باسلٍ
وَضِيئاً، وحاشا أن تَضِيقَ فيُعتِما
إذا باسلٌ أودى فـ (بشّارُ) صِنوُهُ[3]
كلا الأسدينِ الباسِلَيْنِ لك انتمى

---

(١) تعرق: صار عراقيا، بعد أن كان شامياً.

(٢) أرقأ دمعته: جففها، والفراتان في العراق، والبقاعان في لبنان.

(٣) الصنو: الأخ الشقيق.

ولا تَـلِـدُ الـحَـيَّـاتُ إلاّ صِـلالَـهـا

ولا أسـدٌ إلاّ ويُـنـجِـبُ ضَـيْـغَـمـا

١٩٩٤/٣/٢

الأمانة

إلى ولدي مهنّد جمال الدين، مع تمنياتي له بالتوفيق، وهو يعتمرُ (العِمامة) أمانةً تلقاها أبوه من جدّه، وجدّه من أبيه...

خُـذهـا فـقـد جـاءَتْـكَ يـا مُـهـتَّـدِي

نـاصِـعَـةً، رَغـمَ الـمَـهـبِّ الأسـوْدِ

تـطـاوَلَ الـلـيـلُ عـلـى مِـحـنَـتِـهـا

ومـاتَ ـ أو كـادَ ـ تَـبـلُّـجُ الـغـدِ

وانـفـرطَ الـسِـربُ الـذي كُـنّـا بـه

نَـطـمَـحُ أن نَـبـلُـغَ وَكـرَ الـفـرقـد

فَحادَ مَن حادَ..

.. وحَـطَّـمَ الـردىٰ

قـوادِمَ الـنَـسـرِ الـذي لـم يَـحُـدِ

حـتـى إذا مـا اشْـتـبـكَـتْ مِـن حَـولِـهـا

هُـوجُ الأعـاصـيـرِ بـأفـقِـهـا الـرَدي

حَـطَّـتْ عـلـى غُـصـنِـكَ فـي بَـقـيّـةٍ

مـن ذلـكَ الـصـبـرِ الـذي لـم يَـنـفَـدِ

طامِعةً لو يكتسي جَناحُها
بالزَغَبِ النابتِ بأسَ الزَرَدِ[1]
فجيلُكم جِيلٌ نَفىٰ عن مَتنِهِ
حَرُّ الرزايا صَدَأَ التردُّد
وأنتمُ: نحنُ.. ولكن في دَمٍ
حامٍ، وأوداجِ غِضابٍ جُدُدِ
❀ ❀ ❀
خُذها فإني قد حَفِظتُ غَيبَها
وذُدتُ عنها رَميَةَ المنتقِدِ
وصُنتُها عن أن تُرىٰ خائِعةً
في دربِها الحاشدِ بالتمرُّد
سِتّاً وستينَ، كأنّ شَوطَها
مازال في العشرين لم يَتَّئِد
ما كان رأسي غيرَ جِسرٍ عَبَرتْ
أمانةُ المجدُ به للوَلَد
جَهَدتُ أن أُوصِلَها نَقيّةً
ما عَرَفتْ زَيْغَ الضميرِ واليد
ولم تَنلْ صَيْداً بسهمِ غيرِها
ولا شَوَتْ بجَمرِهِ المُتَّقِد

(١) الزرد: الدرع.

ولا اكْتَوتْ أطرافُها بِفِتنةٍ
غريبةِ الأهدافِ عن مُعتَقَدي
ولم تَلُكْ أشداقُها خاطِرةً
تَحمِلُ مَعنىً لم يدُر في خَلَدي
ولم تَضَع مَوْهِبتي وِسادةً
تحت جَناحِ الفارِهِ المُتَّسِدِ
فإن رأيتَ أن تَصونَ عَهدَها
ويكتسي طارِفُها بالتَّلَدِ[1]
فأعذُر أباكَ أن يُرىٰ مُفتَخِراً
(واطعَنْ بها طَعنَ أبيكَ تُحمَدِ)

❀ ❀ ❀

خُذها ولا تَبخَلْ على طُموحِها
بالسُهدِ، واللُغوبِ، والتَشرُّد
ولا تَضِقْ ذَرعاً إذا ما انطفأتْ
إشراقَةُ العُمرِ بليلِكَ الصَدِي
أو خَشُنَ المَرعىٰ، وجَفَّ ماؤه
وغَصَّ بالريقِ فَمُ المُزدَرِدِ

(١) جديدُها بالقديم.

فـجَـذوةُ الـفـكـرِ الـتـي تَـطـلُـبُـهـا

هيهاتَ أنْ يَقبِسَها الغُصنُ النَدي

والـحـرفُ عُـودٌ لا يَـشُـدُّ عِـطـرُهُ

آنـافَـنـا إلاّ بـنـارِ الـمَـوقِـد

خذها، وخُذْ جَحِيمَها، فعُودُها

لا يَـزدَهِـي فـي جَـنَّـةِ الـتـبـلُّـدِ

خذها، ودَعني أسترِح من خاطرٍ

يصحو معي، ويَنتشي في مَرقَدي...

... آتيَ في سِلْسِلتي آخرُ مَنْ

يَحمِلُها على المدى المُطرّد[1]

دعني أعِشْ في حُلُمٍ من يَقظتي

أنْ سوفَ أحيا بينكم في ولدي

ويَحمِلُ الرايةَ أرِّخْ: (في غدٍ

+ ٩٠ + ١٠٠٤ +

أبو حُسامٍ من أبي مُهنّد)

١١٨ + ٩٠ + ١٣ + ٩٩ =

١٣/رجب/١٤١٤هـ

---

(١) المطرّد: المتتابع المتسلسل.

خليجية

الليلُ في عَينَيكِ يَنسكِبُ

والصبحُ في خدّيكِ يَلتهبُ

والبحرُ، ساجٍ موجُهُ، فإذا

سَوّيتِ شَعرَكِ، فهو مُضطرِب

وكُنوزُ ما أدّخَرَ الخليجُ على

يُمناكِ يَنثُرها، فَتَنتَخِبُ:

لِشفاهِكِ الياقوتُ مُتّقِداً

ولِمبْسَمَيكِ اللؤلؤُ الرَطب

ولصدرِكِ الريّانِ فِضّتُهُ

ولِقُبّتَيهِ يَسطَعُ الذهب

وأنا أمامَ غديرِ أعيُنِكِ الـ

ـرَقراقِ، حَقلٌ، مُوحِشٌ، تَرِبُ

تَدعوكِ صَحرائي وقد يَبِسَتْ

فيها الجذورُ، وجَفَّتِ القِرَبُ

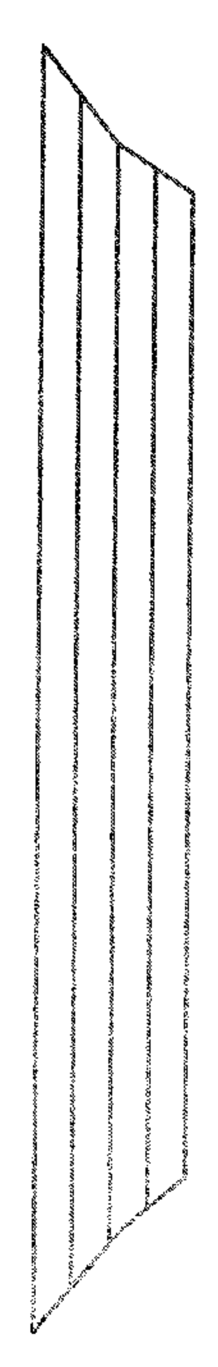
فَتَدفَّقي لِيَشُقَّ تُربَتَهُ

نَبْتِي، ويُورِقَ ذلك التَعَبُ

أتَظَلُّ كأسُ الحبِّ فارِغةً

وعلى شفاهِكِ يَنضَجُ العِنَبُ؟

١٩٨٦/٨/١٨



قصائد عشتها

هذه مجموعة كُتبت بين سنتي ١٩٥١ و١٩٧٩ وهي مرتبة حسب تسلسلها الزمني، نشر أكثرها ولكنها لم تجمع في ديوان.

من أساطير الحب

ليلى

تَقولُ لي ليلى ـ وقد زُرتُها
في هَدأةِ الليلِ أُناغِيها ـ:
صِفْني! فإنّي امرأةٌ كُلُّها
شَوقٌ لإعجابِ مُحبِّيها
فقلتُ: أحداقٌ كأنَّ السما
قد ذوّبتْ فيهنَّ صَافيها
وغُرَّةٌ شعَّت بها نجمةٌ
من خُصَلِ الشَّعرِ دياجيها
وَوَجْنتانِ أحمرَّتا، فانطَفَتْ
مِن سُرُجِ الليلِ دَراريها
وقامَةٌ ما قالَ نحّاتُها:
كُوني لأهلِ الفنِّ تَشبيها
حتى انتمى المِسكُ إلى فَرعِها
والشَّهْدُ والخمرُ إلى فيها

وقال (رافائيلُ)[1]: يا ليتني

(وَقَّعتُ) في ذَيْلِ حواشيها

لِيُنشِدَ الفنُّ وأربابُهُ:

بُورِكَ رافائيلُ مُنشِيها!!

❀ ❀ ❀

قالتْ: إذنْ ليلاكَ حُوريّةٌ

فقلتُ: ما الحُورُ تُضاهيها

أما تَرَيْنَ الشُهبَ كيف اختفتْ

قالتْ: وهذي؟! قلتُ: تَحكيها

فإنّ حُوْرَ الخُلدِ قد أشْرفَتْ

وهذهِ دُعجُ مآقيها!!

❀ ❀ ❀

قالتْ: إذَنْ ليلاكَ جِنّيةٌ

قلتُ: مِن الجِنِّ أُحاشيها

فَهُمْ مِن النارِ دُخانٌ، وما

ليلايَ إلاَّ ضَوءُ وَارِيها

قالتْ: وهذا السِحرُ في مُقلتي

ألم يكنْ للجنِّ يَنمِيها؟!

(١) هو رسّام، ومن عادة الرسامين أنْ يوقّعوا باسمائهم أسفلَ الصورة.

قلتُ: صَدَقْتِ، الجنُّ مَسحورةٌ!!

لكنَّ هذا خِلْقةٌ فيها..

فالسِحرُ في الجِنّة مهما سَمْا

لا يَبلُغُ الحُورَ فيُغوِيها

⊛ ⊛ ⊛

قالتْ: إذَنْ ليلاكَ إنسانةٌ

مِن الورىٰ!! فقلتُ: تَفدِيها

لو أنّها إنسانةٌ منهُمُ

لَصَيَّرتْ مَشْيَهُمُ تِيهَا

أو هَتَفوا حين يَجِيءُ الضحىٰ:

يا لَكَ مِن غِرٍّ يُبارِيها

أو نَشَرَ الليلُ فُروعَ الدجىٰ

قالوا له: حَسْبُكَ تمويها

فلستَ مِن ليلىٰ سوى خُصلَةٍ

تَعلَقُ بالمِشطِ فتَرميها

⊛ ⊛ ⊛

قالتْ: فليلاكَ مَلاكٌ إذَنْ

قُلتُ: وهذا القَدرُ يَكفيها

لكنّها لم تَكُ مِن جِنسِهِ

وليس بالحُسنِ يُجاريها

فيه مِن النورِ بَياضٌ.. وكم
في البِيضِ ما يُزعِجُ رائيها
والحسنُ إذْ تمتزِجُ النارُ في الـ
ـوَجنةِ بالنورِ فتُذكيها
وخيرُ أنواعِ الزهورِ التي
رُكِّبَ بالوَردِ أقاحيها

❁ ❁ ❁

قالتْ: إذنْ لا هِيَ حُوريَّةٌ!!
ولا إلى الجِنَّةِ تَنميها!!
ولا مَلاكاً أرسَلَتْه السَما!!
ولا مِن الأرضِ وأهليها!!
قلتُ: سأَروِي لكِ أُقصوصةً
إيّاكِ والشكُّ براويها:

عن عَبَقِ السوسنِ..

عن روضِهِ..

عن السواقي..

عن دَوَاليها..

قالتْ:

«جَلَسْنا... هيهْنا ساعةً
تُسمِعُنا الطيرُ أغانيها»

«مَـرّتْ بـنـا قـافِـلـةٌ فـي الـدجـىٰ
يَـهْـزَأُ بـالـزمـانِ حـادِيـهـا»
«فـيـهـا رجـالٌ كـطُـيـوفِ الـسَّـنـىٰ
تـنـفَـحُ بـالـنَّـدِّ فَـوَاغـيـهـا»

قلنا:

«لِـمَـنْ.. هـذا الـجَـلالُ الـذي
عَـزَّ عـلـى الـشـاعـرِ تَـشـبـيـهـا؟!»

قال أميرُ الركبِ:

«مـا شَـأْنُ ذي الـروضـةِ فـيـمـا لـيـس يَـعـنِـيـهـا؟!»

قلنا له:

«مـا ضَـرَّ لـو قُـلـتَ عـن
قِـصَّـتِـكـم تـلـكَ، فـنـرويـهـا»
«لأنَّ فـي الأجـيـالِ مَـنْ هَـمُّـهُ
مِـن عِـبَـرِ الأيـامِ مـاضـيـهـا»

❀ ❀ ❀

فقال:

«قـومٌ مـن بـنـي (عَـبْـقَـرٍ)[1]
نَـسـكُـنُ فـي إحـدىٰ ضـواحـيـهـا»

---

(١) عبقر: وادي الجن في الأسطورة العربية.

«مَرَّ بنا (كوبيدُ)[1] في ليلةٍ
يُوتِّرُ (القوسَ) ويَرميها»
«فلم يَقَعْ إلاّ على مَلكةٍ
بروحِها الجِنُّ تُفدِّيها»
«وساءنا أنّ (مَلاكاً) أتى
بالأمس، ضَيفاً، وهو يَبغيها»
«يقول: إنّي مَلَكٌ في السما
قومي.. وقد أغضبتُ بارِيها»
«فأنزلوني في ذُرىٰ عبقرٍ
فَلُذتُ بالجِنّ ووادِيها»
«ومَرَّ (كوبيدُ) فأحسَسْتُ في
سهمٍ بأحشائيَ يَفريها»

قلنا:

«وهَلْ زَوّجتموها له؟
أم أَبَتِ الجِنّة تُعطيها؟!»

قال:

«نَعَمْ، تُرْنا.. ولكنّها
مَلِيكةٌ، تَطغى، فنُرضيها»

(١) كيوبيد: آله الحب في أساطير الاغريق، يحمل قوساً وسهاماً يصطاد بها قلوب العشاق ويعلق بعضها ببعض.

«ولـــم نـــجـــد أَجْـــدَرَ مِـــن زَفِّـــهـــا
لـــمَـــن تـــرىٰ فـــيـــه أمـــانـــيـــهـــا»

⊛ ⊛ ⊛

واسْـتَـسْـلَـمَ الـراوي قـلـيـلاً إلـىٰ
خَـاطِـرةٍ فـي الـنـفـسِ يُـخـفِـيـهـا
ثـم مـضـىٰ يُـكـمِـلُـهـا قِـصـةً
قـد طَـرَّزَ الـحـبُّ حـواشـيـهـا
فـقـال: «قـد أثْـمَـرَ هـذا الـهـوىٰ
(صَـبِـيَّـةً) سُـبـحـانَ مُـنـشِـيـهـا..
وسُـمِّـيـتْ (لـيـلـىٰ) فـيـا سَـعـدَ مَـنْ
فـاز بـلـيـلـىٰ[1] مـن لـيـالـيـهـا
يـكـاد وَقْـدُ الـحـبِّ مـن عـبـقـرٍ
يَـشِـفُّ عـن طُـهـرِ الـسـمـا فـيـهـا
(والـحـسـنُ إذ تـمـتـزجُ الـنـارُ فـي الـ
ـوَجـنـةِ بـالـنـور فـتـذكـيـهـا)
(وخـيـرُ أنـواعِ الـزهـورِ الـتـي
رُكِّـبَ بـالـوَرد أقـاحـيـهـا)

النجف: ١٩٥١/٢/٨

---

(١) ليلة ليلى أو ليلاء: طويلة شديدة السواد.

غَـيْرة ...

أَتَتْني.. وفي يَدِها صُورةٌ
مَحَتْ شَكْلَها عَابِثاتُ الغِيَرْ
وقالتْ: «فَدَيْتُكَ.. إني وَجدْتُ
على مَعرِضِ الفنِّ هذا الأثر
فما شاقَني منه غيرُ الذهولِ
وما شاعَ في عَينهِ من حَذَرْ
وهذا الذي رامَ كِتْمانَه
ففاضَ على طَرفِهِ وانتشر
هداني إليها الفؤادُ الذي
وَصَفْتَ.. فشَبَّهتَهُ بالحجر
وما زلتَ تُذري عليه الدموعَ
من الشِعر، والحبّ، حتى انفجر..
.. فصرتُ ـ كما تشتهي ـ نغمةً
تَرَدَّدُ في كلِ قلبٍ شَعَرْ»

❀ ❀ ❀

فقلتُ:

«عَرَفْتِ الهوى في الوجوهِ

فجئتِ لعِرفانِهِ في الصُوَرا!

وسوف تَظلّين رَهْنَ الجمالِ

يَروقُكِ في عينهِ.. والأثر»

فقالتْ: «ولكنَّها غَيْرةٌ

وحاشاكَ من سَقَطاتِ الغِيَرْ

أتنسى الذي قُلتَ لي حينما

وَجَدتُكَ بين الصبايا الأُخَرْ

أما قلتَ لي: إنّها غَيْرةٌ

وحاشاكِ من سَقَطاتِ الغِيَر»

❁ ❁ ❁

فأخجَلَني قولُها فانزويتُ

لأوهِمَها أنني في كَدَرا!

وكانتْ إذا أظهَرَتْ جَفوتي

غَفَرتُ لها كلَّ ذنبٍ صَدَرا!

فما راعني غيرُ هذا الذي

تَطايَرَ مِن عينها كالشرَرَ

وألقتْ على راحتي (صورةً)

عَرَفْتُ بها كيف يَجني القَدَرَ

فـــذي صـــورتـــي!!

قد هداها الشحوبُ إليها.. وتَمَّ اكتئابُ النَظَر

وكـــم غـــيْـــرةٍ أذهـــلـــتْ ربَّـــهـــا

فـمـا سـار فـي الـدربِ إلاّ عـثـر!!

النجف: ١٤/ ٢/ ١٩٥١

صغيرى حُميد

و(حميّد) هو أحلى صِيَغ التصغير في الريف العراقي قيلت يوم كان المقدّم السيد حمودي جمال الدين (حُميّداً) صغيراً وكان أشهى ثمرات الحب الأول، وأكثرها انطباقاً على ما في القصيدة من ذكريات.

حُـمَـيْـدُ يـا نَـغَـمَ الـمِـزهَـرِ
ويـا أرَجَ الـمِـسـكِ والـعـنـبـر
ويـا بَيْـتَ شِـعـرٍ رقـيـقَ الـلـحـونِ
تَـفـجَّـر فـي الـحَـادثِ الـعـبـقـري[1]
ويـا هَـمْـسَـةَ الـوَجِـلِ الـمُـسـتـرِيـبِ
يـقـولُ (لـهـا): اسـتـنـظِـري وأبـشـري
فَـتـبـرُقُ فـي عـيـنِـهـا نـظـرةٌ
لِـتُـوهِـمَـهُ أنَّـهـا تَـزدري
ولـكـنَّ قـلـبـاً وَراءَ الـعـيـونِ
يـقـول لـهـا: اسـتـنـظـري وأبـشـري!!

⊛ ⊛ ⊛

حُـمَـيْـدُ يـا لَـفْـتَـةَ الـسَّـامِـريـنَ
لآتٍ عـلـى الـبـالِ لـم يَـخْـطُـرِ

(١) العبقري: صفة لكل ما يتعجب من كماله وقوته

ويـا حُـلْـمَ عـذرَاءَ ريـفـيّـةٍ

(تُـزَفُّ) إلـى الـبـلـد الـمُـوسِـرِ

ويـا (دَعـوةَ الـعُـرسِ) نَـمَّ الـخِـطـابُ

ومـا فـيـه مِـن خَـلَـلِ الأسـطـر

عـلـى أنّ مُـرسِـلَـهـا عـاشِـقٌ

أتَـتْـه الـمـنـى وهـو لـم يَـشـعُـرِ

⊛ ⊛ ⊛

بُـنـيَّ عـلـى الـمَـزجِ سَـالَ الـضـحى

فـهـل غـار مـن شَـعـرِكَ الأشـقَـر

وهـل قـابَـلَـتْ وَجـنَـتَـيْـكَ الـسـمـاءُ

بـإشـراقـةِ الـقـمـرِ الـنَـيِّـر

وأطْـلَـعَـتِ الأرضُ فـي (الـنَـرجـسيِّ)

مَـشَـابِـهَ مِـن طـرفِـكَ الأحـور

وهـل (شـابَ) مِـن عـارِضَـيْـكَ الـهِـلالُ،

و(أَحـنـاهُ) قَـدُّكَ يـا سَـمْـهـري

فـإنْ شِـئـتَ أنْ تُـوْقَ كَـيْـدَ الـخـصـومِ

فـقـلْ: هـا هُـمُ الـنـاسُ فـي مَـنْـظـر

(تـعـالَـوا) أمـامَـهُـمُ (نَـبْـتَـهِـلْ)

وَيَـا لُـعِـنَ الـكـاذبُ الـمُـفـتـري!!

⊛ ⊛ ⊛

حُميّدُ يا أرَجَ الياسمينِ
تَعلّقَ بالفَنَنِ المُثمِرِ
أنبيّكَ أنّ نسيمَ الربيعِ
إذا لم يُخالِطْكَ لم يَعطَرِ
وهل مَيّزَ (الخُلْدَ) رَوْحُ الجِنانِ
إذا لم يَمُرَّ على (الكوثر)
بُنيَّ اسْمُكَ العذبُ حُلوُ المذاقِ،
كأنّ حُروفَكَ من سُكّر
إذامَرَّ في خاطري ذكرُها
فسرعانَ ما ذَابَ في الأسطر
كأنّي (أُصَعّدُ) وَردَ الرياضِ
بقلبي ليَقطُرَ مِن مِزْبَري!!

❀ ❀ ❀

بُنيّ لو اسْطَعْتُ بَعثَ القديمِ،
لِتَلْمَسَ ماضِيكَ لم أقصُرِ
ولو صَحَّ شَاهَدْتَ يَأساً يَغيمُ
على أُفُقٍ بالمنى مُقمِر
وَرِيفاً كأنّ تقالِيدَهُ
- وقد خَيّمتْ - ظُلمةُ المَحْجَر

وسجناً تدورُ على (يافعٍ)
كنبعِ الصفا العذبِ أو أطهر
وكفّا تُكسّرُ أغلالَها
ولولا قِوىٰ الحبِّ لم تكسُرِ
وعَيناً تَراكَ وَراءَ الغيوبِ،
ولولا الرجا الحلوُ لم تُبصِر
وثغرَيْنِ طالا لكي يَرشُفا
جبينَكَ من خَلَلِ الأعصر
بُنيَّ لو اسطعتُ بَعثَ القديمِ
لتلمسَ ماضِيكَ لم أقصُر
ولكنني حَذَراً أن تَظُنّ
بعهد الأبوّةِ ما يزدري
سأبعثُهُ إذْ تُعيدُ الحياةُ
عليكَ فصولَ الهوى العبقري

⊛ ⊛ ⊛

فيا سِحرَ ليلىٰ على قيسِها
وإغراءَ عَبْلَةَ في عنتر
ويا حَشْدَ الذكرياتِ العِذابِ
على خاطرٍ بالمنى مُزهِر

إليكَ تحايا الفؤادِ الطَّرُوبِ،

وذكرى الأبِ الطيّب المَعشَر

فإن شئتَ تَصفحُ عنها وقد

أتَتكَ تَعثُرُ بالمِئزَر

فحِلْمُ القويِّ على العاجزينَ

وعَطفُ الغنيِّ على المُعسِرِ

وإلاّ..

.. فكم فَرِحَ البائعونَ

وكم أرجَعَ السِلْعَةَ المُشتري

١٩٥٢/١/٢١

صدى المؤتمر الإسلامي

أُقيم ـ أيامَ حلف بغداد ـ مؤتمر إسلامي في الباكستان، وهي إحدى أعضاء الحلف المذكور، وقد أشيع أن لهذا المؤتمر علاقاتٍ بجهات غير إسلامية، مما كان سبباً لتوجيه النقد المرّ لأعضائه، وكان ممن حضره سماحة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وفي القصيدة بعض هذا النقد، ألقيت في إحدى الحفلات التي أقيمت بمدرسته في النجف ترحيباً بقدومه سنة ١٣٧١هـ.

زَهـا فَـحـلَّـقَ وجـهٌ مـنـكَ مُـبـتَـشِـرُ

يَـوَدُّ لـو يَـتَـبـنّـى نُـورَهُ الـقَـمَـرُ

ما قِـيـمـةُ البـدرِ، يُـخفي نُورَ طَـلـعـتِهِ

صُبحٌ.. ويُبدي عليه الرّونقَ السَحَرُ!!

والـنـجـمُ.. هـل هـو إلاَّ طَـرفُ سـاهـرةٍ

أذابَ فـيـه إحـمـرارَ الـمُـقـلـةِ الـسَـهَـرُ؟!

والـشـمـسُ.. يُفزِعُها عَصفُ الرِياحِ فإن

تَـنـفَّـسَ الـجـوُّ أخـفـىٰ لَـونَـهـا الـكَـدَرُ!

والـصـبـحُ ثَـوبٌ جـمـيـلُ الـوَشْـي تَـلْـبَـسُـهُ

لـكـنَّـه مِـن فُـجـاءاتِ الـدجـىٰ كَـدِرُ!

... وهـكـذا.. كـان بَيْنَ الـنـاسِ مؤتـمرٌ

وكـان فـي طَـبَـقـاتِ الـجـوِّ مـؤتـمـرُ

تَـسـابَـقـا.. وقُـصـارىٰ الـغـايـتـيـنِ إلـى

مِـشـكـاةِ عَـدلٍ بـنـور الـعِـلـم تَـزْدَهِـر

الحمدُ للّهِ.. نجمٌ مِن أئمتِنا

تنافَسَتْ في عُلاهُ الشُهبُ والبشر

❀ ❀ ❀

يا صاعداً في «بُراقٍ»[1] مِن عزيمتِهِ

كانتْ «بِساطَ سليمانٍ» لها الفِكَرُ

تَفجّرَ الشِعرُ مِن حولي وجُنَّ على

أنغامِهِ المُسكرانِ: العُودُ والوَتَر

ماذا أقولُ؟! وأنتَ المجدُ تَلبَسُهُ

مَنْ راحَ يَخْلَقُ منها المِطرَفُ العَطِرُ

والفجرُ.. فَاضَ على الوادي ببهجتِهِ

فاستقبلتهُ طيورُ الأيكِ تَبتَشِر

والسَيلُ.. يَغمرُهُ خِصباً، ويُمرِعُهُ

قاعاً، فَيحفَلُ منه المَهمَهُ الصَفِر

والبحرُ ما قَصَدتْه السحبُ ظامِئةً

إلاّ ليُحمَدُ منها الوِردُ والصَدَر

طغىٰ فما وَقَفَتْ في وَجهه حِيَلٌ

حتى ازدهتْ بلئالي مَدِّهِ (الجزُرُ)

❀ ❀ ❀

---

(١) البُراق: اسم فرسٍ لرسول الله قيل إنه الذي أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والاستعارة هنا واضحة.

حَدِّث أبا الكَلِمِ الزاهي فقد ظَمِئَتْ
آذانُنا لحديثٍ مِنكَ يَنفجِر

هل حَقَّقَ (الوَحدَةُ) المرهوبَ جانِبُها
ـ بين الطوائف ـ للإسلامِ مُؤتمر؟!

لا طائفيةَ تَرمي المسلمينَ بها
(يدٌ) تَطايَرَ مِن أظفارِها الشرر

ولا تَطرُّفَ في (قوميّةٍ) غَرَس الـ
ـتفريقَ فينا.. فبئسَ الغَرسُ والثَمَر!!

هذا (محمدُ) فَخرُ العُربِ قاطِبةً
ما كان يَمتازُ عن (سَلمانِهِ) (عُمَرُ)

وذا (أبو حَفص) قد أولاهُ إمرَتَهُ
على «المدائن»[1] لا راجٍ ولا حَذِر

وهكذا ظَلَّ جيشُ الدين مُزْدَهِراً
أنّىٰ سرىٰ فَاحَ من أعطافِهِ الظَفَر

مشىٰ على الغرب مَشْيَ الفاتحين فلم
يَرتدّ حتى تجلّىٰ البحرُ يَعتَذِر

وَشَاقَهُ أنْ يَؤمَّ «الصينَ» جحفلُهُ
فما تعذُّرهُ جُبنٌ ولا خَوَرُ

---

(١) كان سلمان الفارسي والياً لعمر بن الخطّاب على المدائن بالعراق.

حتى إذا ازدهر الإسلامُ وارتفعت
أدواحُهُ.. وتفيَّا ظِلَّها البشر
ألفيتُنا نحن ـ جُندَ المسلمينَ ـ وفي
فمِ الشبابِ بقايا الكأسِ تستعِر
وعادتِ «الليلةُ الظلماءُ» داجيةً
فينا.. كأنْ لَمْ يَلُح مِن فجرِنا أَثَر!!

⊛ ⊛ ⊛

أبا حليمٍ وهذي نَفثةٌ طَفَحتْ
وَدِدتُ قبلَ نَشاها مِنكَ أعتذرُ
هذا الشبابُ وفي دنيا عواطفِهِ
عَقلٌ، وفي السُودِ من أوهامِهِ فِكَرُ
طال المَتِيهُ به: عقلاً وعاطفةً
وكاد يُصدِي مَرايا نفعِهِ الضَرَرُ
حدِّث أبا الكلم الزاهي فقد ظَمِئتْ
قُلوبُهمْ واستعادت وَهَجَها الصُوَرُ
أيامَ كانَ (لهم) في القدسِ مؤتمرٌ
رَجَعتَ مِنهُ، وفي أبرادِكَ العِبَر!!
كانتْ مَواعِيدَ (عُرقوبٍ) وأظرفُها
أنْ كذَّبَ السمعَ ـ فيما قُلتَهُ ـ البَصَر

فَهل تَجدَّدَ في (كشميرَ) ما عَرَضَتْ

عليكَ من بُؤسِها أترابُها الأُخَر؟!

وهل وَجدتَ (لنهرو) ما لِسابِقِهِ

(بُلفورَ) (وَعداً) عليه الصِدقُ يَزدهر؟!

يا قَاتلَ اللّهُ خِذْلانَ الصُفوفِ فكم

يَجني التخاذُلُ ما لم يَجنِهِ القَدَر!!

وكم تعثَّر في لَحبِ الطريقِ (فتىً)

ما خانَه الدَربُ.. لكنْ خانَه النَظَر!!

النجف: ٦/ ٤/ ١٩٥٢

بين الشيوخ والشباب

صونوا مناهجكم تصونوا دينكم

في أوائل الخمسينات كانت المعركة دائرةً في جامعة النجف الأشرف بين جيل المحافظين من (الشيوخ) وجيل المجدِّدين من الشباب، وقد استغلّت هذه القصيدة تأبينَ أحدِ الشيوخ الأبرار، لتقول رأيَها الصريحَ في أسباب الفجوة بين الجيلين.

الخطبُ - يومَ رَحَلْتَ - خطبٌ أفْظَعُ
مِمّا يُصوِّرُهُ الخَيالُ الطَيِّعُ!!
ولَصُورةٌ في النفسِ منه كَئيبةٌ
كادَتْ بلَوْحَتِها تَبِينُ الأدمعُ!
فهنا سريرُكَ ماثِلٌ في خاطري
والناسُ من جَزَعٍ لديهِ خُشَّعُ
وبَنوكَ حَوْلَكَ مائجونَ كأنّهم
نَبْتٌ.. وعاصِفةُ المَنيّةِ زَعزَع
يتطلّعونَ إليكَ.. يُوهِنُ عَزْمَهم
كفٌّ تُمَدُّ، ونَظرةٌ تَتَوزّع
ويُعيدُ بارِقةَ الأماني فيهمُ
ثغرٌ بآياتِ الكِتابِ يُرجِّع
حتى إذا سَكَنَ النشيجُ وقد غفا
مَلَكٌ بأبرادِ التُّقى مُتلفِّع

رُفِعَ السِتارُ، فما شَعُرنا خَلْفَه
إلاّ بأنيابِ المَنيّةِ تَلْمَع!!
وكذا الحياةُ، رِوَايةٌ هَزلِيّةٌ
والموتُ فصلٌ في الخِتامِ مُروِّع

❀ ❀ ❀

أَفَتى الشُيوخ فَقَدتُ فيكَ شمائلاً
كانتْ كأزهارِ الرُبى تَتضوّع
غَمَرتْ خَلائقُها الذكيّةُ (مَجلِساً)
كُنّا إليه في الشدائدِ نَفْزَع
من كلِّ فَيْنانِ الشبابِ يَظنّ لو
وَطِىءَ الحصىٰ يَخْضَلُّ منه فَيُمرِعُ
ولأنتَ في السبعينَ مِثلُكَ يافِعاً
غَضٌ الشبيبةِ بيننا تَترعرع
لم يثْنِكِ الكِبَرُ المُدلُّ بعزِّهِ
عن أنْ تبادِلَنا الحديثَ وتَسْمَع
وأراكَ لم يُقْعِدْكَ: أنّكَ عاجزٌ
فتَهُبُّ إذْ نأتي.. وحين نُودِّعُ
تلكَ الطبائِعُ ما خُلِقنَ لِعاجزٍ
واهِي القوىٰ، أو خامِلٍ يَتطبّع

وإذا صَدَقتُ.. فلِلخِلالِ كَرِيمةً
أهلٌ، إذا فُقِدوا، تَعِزُّ وتَمنَعُ

⊛ ⊛ ⊛

صُلْبَ العَقيدةِ هل وَجَدتَ ثِمارَها
إلاّ كما كنا نَرومُ ونَزرَع؟!
غُرَفٌ مَقاعِدُها النعيمُ، ورَوضةٌ
غنّاءُ، يَفرُشُها الربيعُ المُمرِع
ومقاصِرٌ مثلَ الغمام رقيقةٌ
كادت تَشِفُّ بها النجومُ وتَطلُعُ
و(السِدرةُ) الفيحاءُ يَضحَكُ وَشْيُها
و(الكوثَرُ) الساجي يَرِفُّ ويَلمَع
وهنا.. على شُطآنهِ، وحُقولِهِ
للرُسْلِ نادٍ، والمَلائكِ مَجْمَع
هذي الحياةُ ـ كما أردتَ ـ مُعدّةٌ
لمن استقامَ به الطريقُ المَهْيَعُ
ولأنتَ ـ حاشا أن يَزِلَّ على الهوىٰ
قَدَمٌ بمَدرَجةِ الفضائل مُسرِع ـ
قَضيتَ أيامَ الحياةِ ولم يكنْ
في باطلِ الدنيا لقلبكَ مَطمَع

⊛ ⊛ ⊛

كنتم شيوخاً في غلائلِ فتيَةٍ
طال الزمانُ بها وليستْ تُخلَع
طُبِعَتْ على مثلِ النهارِ، فلم يكنْ
مُتلوِّنٌ فيها، ولا مُتنوِّع
إنْ كان للدنيا مَحلٌ شامِخٌ
فيكم.. فلِلدينِ المحلُ الأرفع
كنتم، إذا ما زاغَ بعضُ لداتِكم
أرشدتموهُ.. لعلَّهُ يَتورَّع
فإذا عَجزْتُمْ لم تقولوا: إنَّهُ
غاوٍ.. بل احتلتُم عليه فيُقلِع
وإذا تَشكَّى بعضُ أترابِ الفتى
من دهرِهِ، فهناكَ أُذْنٌ تَسمَع
وإذا تَوجَّعَ.. كانَ من إخوانِهِ
كفٌّ تُوسِّدُهُ.. وعَينٌ تَدمع!!
أمّا الشبابُ المُترَفونَ فقَفْرةٌ
لَمَعَ السرابُ بها وشاعَ البَلقَع
جرداءُ لا ظِلٌّ يَقِيكَ سَمُومَها
عند الهجيرِ، وليس فيها مَنبَع
يتراكضونَ بها، فكم من ظامئٍ
طالَ المسيرُ بهِ، وطافَ المَصرَع

هامُوا وقد جَهِلوا عَواقِبَ غِيِّهِمْ
إذْ ليس ثَمَّةَ مَنْ يَروضُ ويَردَع
هذي طريقُهُمُ ومِلءُ دُروبِها
مُتَعٌ.. وجُلُّ عُيونِها تَتَطلَّع!!
والمُغرياتُ من الحياةِ مَوَائِلٌ
فيها.. فلا خافٍ ولا مُتَقنِّعُ
ما ضرّهمْ - وهمُ الشبابُ - وهذه
مُتَعُ الحياةِ تُزَفُّ - أنْ يتمتّعوا!!
فتهامستْ ما بينهم لُغَةُ الهوىٰ:
«أنُصَدُّ عن رِيِّ القُلوبِ ونُمْنَع؟!
«وغدٌ غُيوبٌ.. مَنْ يَقولُ بأنّنا
نحيا.. ونُؤخَذُ بالذنوبِ، ونُجْمَع؟!»
حتى إذا ظَهَر الفسادُ رأيتَ في
حَلَكِ الزوايا خامِلِينَ تَجمّعوا!!
يَبكُونَ مِن جَزَعٍ لدينِ محمدٍ
أنْ لا يكون لِوَعظِهِ مَنْ يَسمَع!!
وإذا سألتَ: بأيّ سيفٍ قابلوا
جَيْشَ الهوىٰ وبأيّ رُمحٍ أرجَعوا؟؟
سَكَتُوا.. كأنّ (الحَولَقاتِ)[1] قذيفةٌ
تُرمىٰ بها عُرُشُ الهوىٰ فتُصدّع!!

❀ ❀ ❀

---

(١) الحولقة أو الحوقلة: كلمة منحوتة من (لا حول ولا قوة إلا بالله).

يا قومُ: حَسبكُم الخُمولُ، فقد مضىٰ
زَمَنٌ بفِطْرتها تَشِبُّ الرُّضَّع!!
والعصرُ عصرٌ لا يَشِبُّ وَلِيدُه
إلاّ لِيُعجِبَهُ المِفَنُّ[1] المُبدِع
(عصرُ المدارسِ).. عَذْبِها وأُجاجِها
تَبني العقولَ.. بما يَضرُّ.. ويَنفع
لا عصرُ (كُتّابٍ)[2] قُصارىٰ جُهدِهِ
صُحُفٌ مباركةٌ، وآيٌ مُمتِع!!
صونوا (مَناهجَكُم) تَصونوا دِينَكم
وابنوا العقولَ، يَقُمْ عليها مَجْمَع
فالدينُ ليسَ يَرُبُّهُ[3] ويسُوسُهُ
شيخٌ بمحرابِ الدجىٰ يتضرَّع!!
ولقد عَهِدنا الدينَ عندَ محمدٍ
سيفاً بحالكةِ المنايا يَلمَع
ومنابراً طَلَعتْ على آفاقها
خُطَبٌ مِن الصُبحِ المُنوِّرِ أنصَع
ومُبشِّرينَ سَرَوْا بِهَدي كتابِهِ
كالريحِ تَسري بالشذىٰ وتَضوّع

---

(١) المِفَنّ: الفنّان.

(٢) الكُتّاب جمعه كتاتيب: محل تعليم الكتابة والقراءة.

(٣) ربَّ الأمر أصلحه وربَّ القومَ سَاسَهم.

آنى سرى الداعي.. فثمّةَ معهدٌ

يَرتادُ مِنبرَه اللبيبُ الأروع

وإذا فَخَرتُم بالمساجدِ أنكُمْ

عُمّارُها، فهُمُ السُجودُ الرُكّعُ

هذا الجهادُ، فأينَ من عَليائِهِ

جُبَبٌ مُخرّقَةٌ و(شيخٌ) مُهطِعُ!!

١٩٥٢/٤/٢٣

من ليالي الفرات

يـا لَـيـلُ أيـنَ أحِـبَّـتـي ورِفـاقـي؟
خَـلَـتِ الـكُـؤوسُ، فـأيـن وَلَّـى الـساقـي

أحـبـابَـنـا عُـودوا، فـثـمَّـةَ سَـامِـرٌ[1]
نَـشـوانُ مـن خـمـرِ الـسَّـنـى الـمُـهـراقِ

فـالـلـيـلـةُ الـقَـمـراءُ أكـؤسُ فِـضّـةٍ
سُـكِـبـتْ بـهـنّ عُـصـارةُ الإشـراق

والأنـجـمُ الـزهـراءُ سـامِـرُ فِـتـيـةٍ
مِـيـلِ الـرؤوسِ، رَخـيّـةِ الأعـنـاق

شَـربـوا كـؤوسَـهـمُ، ومُـذْ طـاشَ الـحِـجـىٰ
سَـكَـبـوا عـلـى الـدنـيـا الـسُّـلافَ الـبـاقـي

والـبـدرُ ـ لـو تَـدرونَ ـ فـهـم عـاشـقٌ
سَـلَـبَـتْ قُـواهُ نـواعِـسُ الأحـداقِ

---

(١) السامر: محل السَّمَر.

سَالتْ مدامعُهُ.. فقيلَ: أشعَةٌ

وذوىٰ.. فقيلَ: تَأهُّبٌ لمَحاق

والنهرُ جُنَّ، فلم تُفِدهُ رُقيةٌ

وطَغىٰ، فأُسقِطَ في يمين الراقي

يَجري.. ومُذْ هَفَتِ الغُصونُ لِلثمِهِ

أجرى مَدامعَه على الآماق

ولقد يُهيجُ الصَبَّ فَرطُ سُرورِهِ

فتجودُ أدمعُهُ بيومِ تَلاق

۞ ۞ ۞

يا ليلُ والنهرُ استفاضَ نميرُهُ

عَذباً ففاضتْ بالأُجاج مآقي

وَطَغَتْ على آذِيِّه[1] صُوَرُ الغِنىٰ

فَطَغَتْ بقلبي صُورةُ الإملاق

النهرُ يَفخَرُ أنْ سيُحيي عَذبُهُ

مَيْتَ القِفارِ، ومُجدِبَ الآفاق

وإذا تَهلَّلتِ (الشّآمُ) لفيضِهِ

نَبَعَ الرُواءُ بوجهِ كلِّ عراقي

---

(١) الآذيّ: الموج.

فلسوف يُنعِشُ أنفساً مُلتاعةً

ويُقيمُ رأساً جدَّ بالإطراق

ويُنيرُ حالِكَةَ البيوتِ إذا دجا

لَيلُ القنوطِ.. وهَامِدَ الأسواق!!

أمّا أنا.. فبأيِّ فخرٍ أزدهي

إنْ طالبَتْني الكفُّ بالإنفاق؟؟

أأجودُ بالشِعرِ المُعادِ وأرتجي

أنْ سوفَ يُحيي مَيِّتَ الأخلاق!

وهل القوافي غيرُ بائرِ سِلْعَةٍ

كَسَدَتْ بسُوقٍ غيرِ ذاتِ نَفَاقِ

لو كان يَهدي التائهين سَبيلُها

لهدىٰ (الرضيُّ) به (أبا إسحاق)[1]؟!

❀ ❀ ❀

يا لَيلُ نامَ الفَجرُ عنكَ فليتَها

سِنَةُ الحِمامِ ولَيْتَ عُمْرَكَ باقِ

ما الفجرُ؟!.. ما الصبحُ المنوَّرُ.. إنّما

فجري رَوائعُ نَهرِكَ الرقراق

(١) كانت بين الشريف الرضي وأبي إسحاق (الصابيء) رسائل متبادلة، وصداقة متينة تدل عليها أكثر من قصيدة للشريف في مدحه ورثائه، يزخر بها ديوانه وقد ظلّ أبو إسحاق على صابئيته، ومع ذلك فقد قال الشريف، وهو يلمّ بقبره:

لولا يذمّ الركبُ عندك موقفي … حيّيتُ قبرَك يا أبا إسحاق

بَـزَغَـتْ نـجـومُـكَ مِـن مَـرايـا مـائِـهِ

كـالـغـيـدِ تَـبـدو مـن خِـلال رُوَاق

وسَـمـعـتُ مـن أمـواجِـهِ وخَـريـرِهِ

لُـغَـةَ الـعِـتـابِ ولَـهْـجَـةَ الأشـواق

وإذا رأيـتُ الـمَـوْجَ عـانَـقَ بَـعـضَـهُ

قـلـتُ: اشـتَـقَـام الـحَـظُّ لـلـعُـشّـاق

حـتـى إذا سَـجَـتِ الـريـاحُ وأطـلَـعـتْ

فـيـه بـقـايـا الـمـوجِ بِـيـضَ تَـراقـي

وَبَـدَتْ عـلـى الأفـلاكِ آثـارُ الـسـرىٰ

فَـغَـفَـتْ كـواكـبُـهـا مـن الإرهـاق

وأرْتَـعَـتَ مـن حَـذَرِ الـصَـبـاحِ وفَـتـكِـهِ

لَـمّـا سَـمِـعْـتَ خُـطـاهُ فـي الآفـاقِ

.. أيـقـنـتُ أنّـكَ يـا حـبـيـبُ مُـفَـارِقـي:

فـهـجـرتُ نَـخـلاً كـنَّ فـيـكَ رفـاقـي

وطـويـتُ مـن وحـي الـضِـفـافِ صَـحـائـفـاً

كُـنَّ الـكـؤوسَ، وكـنـتَ أنـتَ الـسـاقـي

⊛ ⊛ ⊛

ومـذ الـنـهـارُ سـطـىٰ عـلـيـكَ بـفَـيْـلَـقٍ

مِـن كـلّ ضـامِـرةِ الـبُـطـونِ عِـتـاقِ

دَارَيْــتَ ثَــورَتَــهُ بِــصَــادِقِ خِـبْــرةٍ

وَلَـقِـيـتَ جَـحـفَـلَـهُ بِـشـرٌ مُـلاقِ

ثـم انـخـذلـتَ لـه.. خَـدِيـعَـةَ قـائـدٍ

لـتَـعـودَ تَـرفُـلُ بـالـعَـتـادِ الـواقـي

حـتـى إذا لَـعِـبَ الـغُـرورُ بـرأسِـهِ

واخـتـالَ فـي ثـوبِ الـضـحـى الـبرَّاق

أرديـتَ (قـائِـدَهُ الـعـظـيـمَ)[1] مُـخـضَّـبـاً

بـدمٍ عـلـى شَـفَـقِ الـغُـروبِ مُـراقِ

ونـشـرتَ ألـويـةَ الأمـانِ.. كـأنـمـا

لـم تَـبْـقَ لـلـفـتـحِ الـمُـبـيـنِ بَـواقـي

فـتـراجَـعَـتْ زُمَـرُ الـطـيـورِ إلـى الـربـىٰ

لـتُـعِـدَّ مـا حَـمَـلَـتْ مـن الأرزاق

وهَـفَـتْ لـقَـرعِ الـبـابِ كـلُّ صَـبـيَّـةٍ

لـتـرى أبـاهـا بـعـد طـولِ فِـراق

وضَـرَبـتَ تـحـت سِـتـارِ جُـنـحِـكَ مَـوْعِـداً

لِـمَـشُـوقَـةٍ حَـدِبَـتْ عـلـى مُـشـتـاق

وطـويـتَ فـي حَـلَـكِ الـشـواطـىء شـاعـراً

نَـبَـتَ الـغـرامُ بـقـلـبـه الـخـفَّـاق

---

(١) المقصود هنا: الشمس.

وعلى يَديهِ صحيفةٌ مكتوبةٌ:

(يا ليلُ أينَ أحبَتي ورفاقي!!)

الكوفة: ٣٠/ ٤/ ١٩٥٢

بغداد في الليل

حَدِّثي بَغدادُ عن ذِكرىٰ هَوانا
كُلَّما ضَمَّتْ شواطِيكِ الحِسانا
حَدثيهنَّ وقُولي: إنّها
لَيلةٌ حَمراءُ.. فاضَتْ أُرجُوانا
حَدِّثي فالحُبُّ أشهىٰ ما يَرَىٰ
أنْ تَقولي: هٰهنا كانتْ.. وكانا
هٰهنا (نَجدٌ) أفاقتْ من كرىٰ
ليلةٍ، طالَتْ على الحُبِّ زمانا
أَطْبَقتْ أجفانَها في ساعةٍ
أطبقَ التُّربُ على (قيسٍ) مُهانا
وأفاقتْ بعد ألفٍ فإذا
بالثرىٰ يَعبَقُ حُباً وحَنانا
وإذا (قيسُ وليلىٰ) نِبتَةٌ
تُثمِرُ الحبَّ الذي تَجني يَدانا

❀ ❀ ❀

حَدِّثي بغدادُ عن لَيلِي إذا
ضاقَ بالغِيدِ (النُواسيُّ)[1] مَكانا
وإذا ألهَبَ أهلِيهِ الهوىٰ
فأستحالَ السَمَرُ الحُلوُ دُخانا
وإذا مَرَّتْ عليهم ساعةٌ
يَعجَزُ الحبُّ بها عن أنْ يُصانا
ويَحارُ الصَمتُ: هل رَنَّت به
قُبلةٌ؟!.. هل غَدَرَ الحبُّ فخانا؟!
ليلةٌ خيرٌ من (الألفِ) التي
أغفَلَتْ عن (شَهرزادَ) السيفَ آنا
لم يكُ (المهديُّ) من فِتيانها
غيرَ صَبٌّ يترضَىٰ (الخَيْزُرانا)[2]
و(ابنُ هاني) سَادِرٌ في غِيدِها
لم تكن بُغيتُهُ إلاّ (جِنانا)[3]
كم بها من أُذُنٍ أسعَدَها
أنْ وَعَتْ نَجوىٰ الحبيبينِ بيانا

(١) شارع أبي نواس على دجلة.
(٢) الخيزران: جارية تزوجها المهدي العباسي فولدت له هارون الرشيد.
(٣) جنان صاحبة الحسن بن هاني (أبو نواس).

وثُغورٍ ذَهَلَتْ عن نفسِها

وكراسيُّ - بلا قَصدٍ - تَدانى

وفتاةٍ رَعِشَتْ من غَيْرةٍ

شفتاها.. إذْ تَلاقتْ شَفتانا

❀ ❀ ❀

حَدِّثي بغدادُ عن لَيلِي إذا

بَهَرَ الصبحُ فَمَ الدنيا وزَانا

وإذا اكتظَّتْ بأمثالِ الدُمى

(ساحةُ التاجِ) غرانِيقَ حِسانا[1]

يتمثّلنَ الذين اختلسوا

في الهوى من غَفَلاتِ الدهرِ آنا

حَدِّثِيهمْ عن (سَمِيراميسَ) هل

فَجّر الحُبُّ بها نبعَ هوانا؟!

هل (عَرِيشُ الزهرِ) والغِيدُ به

تتغنّى، غيرُ رَجْعٍ من صدانا؟!

وهل الدنيا بكَفَّيْ (جعفرٍ)

تَهَبُ المالَ فلاناً.. وفلانا..

---

(١) الغرانيق: جمع غُرنوق وغُرانِق: الشاب الأبيض الجميل، ويقال: شاب غُرانِق وصبية غرانق.

مِـثـلُ دنـيـايَ الـتـي مـا ضَـحِـكـتْ
لِـي إلاّ ارفَـضَّ دُراً وجُـمـانـا[1]

⊛ ⊛ ⊛

حَـدّثِـي بـغـدادُ عـنـي واكـتُـمـي
قـولَـهـا لـي ـ والـهـوى أغـوىٰ صِـبـانـا ـ:
«سـاعـدٌ رخـوٌ، وصـدرٌ مـائِـجٌ
وفـمٌ عَـذْبٌ، فـحـتـى مَ تَـوَانـىٰ»
«يـا حـبـيـبـي.. ودَنَـا الـفـجـرُ إلـى الـ
شاطـىء الـمـسحـورِ يَطوي الـمِـهـرجـانـا»
«فـتَـولّـىٰ الـنـاسُ إلاّ نَـفَـراً
سَـكِـروا، فـاسـتـصـغـروا حـتـى الـزمـانـا»
«وأضـلَّ الـحـبُّ مـن غَـيْـرتِـهِ
أنـجـمَ الـلـيـلِ، فَـقُـلْ لـي: مَـنْ يَـرانـا؟!»
ثُـمّ قـامَـتْ فـأدارتْ سِـحـرَهـا
مـن جُـفـونٍ تَـجـعـلُ الـعَـقـلَ جَـبـانـا
فـإذا بـي راقـدٌ فـي جَـنّـةٍ
مـن ربـيـعِ الـحـسـنِ قـد مـاجَـتْ جِـنـانـا

(١) سميراميس [ملكة آشور] وعريش الزهر، وجعفر البرمكي: مواكب تمثيلية كانت تستعرض الشوارع والساحات لمناسبة فرحة تعيشها بغداد ليلتئذٍ.

غَارِقٌ مِن صدرِها في لُجّةٍ
ليس إلاّ الناهِدُ البَضُّ أمانا

⊛ ⊛ ⊛

إيهِ بغدادُ وحسبي أنّها
ليلةٌ يَنحطُّ عنها الدهرُ شانا
كلُّ ما فيها بَقايا سامرٍ
وُلِدَ النجمُ عليه وتَفانى
وعبيرٌ في حَنايا المَزجِ من
أَثَرِ الغيدِ به طَعمُ شَذانا
ومناديلُ أضاعَتها المَها
في الشواطي.. وتَبَنَّتها يدانا
نَتَملاّها.. وفي أطرافِها
أثَرُ الخَيبَةِ والحِرمانِ بانا
حدّثي بغدادُ عن ذكرى هوانا
كلّما ضمَّتْ شواطِيكِ الحِسانا..

بغداد: ١٩٥٣/٥/٢

..كنت سفيرنا !!

وَلَدي (حُمَيْدُ)[1] لو تَخِذْتُ مِن الورى

خِدناً، لما استَبْدلتُ عنكَ خَدينا

أَنَسِيتَ يومَ لَقِيتُ وَجهَكَ باسماً

يَنجابُ عن وَضَحِ الصباحِ جَبينا

فكأنني لاقَيْتُ فَجرَ طُفولتي

مَرِحاً.. وزَهْوَ شَبيبتي مَفتونا

وكأنني - أُحصِي نُكاتَكَ عَذبةً -

أُحصي مُراقَبَتي لِقاكَ سِنينا

❀ ❀ ❀

ولدي لو استَعْرضتُ فَضلَكَ حاسِباً

أشفَقْتُ أني لا أكونُ أَمينا

---

(١) هو الذي سبق أن ناغيته في قصيدة (صغيري حُميد).

يــا رُبَّ هَــمٍّ قــد أطــاحَ بــزَهْــوِهِ

ضَـحِـكٌ يَـرِنُّ بِـمـسـمَـعـيَّ رنـيـنـا

ومُـقـابِـلُ الأيـامِ.. أثـقـلَ هَـمِّـهـا

حَـمْـلاً.. بـأضـعـف مـا يَـخِـفُّ مُـتـونـا

مـاجَـتْ بـهِ الـدنـيـا.. وأغْـرَقـه الأسـىٰ

حتـى طَـلَـعـتَ لـه.. فـكـنـتَ سَـفـيـنـا!!

المؤمنين: ١٩٥٤/٥/٥

مَعَ الزورقِ النشوانْ

يـا شِـراعـاً يَـجـري مـع الـنَـسَـمِ الـرَّهْـ
وِ عـلـى زَفـرَفِ الـسـنـى مُـطـمـئِـنّـا
جَـسَّ نُـوتِـيُّـهُ[1] هَـوَامِـدَ ذِكْـرا
هُ، فـثـارتْ، فَـهَـيَّـجـتْـهُ، فـغـنّـى
فـإذا كـلُّ نَـخـلـةٍ فـي الـشَّـواطـي
شـاعِـرٌ مَـسَّـهُ الـغـرامُ فـجُـنّـا
وإذا بـالـقـلـوبِ مـن كـلِّ صَـوْبٍ
تـتـلاقـى.. وبـالـمـواعِـيـدِ تُـبـنـى
يـا لَـهـولِ الـعُـشّـاقِ.. مـا هَـمَـس الـحـ
ـبُّ بـشـعـرٍ.. إلاّ أعـاروه أُذْنـا

⊛ ⊛ ⊛

(١) النوتي: الملاّح.

حَسَدَتْكَ العُيونُ يا نَهرُ، مَنْ ذَا
رَقَّ مِجدافُهُ عليكَ، وحَنّا؟!
أتُراها تَودُّ غيرَ الفُراتِ الـ
ـعذبِ دَمعاً، وغيرَ شطّيهِ جَفنا؟؟
خَسِرَتْ صَفقَةُ العُيونِ، فقد خا
بَ ـ إذا لم تَكُنْكَ ـ ما تتمنّى!!
وَيْ.. كأنّي أُحِسُّ زورَقَكَ السا
جي على مِحجريَّ يَنسابُ وَهْنا
وكأنّي أُحِسُّ خَفقَ الشِراعِ الـ
ـرخوِ، في ثورة الفؤادِ المُعنّى
يا حبيبي.. رقَّ النخيلُ لشكوا
يَ، وذابَتْ مَدارِجُ الريفِ حزنا
يا حبيبي.. وكاد حتى قَطيعُ الـ
ـبَهْمِ يدعو هَواكَ لو يتأنّى!!

۞ ۞ ۞

رُبَّ ليلٍ تَراقَصَتْ في حَواشِيـ
ـهِ نجومُ الدُجا، فتحكِيكَ فَنّا
وصَباحٍ ألقى على وَجْنَتَيْهِ
رَوْنَقَ الوَرْدِ إذْ يُباهِيكَ حُسْنا

وزهــورٍ تَـعــرّضــتْ لِـيَ فـي الـحَـقْــ
لِ، وَصاحتْ: يا قَيسُ، (لَيلاكَ مِنّا)
ومُـــروجٍ رَقَّـــتْ لـــحـــونُ شـــوادِيـــ
ـهـا، وَكـادتْ تَـأتـي بـمـثـلِـكَ لَـحـنـا
يـا حـبـيـبـي.. ولـسـتُ أكـتُـمُ أنّـي
كِـدتُ أغـوىٰ بـهـنَّ: عَـيْـنـاً، وأذْنـا
غَـيْـرَ أنْ لـيـس لـي يـدٌ بـفـؤادٍ
لـم يَـجِـد ثَـمَّ، مِـن مَـعـانـيـكَ مـعـنـىٰ!!

❀ ❀ ❀

ربّـمـا صِـرتِ فـي يَـدي، حـيـنَ ضَـلَّـتْ
دَربَـــهـــا أعـــيـــنُ الأقـــاويـــلِ عـــنّـــا
وتـنـاسـتْ (سـلـمـىٰ) ذُحُـولَ لـيـالـيـ
ـهـا، وأغـفـتْ عـن الـضـغـائـنِ (لُـبـنـىٰ)
فـاسـتـحـالَ الـيَـقـيـنُ فـي هَـمَـسـاتِ (الـ
ـحـيِّ): قَـوْلاً، لا يَـسـتـريـحُ، وظَـنّـا
وجَـرىٰ فـي عُـروقِ لَـيـلـتِـنـا، تـلـ
ـكَ، دَمٌ مِـن صـبـاحِـنـا رَفَّ لَـوْنـا
فـإذا بـالـهـوىٰ يَـدِبُّ بـقَـلْـبَـيـ
ـنـا، دَبيبَ الشفاءِ في جِسمِ مُضنىٰ

وَتَلاقتْ أسلاكُهُ في شِفاءٍ

راعشاتٍ، وأذرعٍ تتثنّى

يا حبيبي.. قد طالَ ظُلمُ الليالي

وتناستْ أسحارُها: كيف كنّا؟!

فمتى يَنجُمُ اليَقِينُ بقلبٍ

كلَّ يومٍ يَبنِي به الشكُّ مَغنى

وإذا مَرَّتِ الصَبايا عليه

قُلْنَ: يا وَيحَهُ أَبالوَهمِ يُعنى؟!

المؤمنين: ٧/ ٥/ ١٩٥٤

أناشيد في المولد النبوي

أُقيم في سوق الشيوخ حفل نبوي كبير في ١٦ ربيع أول ١٣٧٤ حضرته جمهرة من شعراء العراق، وفي القصيدة موقف الشاعر من قضايا الأمة، والتطرّف السياسي الذي كان يطبع سلوك الشباب العراقي يومئذٍ.

- ١ -

رَدِّدي يـا حَـنـاجِـرَ الـبـيـدِ لَـحـنـي

فـالـكـرىٰ فَـرَّ مِـن جُـفـونِ الـمُـغَـنّـي

أَسـلَـمَ الـلـيـلَ زَهـوُهُ، حـيـن طـافـت

خـاطِـراتُ الـسـنـىٰ عـلـى كـلِّ جَـفْـنِ

وتَـولَّـتْ جـحـافـلُ الـظُّـلْـمـةِ الـسُّـو

دُ، تُـمـنّـي فُـلـولَـهـا مـا تُـمـنّـي

وعـلـى ظَـهـرِهـا مِـن الـفـجـرِ سَـوطٌ

يُـطـبَـعُ الـنّـصـرُ مـنـه فـي كـلِّ مَـتْـن

بُـورِكـتْ ثَـورةُ الـسـنـىٰ تُـنـشِـيءُ الـمـجـ

ـدَ بـضـاحٍ مـن الـهـدىٰ مُـطـمـئِـنٍّ

وعـلـى هَـدْيِـهـا صـدىٰ الـنَّـغَـمِ الـشـا

ئـرِ يَـنـسـابُ فـي جَـلالٍ ويُـمـن:

يـا رمـالَ الـصـحـراءِ قـد طُـوِيَ الـجَـد

بُ، ومُـنِّـيـتِ بـالـربـيـع الأغَـنّ

هَـدَمَ الـجـورَ يَـومُ مـولـدِ (طٰـه)

فـانـظـريـه: كـيـف اسـتـعـدَّ لـيـبـنـي

ثـم مـاذا عَـمَّـا أفـادَ (أبـو جـهـ

لٍ) ومـاذا مـن حِـقـدهِ الـيـومَ نَـجـنـي؟!

ثَـمَـرُ الـشـوكِ أنْ تَـعـودَ الـمـجـانـي الـ

حُـمْـرُ مِـن قَـطْـفِـهِ بـأخـيـب ظَـنّ!!

- ٢ -

رَدِّدي يـا خَـنـاجِـرَ الـبـيـدِ تَـغـريـ

ـدي، فـقـد غَـصَّ بـالـجَـلالِ نَـشـيـدي

لا طَـواكَ الـتـاريـخُ يـا يَـومَ (بـدرٍ)

فـلـقـد كـنـتَ - لـو وَعـىٰ - يـومَ عِـيـدِ

هَـمَـسـاتُ الـنـبـيِّ لـلـنَـفَـرِ الـبـيـ

ـضِ عـلـى (غـيـرهـم) هَـديـرُ الـرُعـود!!

وصَـلاةُ الـصِـحـابِ، تُـتـلـىٰ حَـوالَـيْـ

ـهِ، عـلـى سَـمـعِـهـم صَـلِـيـلُ الـحـديـد!

أرأيـتَ الإيـمـانَ يَـرتـجـلُ الـرُعـ

ـبَ لـيَـقـوىٰ بـه هُـزالُ الـجـنـود!!

هـذه سَـاحـةُ الـوغـىٰ.. فـتـأمّـلْ:

كـيـف تَـعـنـو الـقَـنـا لـزهـوِ الـجـريـد!؟

كيف تُطوىٰ (لرايةِ الحمدِ) في كفِّ

(علـيٍّ) مُـمزَّقـاتُ البُـنود؟!!

أينَ زَهوُ الوجوهِ من (عبد شمسٍ)؟!

طُويتْ في الثرىٰ رِقاقُ الخدود

واستلانَ المُدِلُّ (بالمرتقى الصعـ

ـبِ) لراعٍ من هؤلاءِ (العبيد)[1]!!

أَينَ منّا أيّامُ بدرٍ، فقد عَا

دتْ قُريشٌ.. لكنْ بزهوٍ جَدِيد!!

- ٣ -

يا رسولَ الإيمانِ قد طَفَحَ الكأ

سُ، وضاقَتْ بما تُسِرُّ الضلوعُ

قد أضعنا إيماننا وهو، لو نعـ

ـلَمُ، أقسىٰ - في يومِنا - ما نُضِيعُ

نَترجّىٰ أيامَ بدرٍ، وهيهَا

تَ (لماضٍ من الزمانِ رجوع)

قد لَبِستُم ذُلَّ القيودِ، ولكن

أسفَرَ الصبحُ، وهي - مِنكَ - دُروع

---

(١) اشارة إلى قول أبي جهل حين ارتقى ابن مسعود على صدره: (لقد ارتقيتَ مرتقى صعباً يا رُويعي الغنم).

وحَمَلتُم جَدبَ الحياةِ لتهتز

زَ رِمالُ الصحراءِ.. وهيَ ربيع

غَيرَ أنّا نُحطِّمُ القيدَ أحيا

ناً لأنّ (القيدَ الجديدَ) بديع!!

ونُحِيلُ الصحراءَ أيكاً من السِحـ

ـرِ ولكنْ.. ثِمارُهنّ الجوع!!

ثم ماذا؟!

مأساتُنا أنْ نرىٰ البَعـ

ـضَ لواه عن الجهادِ الخُضوع!!

وتناسىٰ: أنا ركبنا متُونَ الـ

ـهولِ، والدهرُ في الرِكاب تبيعُ

عَرشُ (روما) وتختُ (جَمشيدَ) مرعا

نا، وأسرابُ جَيشِهنّ قطيعُ

- ٤ -

يا رسولَ الإيمانِ إنّا وَجدنا الـ

ـدهرَ شيخاً عن رشدِه يتعامىٰ

ذَكَرتْ نَفسُهُ هوى (الليلةِ الحمـ

ـراءِ).. فارْتَدَّ بالضَلالِ غلاما

باحثاً في القرونِ عن (هُبَلَ الأعـ

ـلى).. فيُعطِيه من بنيكَ الزِماما

قُتِلتْ مِحنةُ العقولِ!! فقد عا

دتْ بقومي لتَعْبُدَ الأصناما

واستدارتْ إلى (اليسارِ) وقد كا

نت، إذا انشقَّتِ الطريقُ، أمَاما

عُذْرُكم: «أننا حَمَلنا خَطايا الـ

ـفقرِ، والجهلِ، والضَنى، أعواما»

«وأقمنا (حُكماً) فألزَمَنا (اليُتْـ

ـمَ) - على رَغمِ رُشدِنا - إلزاما»

«فإذا (الأوصياءُ) رَهطٌ يَعيشو

نَ لكي يَشربوا دموعَ اليتامى»

وحَسِبتُمْ في (حُمرةِ) الأفقِ الشر

قيّ (فجراً) ينير هذا الظلاما

فدعوتُمْ له، وإن كان ناراً

حَجَبتْ في دُخانِها الإسلاما

- ٥ -

يا دُعاةَ اليَسارِ لو حُكِّم العقـ

ـلُ لكنتم في (الجبهتينِ) عَبيدا

لستُ أرضى للحرِّ في القيدِ، أنْ يَسـ

ـألَ: هل كان فِضةً، أم حديدا؟!

رِقّـةُ الـثـوبِ فـي الـمُـشـوّهَـةِ الـبـلـ
ـهاءِ، لـم تُـعطِـهـا الـجـمـالَ الـفـريـدا!!
قـد نَـشـأنـا عـبـيـدَ (قَـوْمٍ) أشـدّا
ءَ، نَـوايـاهُـمُ، تـكـشّـفـنَ، سُـودا
أفـنـحـيـا لـكـي نَـعـيـشَ عـبـيـداً
لـنـوايـا ضَـربـنَ عـنـا سُـدودا؟!
حـاربـوا الـرِقّ، والـتـعـاسـةَ، والـكُـفـ
ـرَ.. وكُـونـوا لِـمَـنْ أردتُـمْ جُـنـودا
نـحـن قـومٌ قـد عَـلّـمـتـنـا الـلـيـالـي:
أنْ نـرى أوّل الـخِـداعِ الـوُعـودا
فـعَـلِـمـنـا أنّ (الأُجـاجَ) الـذي نَـشْـ
ـرَبُ خـيـرٌ مـن (الـسَـراب) وُرودا؟!
ورأيـنـا أنّ الـصـلابـةَ فـي الـعُـقْـ
ـدَةِ لا بـدّ أنْ تَـفُـلّ الـحَـديـدا
فـاقـهـروا - مـا استطعتُمُ - الـرِقَّ لـكنْ..
حـاذروا أن يـكـونَ رِقّـاً جـديـدا
المؤمنين: ٢٤/ ١٠/ ١٩٥٤

من نبع النبوّة

شاركت هذه القصيدة في احتفال جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف ٢٧ رجب ١٣٧٤ لذكرى المبعث النبوي مستغلّةً المناسبة لعرض وجهة نظر الشباب المسلم في عدم مواكبة شيوخ النجف لمشاكلنا المعاصرة.

أتـجِـفُ فـي الـقَـلَـمِ الـمُـغـرِّدِ أدمـعُ

وعـلـى يـديَّ مِـن الـنُـبـوَّةِ مَـنـبَـعُ!

شَـرِبـتْ هـواكَ قـصـائـدي حـتـى إذا

سَكِرتْ.. صَرَعْتُ بهنّ مَنْ لا يُصرَع

ومـلأتُ أكـؤسَـهـا مُـنـىً.. لـو أنّـهـا

سُكِبتْ بقلبِ اليأسِ، أوشَكَ يُمرِع

وحَـمَـلـتُـهـا لـلـشـاربـيـنَ.. فـعـاطـشٌ

أرْوَتْـهُ شَـهْـقَـةُ كـأسِـهـا إذْ تُـتْـرَع

ومُـعـاقِـرٌ، لـو كـان يَـعـلَـمُ أنـنـي

ذَوّبـتُ نـورَ الـشـمـسِ سـاعـةَ تَـطـلُـعُ

لَـتَـخـالَـجـتْ أنـفـاسُـهُ، ثُـمّ انـزوىٰ

لـيـقـولَ: مِـلـحُ الـبـحـرِ مـنـهـا أنـفَـعُ!!

والـشِعـرُ مِن قَـطرِ الـسَـمـا.. فَـبِـحُـفـرةٍ

مِـلْـحٌ.. وبـالـتَـلَـعَـاتِ خِـصـبٌ مُـمـتِـعُ

۞ ۞ ۞

أَتـجِـفُ فـي الـقـلـمِ الـمُـغـرِّد أدمعٌ
وَهَـواكَ مَـنـبَـعُ عِـطـرِهـا الـمُـتـضـوِّع
وعَـلَـيَّ مِـن ذِكـراكَ أطـيـافُ الـسـنىٰ
تَـجـلـو غَـشَـاوَةَ مـا يَـغِـيـمُ، وتَـقْـشَـعُ
هـذي هِـيَ الـبـطـحـاءُ، مَـهْـدُكَ، أُلـهِـبـتْ
بـأحـرِّ مـا تَـجِـدُ الـقـلـوبُ وتَـجـزَع
والـسـامِـرُ الـقُـرَشِـيُّ.. مِـن أحـقـادِهِ
كـادَ الـزَّفـيـرُ بـه يُـضـيء ويَـسـطَـعُ
والـلـيـلـةُ الـظَّـلْـمـاءُ فَـرطَ حَـنـيـنِـهـا
لـلـفـجـرِ.. وَدَّتْ لـو تـمـوتُ فـيَـطـلُـعُ
حـتـى كـأنَّ نُـجـومَـهـا ـ لِـوُقـوفِـهـا ـ
مُـقَـلٌ، أطـالَ شُـخـوصَـهـنَّ تَـطـلُّـعُ
وكـأنَّ كـلَّ شِـهـابِ لـيـلٍ مـارِجٍ
(آهٌ).. يُـمِـدُّ بـهـا فُـؤادٌ مُـوجَـعُ
وكـأنّـه يَـلِـجُ (الـمَـجـرَّةَ) ثـاقِـبـاً
جُـرحٌ يُـشـرِّطُ جَـانـبـيـهِ مِـبْـضَـعُ
الـلـيـلـةُ الـظـلـمـاءُ تَـحـلُـمُ بـالـسـنىٰ
وَلَـسَـوفَ يَـقـتُـلُـهـا الـهـوىٰ الـمُـتَـوقَّـعُ
بُـوركـتِ مُـهـدَرَةَ الـدمـاءِ فَـطـالـمـا
يُـلْـتَـذُّ، فـي الـكـفِّ الـحـبـيـبـةِ، مَـصـرَعُ

❀ ❀ ❀

وطَلَعتَ فالدنيا فَمٌ مُتبسِمٌ

والوَحيُ صَوتٌ بامتداحِكَ يَصدَعُ

أنّى مَشَيتَ زَرَعتَ نُورَكَ دَوحةً

أثمارُها الرُشدُ الذي تتوقَع

ما ضرَّ ساغِبَةَ العقولِ إذا رأت

بِظِلالِ هَديِكَ ما يُقِيتُ ويُشبِعُ

نشأتْ على الفَوْضىٰ يُغِيثُ قَطِيعَها

نَبْتٌ مِن الخُلُقِ الوَضيعِ ومَرتَع

حتى إذا بَشِمَتْ بِسُمِّ غذائِها

وَزَها بوَفرةِ حَاضِنيهِ البَلقَعُ

عَالجتَها بالفِكرِ أَوضَحَ طَلعةً

مِن أنْ يُقابِلَه الصباحُ الأنصَع

وسَقَيْتَها كأسَ الشِفاءِ ولم تَطِبْ

لو لم تكن مِن نَبعِ خُلقِكَ تُنزَع

ونَظَمْتَها فِلَذاً.. ورُوحُكَ سِلكُها

واقْتَدتَها جَيشاً.. وحَزمُكَ مَهيَع

❀ ❀ ❀

حتى إذا وَضَحَ السَبيلُ لسالِكٍ

وانجابَ عن عينيه لَيلٌ أسفَعُ

وَرَأوكَ في وَعرِ الطريقِ تشقُّها
لتُزيحَ عن أقدامِهم ما يَصدَع
وَقفَتْ عقولُهم المُخِبّةُ حَيرةً
تذرو عقائدَها الرياحُ الأربَعُ:
(فَتَيامَنَتْ) فِئةٌ، لتَعرِفَ رِبْحَها
و(تَيَاسرتْ) أخرىٰ، ليكبُرَ مطمَع
و(تَراجَعتْ) للزهوِ تَخْضِمُ نَبْتَهُ
فئةٌ.. بغيرِ هَشِيمِهِ لا تَشبَعُ
أمّا الذين جَرَيْتَ في أعراقِهم
نُوراً به أَلَقُ الدِما يتلفَع
فسيقتفونَكَ في الجهاد، وإنْ شَكا
ضَعفَ العزيمةِ، شَوْطُها المُتقطِّع

⊛ ⊛ ⊛

سبحانَك اللّهم.. تَبْتَعِثُ الرَجا
في القلبِ.. أَضيقَ ما يكونُ، فتُوسِع
وتُعِيدُ للحقلِ الجديبِ شَبابَه
فَيَرِفُّ بالزَهَرِ النَديّ، ويَلْمع
وتَطوفُ في حَلَكِ السجونِ ببائِسٍ
القَيْدُ يَضحكُ من بُكاهُ فيجزَع

وإذا برحمتِكَ الرضيّةِ في البُكا

ضَحِكٌ.. وفي الضَحِكِ المخاتِلِ أدمع

سبحانَكَ اللّهم.. نحن كما ترىٰ

صُبْحٌ.. ولكنْ بالدجىٰ يتقنّع

أمّا الشبابُ.. فقد صَدَقْتُ، حَدِيدُهُمْ

صُلْبٌ.. ولكن باردٌ لا يُطبَع

وَقفوا بمُفتَرَقِ الطريقِ، وحَولَهم

كفٌ تَجاذَبُهم، وأخرى تدفَعُ

فإذا انسجمتَ بهم وقلتَ: مَقِيلُكم

رَخْوُ البناءِ، سَمِعتَ ما لا يُسمَع؟!

يتهامسون: «دَعوا الشبابَ وشأنَه

ما للسليمةِ بالـ(مُخدِّرِ) مَطمَعُ!!

أوَ بعد أنْ وَضَحَ الطريقُ وضعتُمُ

نُصُباً تُضلِّلُ سالِكيه (ليَرجِعوا)

عُودوا إلى حَلَكِ الظلامِ فَصَيْدُكُمْ

في الخاثرِ، العَكِرِ، المُحدَّدِ، يَرتَع!!

۞ ۞ ۞

وإذا أتيتَ إلى الشيوخ هَزَأْتَ

بالدنيا وما كانت تَضُمُّ وتجمع..

ما الكونُ، في لُغَةِ الشُيوخِ، سوى مَدَىً

تـحـويـه، مـن صِـغَـرٍ، زَوايـا أربَـعُ!!

والعيشُ..؟!

ـ هَلْ هو غيرُ قُرصٍ يابِسٍ

تَقِفُ الحياةُ به، ويَغفو المَصْرَع!!

والدينُ..؟

ـ إنّ الـديـنَ أمـنَـعُ جـانـبـاً

مِن أنْ يُـصـدِّعَـه شَـبـابٌ يُـخـدَعُ!

والخُلُقُ..؟

ـ يكفي أنّني مُتخلِّقٌ!!

والعَقلُ.؟!

ـ حسبي أنّ عَقليَ طَيِّع!!

فإذا اجترأتَ وقُلتَ: هَلْ بَلَغ الهُدىٰ

مَنْ كـانَ فـي حَـلَـكِ الـزوايـا يَـقـبَـع؟!

يـبـنـي مـن الـحَـسَـكِ الـيَـبـيـسِ وِسـادَهُ

والـنـاسُ فـي الـلّـحـبِ الـمُـعـرِّشِ تُـسرِع

ثـاروا عـلـيـكَ، فـكـنـتَ صَـفْـرَةَ خـائـفٍ

هـيـهـاتَ يَـحـفِـلُ فـي صَـداهـا الـبَـلْـقَـع

❀ ❀ ❀

يا سَادةَ النجفِ الغريبِ بِعالَمٍ
صَنَعَتْ قَرابَتَهُ مُنىً تتجمَّعُ
كانوا به شِيَعاً فَقارَبَ بينَهمْ
أَلَمٌ تَحسَّسُهُ القُلوبُ فتخضَعُ
حتى رأينا الغَربَ يُنبِتُ كَفَّهُ
في الصينِ، عن كَفٍّ هنالِكَ تُقطَعُ
ويُحِسُّ جَفْنٌ في (أروبا) ضاحِكٌ
بظُرُوفِ مَصلوبٍ بـ (مِصرَ) فيَدمَع!
و(هنا) يَكادُ البَيتُ يَجمَعُ بَهْوُهُ
أخوينِ.. بينَهما الفَضاءُ الأوسع
هذا يَجِدُّ وفي فضولِ ردائِهِ
للشوكِ ما يُدمِيه ساعةَ يُسرِع
ويَراهُ صاحِبُهُ، فيَقبَعُ خامِلاً
والعَطْفُ يجهَشُ في حَشَاهُ ويَهمَعُ
سبحانَك اللّهمَ.. نحن كما ترى
صُبْحٌ.. ولكنْ بالدجى يتقنَّع!!
لا الشيخُ ينَزِلُ من ذُراه ولا الفتى
يَحبو به الأَلَمُ المُجِدُّ فيُرفَعُ
والريحُ بينهما لـ (هَمّ جائِمٍ)
ما طالَ بُعدُهُما به يتوسَّع

❀ ❀ ❀

إيهاً حُماةَ الدينِ لا يَطأُ الثرىٰ

نَجْمٌ، له مِن طَبْعِهِ ما يَرفَع

لكنّه، للركبِ يَفرُشُ ضَوْءَهُ

هَدياً.. وللسَمَرِ المُعطَّرِ يَخشَعُ

والبدرُ، في مُتَعِ السماءِ.. وقلبُهُ

يهفو إلى وَعرِ القِفارِ فيَقْطَع

لِيُنيرَ خَابِطةً.. ويُرشِدَ تائهاً

ويَسيرَ في أدراجِهِ مُتتبِّع

ومحمدٌ، أعلا وأرفعُ رُتبةً

مِنْ أنْ تَنالوا مَجْدَه أو تَطْمَعوا

يَدنو ليَمسَحَ خَدَّ طِفلٍ عاثِرٍ

ويُقيمَ شيخاً.. أَوْدُهُ مُتصدِّع

ويُشاوِرَ القومَ الذين تَفطَّرتْ

أكبادُهم حِقداً.. إلى أنْ يَقْنَعوا

حتى إذا عَصَرَ اللظىٰ، فتَقاطَرَتْ

مِن جمرِهِ بين الأصابعِ أدمع

ألقىٰ (رِسالتَهُ) إليكم خالِداً

وعليكم أنْ تَحفَظوه فتتبعوا

النجف: ١/٤/١٩٥٥

في الجنة المعلقة

في وسط مدينة الحلة (تلّة) أراد مهندسوها أن يعيدوا بها صورة جنائن بابل المعلقة فكانت متنزهاً جميلاً قضى الشاعر فيها أحلى ساعاته.

وفي (الحِلّةِ الفيحاءِ) حيثُ طَلَعتِ لي

علـى كـلّ شَـعـرٍ خِـصـلـةٌ تـتـموّجُ

وحـيـثُ أطـلّـتْ ذِكـريـاتُـكِ مـن كُـوَىً

مُفتَّحةٍ في القـلـبِ.. هَـيـهاتَ تُرتَج

.. تسللتُ من همّي لأحيا (بروضةٍ)

يَـمُـورُ عـلـيـهـا عِـطـرُكِ الـمـتـأرِّج

كـأنّ عـلـيـهـا مـن (جَـنـائـنِ بـابـلٍ)

رؤىً حُـلـوةً بـالـواقـع الـصـحـوِ تُـمـزَجُ

تَـصـاعَـدَ مَـرأى الحـسـنِ فـيـهـا كـأنّـهـا

سَـلالِـمُ يَـرقـىٰ الـفـنُّ فـيـهـا ويَـعـرُج

نَظُنُّ خَضِيلَ الوردِ في الحقلِ صاعداً

صَـبـايـا عـلـى تَـلٍّ مِـن الـرمـلِ تَـدرُج

وتَحسِبُ في (النافورة) الماءَ راقصاً

فـتـىً بـيـن أسـراب الـمَـهَـا يـتـغـنّـج

فأسلمتُ قلبي للمنى..

.. وزَعَمْتُني نَسِيتُكِ!!

.. لكنّ الهوى البكرَ مُحرِجُ

يُصوِّرُ لي في الوردِ ثَغرَكِ يزدهي

ويُطلِعُ لي في الغُصنِ خدَّكِ يَنضُجُ

فما أغفَتِ الآمالُ إلاّ أثارَها

على خاطري حُلُمٌ من اليأس مُزعِج

كأنّ حَفيفَ الريحِ بين غُصونِها

ثغورٌ حَيِيّاتٌ بذكرِكِ تَلهَجُ

الحلة: ١٩٥٥/٤/٤

مع الشمس الجريحة

ذَكَرْتُكِ والأفقُ الخضيبُ تهالَكَتْ

على صدرِهِ الشمسُ الجريحةُ ترجُفُ

تُعفِّرُ خَدّاً في الثرىٰ من تَذَلُّلٍ

وتَمسَحُ خداً بالدمِ الحُرِّ يَنزِفُ

يَصولُ عليها هاجمُ الليلِ أصفراً

ويَرجِعُ عنها وهو نَشوانُ أشدَفُ

كأنَّ خُفوقَ السُحبِ فوق جبينِهِ

مُلونةً.. أعلامُ نصرٍ تُرفرف

وتَحسِبُ في ذَوْبِ الأصيلِ هِلالَهُ

بَقيَّةَ سيفٍ من دمِ الشمسِ يَرعَفُ

❀ ❀ ❀

ذكرتُكِ والشمسُ الجريحةُ أسلَمتْ

على الأفقِ رُوحاً للضحى تَتَلهَّف

وإذْ هَيّأتْ للنومِ أجفانَ قَريَتي

تَباشِيرُ أحلامٍ مِن الفجرِ ألطَفُ

فتغفو على حُلْمٍ يُدِرُّ ضُروعَها
وتصحو على حُلْمٍ به الزرعُ يُقْطَف
وتُطبِقُ جَفنَيْها على حُلْمِ شاعرٍ
يَكادُ يُذِيبُ الجمرَ ساعةَ يَذرِف
لكَ اللّهُ يا قلبي. أَلِلّيلِ آخِرٌ
وللشمسِ تبكي جُرْحَها مَنْ يُكفْكِف؟!
ولِلعينِ.. مَنْ يَطوي اللظىٰ عن جُفونها؟!
ولِلحُلْمِ الطاغي بها مَنْ يُخفِّفُ؟!
لقد ضاقَ بالليلِ انقباضاً ووحشةً
- على وُسعِهِ - صَدرُ الفضا المُتلهِّف

❀ ❀ ❀

نَسِيتُكِ؟!
حاشا كيف أنسىٰ لياليا
إلى مثلِها قلبُ الضحىٰ يَتشوّف!!
وخِفّةَ طَبْعٍ لا أبيعُ صَريحَها
بما في الورىٰ مِن خِسّةٍ تَتَعفّف
فكم نَزَوَانٍ أشتهيهِ لأنّه
مِن الحِلْمِ - مَصنوعاً لدىٰ البعضِ - أشرَفُ
وكم مَسرحٍ غنّىٰ عليه (مُمثِّلٌ)
وبين يديهِ للخديعةِ مُصْحَفُ!!
المؤمنين: ١٢/ ٤/ ١٩٥٥

لقاء ..

ذَكَرْتُكمْ حينَ هَبَّ الحُبُّ يُنْبِتُنا

على ثرىٰ «لَشْكَرآبادٍ»[1] رياحينا

وإذْ أعارَ الصَباحُ الطَلْقُ طُرَّتَهُ

لسَحنَةِ الليلِ فازْدانَتْ بها حِينا

نَسيرُ في الدَربِ مُكتظّاً بسالِكِهِ

فلا تَرى غَيْرَنا فيه مآقينا

حتى شَكَكْنا..: أهذي الخُلْدُ تجمعُنا

بعد المماتِ؟! أم الأوهامُ تُحيينا؟!

أم جَنَّةٌ صَنَعتْها في مَخائلنا

ذكرى تَمرُّ بقَلْبَيْنا فتُدنينا!؟

❀ ❀ ❀

---

(١) لشكرآباد: ضاحية في مدينة الاهواز.

حتى إذا كاد يَغفو الليلُ من سَهَرٍ

على ذِراعٍ من الفَجرِ انثنى لِينا

وامتدّ للشُهبِ كَفٌّ منه يُطفِؤها

حاشا سِراجاً بزيتِ الحبِّ مَشحونا

تَحسّستْ شفتي في ضَوئِهِ شَفَةً

كانتْ تَطوفُ بنا مَرضىً فتَشفِينا

فآمنت بجلالِ الحبِّ أخيِلَةٌ

كانتْ تعيش بأوهامي شياطينا

١٩٥٥/٤/١٦

خُطامُ زَوْرَق

اذكـروني إذا الـتـقـيـتُـمْ بِـهِ، والـ

ـحُـبُّ مُـغْـفٍ عـلـى وِسـادِ الـحَـنـانِ

والـنـجـومُ الـزهـراءُ تَـخْـفِـقُ فـي الـلـيـ

ـلِ، خُـفـوقَ الأحـلامِ فـي الأجـفـانِ

وإذا مـا سَـهـا الـنَـسِـيـمُ فـعـاثَـتْ

كَـفُّـهُ فـي ذوائـبِ الـريـحـانِ!!

ورأيـتُـم «كَـفّـاً» تُـمَـدُّ مِـن الـغَـيـ

ـبِ، فـتَـلـوِي كَـفَّ الـنـسـيـمِ الـجـانـي

ثـم تـجـلـو مـا أَسْـدَلَ الـلـيـلُ مـن شَـعـ

ـرٍ عـلـى وَقْـدةِ الـضُـحـىٰ الـرَيّـان

❀ ❀ ❀

يـا حـبـيـبـي، والـحـبُّ بَـحْـرُ هُـمـومِ

سـاحِـلاهُ: قَـطـيـعـةٌ.. وتـدانِ

رَكِـبَـتْـهُ زوارِقٌ مِـن قـلـوبِ الـ

ـنـاسِ.. فـيـهـا حُـمُـولَـةٌ مـن أمـانـي

فـالـذي خَـفَّ حِـمْـلُـهُ بَـلَـغَ الـيَـأ

سَ فـأضـحـى مِـن الـرّدىٰ بـأمـانِ

والـذي غَـرَّهُ مـن الـمَـرْفـأِ الـسّـا

جـي هُـدوءٌ فـي مَـوْجِـهِ وتَـوَانِ

فـجـرىٰ مُـثـقَـلاً بـه زَوْرَقُ الأحـ

ـلامِ يَـكـتـظُّ بـالأمـانـي الـحِـسـانِ

ويُغنّي..:

«رَدِّدْ بِـلَـحْـنِـكَ يـا مِـجـ

ـدافُ واشربْ يا بَحرُ عَذْبَ الأغاني

«لَـيـلـتـي هـذِهِ عَـريـشٌ مِـن الـنـجـمِ

بَـعِـيـدُ الـكـرومِ، صَـعـبُ الـمَـجـانـي»

«سوف نـلقىٰ بفجرِها السّاحِلَ الأخْـ

ـضَـرَ، يَـفـتـرُّ بـالـفـمِ الأرجُـوانـي»

«...　　　...　　　!!

...　　　...　　　...!!»

ثُـمّ هَـبَّ الـصَّـبـاحُ يَـمْـسَـحُ جَـفْـنَـ

ـيـهِ بـأطـرافِ ثَـوبِـهِ الـغَـيْـهَـبَـانـي

فـاسـتـحـالـتْ دُمـوعُـهُ، فـي ذُيـولِ الـ

أفـقِ، حَـمـراءَ مِـن هُـمـومِ الـزمـانِ

وهو يُلقي إلى العُبابِ بطرفٍ

يَسألُ المَوْجَ عن بَقايا الأماني

عن حُطامٍ مِن زَورقٍ كان قلباً

رَاعَ صَمْتَ الأيامِ بالخَفَقَانِ!!

⊛ ⊛ ⊛

يا شِراعاً تَحكَّمَ الرِيحُ فيهِ

حينَ أغضىٰ عن حِكْمَةِ «الرُبَّان»

لُحتَ في «البحرِ» وهو مُقْلةُ بَاكٍ

- مِن خِلالِ الدموعِ - كالإِنسان[1]

ثمّ طافَ «الكرىٰ» فأطبَقَ جَفنَيْـ

ـهِ، على غيرِ رَحمةٍ وَحَنانِ

وتناسىٰ في غَمرةِ النومِ (وَعداً)

لكَ في شاطىء الهوىٰ السكران

يا لَحُزنِ القلوبِ.. يَبنِي بها الشِعـ

ـرُ بُيوتاً من شَامخاتِ المعاني

ثم يَسري بها - لِيَنثُرَها - اليأ

سُ حُروفاً مَهِيضةَ الأركانِ!!

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) إنسان العين: سوادها، أو ما يرى في سوادها.

أيّها البحرُ فيكَ «تابوتُ» حُبّي
زَورقٌ مِن شِراعِهِ أكفاني
حَطَّمتْهُ، في مَيْعةِ الفَجرِ، سَكرا
نَ المَجاديفِ «غَيْرةُ» الحَدَثانِ
فاطوِ عن سَمْعِهِ اصطخابَكَ واملأ
أُذُنَيْهِ بالعَذْبِ من ألحاني
فعسىٰ يَبْعَثُ الحياةَ قَصِيدٌ
كان يَتلوهُ وهو حَيُّ الجَنانِ
وعسىٰ يَستفِيقُ منْ رَعشاتِ الـ
ـطيرِ في الوَكْرِ هامِدُ الأغصانِ
يا حبيبي، ما زِلْتُ أقتاتُ ذِكرا
كَ، وقد أينعَتْ على دِيواني
كلُّ عِرقٍ مِن نَبتِها بَيْتُ شِعْرٍ
يَرتوي مِن منابِعِ الأجفانِ
فحرامٌ أنْ يَصْرِفَ القَلْبَ عن حُبْـ
ـبِكَ (زادٌ) في قَبْضةِ العمرِ فاني!!
المؤمنين: ٥/٥/١٩٥٥

بطاقة عيد

عَيِّدي يا هُمومَ قلبي فهذي
قُبْلةُ العيدِ في شِفاهِ البريدِ
وَقَفَ الدهرُ دُونَها، فتَحدّثَـ
ـهُ وجاءَتْ على (بطاقةِ عِيد)
لقَّنَتْ صَحْبَها الهوىٰ.. فتلقّى الـ
ـناسُ، في يومِهم، بَريدَ الخلود
... وإذا العيدُ في رسائلهم شو
قٌ، وذكرىٰ صَبابةٍ وعُهود
ولَيالٍ مَرَّتْ عليهم كأنَّ الـ
ـنجمَ فيها أفراحُ قلبٍ سعيد
وإذا العيدُ في شِفاهِ العَذارىٰ
قُبَلٌ تَكْتُب الهوى في الخدود
وجِوارٌ يكاد يُورِقُ في سَمـ
ـعِ الحَبِيبَيْنِ جَنَّةً مِن وعود

❀ ❀ ❀

وتَلَقّيتُها كما يَتلقّى الـ
ـعِيدَ، حُلْوَ الشبابِ، قلبُ الوليد
عَصَرَ الوردُ رُوحَه في حَواشيـ
ـها فنَمّتْ عليه بالتوريد
هِيَ كأسٌ ذابَتْ بها مُهجَةُ الكَرْ
مِ، وفاضَتْ حُشاشةُ العُنقود
قد تَرشّفتُها فألهَبَ ثغري
وَقْدُ (أنفاسِهِ) بها مِن بعيد
فَتَشَظّتْ منها شِفاهي، وذابتْ
ضَحكاتي.. لكن بسمعِ القصيد!!

❀ ❀ ❀

يا حبيبي تَطلّعَ القلبُ مِن عيـ
ـني ارتقاباً لِطيفِكَ المنشود
فَتَلاقيتُما.. وأغفى الحبيبا
نِ على قُبلةِ اللقاءِ السَعيد
ثُمّ هبّ الصباحُ يُوقِظُ دنيا
هُ فتلقي عنها ثيابَ الهجود
فَتَواعَدْتُما: على أنْ تُتِمّا
قِصّةَ الحبِ في لِقاءٍ جديد!

طال صُبحي، حتى تَناسيتَ فيه

مَوقِفَ الليلِ في رُواقِ الوجود

يا حبيبي.. ولا تزال بَقايا

قِصتي في فمِ الخَيالِ الشَرُود

فاروِها لِي على شِفاهِ الليالي

أوْ فَضَعها على بطاقة عيد!!

حُلُمٌ أنْ أرى شِفاهَكَ تهتز

لثغري ـ في يقظةٍ.. أو رقود

وسَواءٌ لديّ رِقّةُ قلبِ الـ

ـوصلِ أمْ وَحشَةُ الهوى في الصدود

ذِلّةُ الحب كبرياءٌ لِقلبٍ

يتلقّاك راسفاً بالقيود

المؤمنين: ١٣/٦/١٩٥٥

الفتنة الكبرى

والفتنة الكبرى هي الصراع القائم حول مناهج جامعة النجف الدينية، وسلوك القائمين على نظامها، وقد كتبت القصيدة رثاء للمرجع الديني الشيخ محمد حسن المظفر وانتصاراً لأخيه أستاذنا الشيخ محمد رضا المظفّر أحد أقطاب هذا الصراع ومؤسس كلية الفقه أبرز معالم التجديد في نظام الجامعة.

تَبقى ـ يَتيهُ بها الخُلودُ ويَفْخَرُ ـ

ذِكْراكَ في شَفَةِ الزمانِ تَكَرَّرُ

الليلُ يَطويها: خُشوعاً ذابِلاً

والصبحُ يُطلِقُها: قِوىً تتَفجَّر

وَلأنتَ في الحالَيْنِ: أقوى ضَارعٍ

يَعنو.. وألْيَنُ قائدٍ يتحرَّرُ

شَمَخَتْ طَهارةُ أصْغَرَيْكَ: فمنطِقٌ

صَافٍ، وقلبٌ بالحنانِ مُفجَّرُ

وصَلابةٌ في الحقِ دُونَ منالِها

فِكرٌ أشَلُّ، وخاطِرٌ مُتحجِّر

تَعِبتْ عيُونُ الركبِ. ليس بمُدركٍ

أذيالَ شَوطِكَ طرفُهُ المتحيِّر

وَكَبَتْ بهم صَهَواتُ مَجدٍ خيلُها

هَزلى، من العُشبِ المُهوَّم تَعثُرُ

وتَـدرّعـوا جُـبَـبَـاً بَـلَـيْـنَ، يَـكـادُ مِـن
مِـزَقٍ بـهـا تَـرَفُ الـغَـضـارةِ يَـطـفُـرُ
آمـنـتُ أنّ الـصِـدقَ أبـلَـقُ دُونَـهُ
سَـعَـةُ الـمـدىٰ.. والـزَيْـفَ أعـرجُ أزوَرُ

❀ ❀ ❀

أأبا (الدلائلِ) مِن ضَمِيرِكَ (صِدقُها)[1]
يُشْقىٰ.. ومِن وَضَحٍ بطبعِكَ تُسفِر
ومـن الـصَـفـاءِ الـعَـذبِ تَـجـري رِقّـةً
وصَـفـاءَ طَـبـعٍ، فـي مـداهـا، الأسـطـرُ
فـالـنفـسُ ـ وَاضِحةَ السُلوكِ وَجْهمةً ـ
لا بُـدَّ فـيـمـا أنْـتَـجَـتْ تَـتـصـوّرُ
فـإذا صَـفـا طَـبْـعُ الـنجـومِ وَجَـدتَ فـي
وَضَـحِ الـغـديـرِ صَـفـاءَهـا يَـتـمـوّرُ
وإذا غَـرَسْـتَ الـكَـرمَ فـي مُـسـتَـنْـقَـعٍ
سَـبِـخٍ.. طَـعِـمْـتَ المِـلحَ فـيـمـا يُـثمِرُ
يُهـنِـيـكَ أنّـكَ قـد وَصَـلْـتَ إلـى الـمـدىٰ
عَـفُّ الـيَـدَيْـنِ، وَوَجْـهُ يـومِـكَ مُـسـفِـر

(١) (دلائل الصدق) من أهم كتب المرثي في العقائد.

وبَلَغتَ مَرماها، وثوبُكَ لم يكنْ

أبداً بِلَونِ غُبارِها يَتغيَّرُ

في حينَ صَفَّقَتِ الجُموعُ لفارسٍ

يَطَأُ العِنانَ جَوادُهُ فيُقصِّر

ومُساهِمٍ في الشوطِ أكبرُ حِذْقِهِ:

لو يَعتلِيهِ مِن الغُبارِ الأكثَرُ!!

ومُجانِبٍ سَمْتَ الجميعِ وهَمُّهُ

في: كيفَ يَختَزِلُ الطريقَ فيَظْهَرُ!!

ومُحشِّدِ الأنصارِ، يُوهِمُ نَفْسَهُ

أنَّ المُصفِّقَ مُعْجَبٌ مُتأثِّر!!

تَعِبوا.. فَدُونَ الغايةِ الكبرىٰ يدٌ

تُوهِي العِنانَ، وحَاجِزٌ لا يُطفَرُ

❁ ❁ ❁

الفِتنةُ الكبرىٰ.. ومِن آياتِها

أنَّ الدُخولَ مع الرعيلِ مُيَسَّرُ

أنّ الذي طَرَقَ الحياةَ فلم يَجِدْ

باباً يُعالِجُ فَتْحَه.. أو يَكْسِرُ

ورأىٰ بجانبِهِ (فَلاةً) ماؤها

صافٍ.. وَوَجْهُ أديمِها مُخْضَوضِرُ

وَدُخولُها سَهلٌ.. فواسِعُ بابِها

فاضٍ، وقائِمُ سُورِها لا يَستُرُ

وشُروطُها أنْ لا شُروطَ تعوقُهُ

ونِظامُها.. أن لا نِظامَ يُسيطِرُ

وعَلامَةُ الرَجلِ المُبرِّزِ مَجلِسٌ

مُتصدِّرٌ فيه.. وصَوتٌ مُجهِرُ

وثِمارُ هذا الجُهدِ أنَّ بُلوغَه

للعيشِ رَحبُ الدربِ حين يُصدِّرُ

لِيَبِيتَ مِبطاناً ويَسلِبَ جائعاً

ويَعودَ في حُللِ الثَنا يتَبَخْتَرُ!!

فرأىٰ ـ وأنتَ معي ـ بأنَّ جِنايةً

منه وُقوفٌ خاشِعٌ مُتحيِّرُ

فمن الغَبَاوَةِ أنْ يُصارِعَ دَهرَهُ

والأمرُ سَهلٌ.. والنتيجةُ أكبَرُ!!

⊛ ⊛ ⊛

والفتنةُ الكبرىٰ.. ومن آياتِها

أنّ الذي تَنعى العَدِيدُ الأوفرُ!!

حتى لَتَعذِرَ ناقِدِيكَ إذا ادّعَوْا

عُقمَ الطريقِ بما أتيتَ تُبشِّرُ

فالدينُ قد غَرَسَتْهُ قبلكَ عُصبةٌ
المالُ دِينُ قلوبِها، والمُنكَرُ
ومُغالِطٌ مَنْ رَاحَ يُقنِعُ نَفْسَهُ
أنّ القَتادَ إذا سَقاهُ يُثمِرُ!!

❁ ❁ ❁

والفتنةُ الكبرىٰ بأنْ مَعَاشِراً
منا.. تَضِيقُ بما ادّعيتَ فتُنكِر
حتى كأنّكَ قلتَ: دِينُ محمدٍ
مُتفسِّخٌ!! ونظامُهُ مُتأخِّر!!
ومِن البَلِيَّةِ أنْ تُحذِّرَ كافِراً
بنظامِهِ. فيُقالَ: إنّكَ تَكفُرُ!!
ومِن السَعادةِ أنْ تكونَ مُغفَّلاً
فتظنّ أنّ فسادَ قومِكَ خَيِّر!!

❁ ❁ ❁

والفِتنةُ الكبرىٰ بأنّكَ وَاجِدٌ
في التُربةِ الخِصبَ الذي تَستَثمِرُ
فالأرضُ سَهلٌ، والحُقولُ رَخِيَّةٌ
والبَذرُ يَصلُحُ، والسحائِبُ تَمطُرُ
وأمامَ عينِ الغارِسينَ جَنائنٌ
فَوّاحةٌ وتَجارِبٌ لا تُحصَرُ

وهُمُ ـ إذا أنصَفتَ ـ حِسٌّ مُرْهَفٌ
ومَواهِبٌ تَنمو، وعَقلٌ نَيِّرُ
وَلَهُم بأطرافِ الخلودِ مَنابِرٌ
كانتْ، وما فَتِئَتْ، تَشِيدُ وتَعمُرُ
وإذا سَألتَ: لأيّ شيءٍ أهملوا
أغراسَها، ولأيّ أمرٍ قَصَّروا
وَلِمَ أستُبِيحَ نَماؤها، حتى مَضىٰ
كيَبِيسِ عَوْسجِها العَمارُ[1] الأخضَرُ
حتى أَلِفْنا النَطْحَ مِن مُتعثِّرٍ
بقُرونِهِ و(نَطيحَةٍ) لا تجسُرُ
... ظهر الجوابُ على جُمودِ عُيونِهِم
كالذُعرِ تَحجُبُه الوُجوهُ فيَظهَرُ
والسرُّ في القلبِ الضعيفِ وَديعةٌ
لا بدَّ يَسرِقها اللسانُ الأجْسَرُ

۞ ۞ ۞

يا سادتي، ومِن الأَمانةِ أنها
شكوىً تُعادُ، ودَعوةٌ تتكرّر

---

(١) العَمار: الريحان.

ومِن الخيانةِ أنْ يقولَ مُثقَّفٌ
يَعتزُّ بالرأي الحَصيفِ ويَفخَرُ:
أنّ الذين تَحمّلوا أعباءَها
ظَهرٌ أشلُّ، ومَنكِبٌ لا يَقدِرا!
فَهُمُ الذين تَعهدوا أثقالَها
في يومَ ألقىْ ثَوْبَهُ المُتنكِّر
لكنَّهُ الدربُ العَسِيرُ، ودُونَهُ
دَربٌ - يُظلِّلُ بالعرائشِ - أيسَرُ
ولسوف تركبُهُ وَشِيكاً (أرجلٌ)
كادتْ مِن التَعَبِ المُبرِّحِ تَعثُرُ
فاليأسُ مَهما طالَ فَضلُ زِمامِهِ
لا بدَّ يُدرِكهُ الرجاءُ فيُقصِر
وإذا قَسوتُ عليهِمُ فلأنّ لي
قلباً على اللَّهَبِ المُقدَّسِ يُجمِرُ
ولأنّهم أعوادُ عِطرٍ كامِنٍ
لا بدّ، كي يذكو شَذاها، تُسعَرُ

⊛ ⊛ ⊛

أأبا (الدلائل) هل تَراك قصيدتي
سَمْحاً، كعهدِكَ في الحياة فتَعذِرُ

فلقد حَشَدتُ خواطري ليَطِيبَ من

ذِكراكَ هذا المِنبرُ المُتذكِّر

لكنّها ثارتْ، وأطبَقَ أفقُها

بدخانِ قلبٍ لم يَزلْ يَتفجّرُ

حتى إذا انحسَرَ الدخانُ ولُحتَ في

طُرَرِ الغُروبِ، وضَوءُ وجهِكَ أصفرُ

أدركتُ أنّا قادِمونَ لليلةٍ

عُسرىٰ، يَغيمُ بها الرجاء الخيِّرُ

يُهنيكَ أنكَ قد بلغتَ مَغيبَها

كالشمسِ، لم يَحجُبْ سناكَ العِثيَرُ

وتركتَ في (القمَريْنِ) بعدكَ للسُرىٰ

في الليلةِ الظَلماءِ ما يُتَنوَّرُ

فالجيلُ من هَديِ (الرِضا) مُتقدِّمٌ

في شوطِهِ، ومن (الحسينِ مُظفَّر)

١٩٥٥/١١/٢٣

تحت ضفاف الرافدين

تعالج القصيدة المشكلة الطائفية في العراق، التي لا تزال قائمةً حتى اليوم، وقد كتبت رثاءً لفخامة المرحوم صالح جبر الذي وافته المنية وهو يخطب في مجلس الأعيان معارضاً سياسة الحكومة يومئذ وفي القصيدة عرض للفجوة التي اتسعت بين العراق وسوريا حول اتهام الأخيرة يومئذ بالانقياد للمعسكر الشرقي.

حـــاشـــاكَ أنْ يَـــرقـــىٰ إلـــيـــكَ رِثـــاءُ

وثـــمـــارُ غَـــرسِـــكَ هـــذه الـــزعـــمـــاءُ

مِـن حـامـلـي ثِـقْـلِ الـعـقـيـدةِ لـم يَـنـوءْ

مَـتـنٌ تُـحِـسُّ بـضـعـفِـهِ الأعـبـاء

والـنـاهـضـيـنَ بـمـثـل مـا حُـمِّـلـتَـهُ

فـــي الـــحـــقِ.. لا بَـــرَمٌ ولا إعـــيـــاء

والـسـالـكـيـنَ طـريـقَـهـم حـيـثُ الـثـرىٰ

وَقْـــدٌ، وحـــيـــث رمـــادُهُ أحـــشـــاء

حـتـى إذا وَضَـحَ الـسـبـيـلُ وأوشـكـتْ

تَـلِـدُ الـصـبـاحَ الـلـيـلـةُ الـعُـشَـراء

زَحَفَتْ إليكَ، وأنتَ في مثل الضحى

أَلَـــقـــاً، غـــيـــاهـــبُ (فَـــجـــأةٍ) ســـوداء

فـإذا الـظـلامُ، وقـد سـدَدتَ طـريـقَـهُ،

تَـــســـري بِـــرِعـــدة قـــلـــبِـــهِ الـــخُـــيَـــلاء

قد كان يُلهِبُ سَمعَه أنّ الذي

يَرميهِ بالجمر الفمُ الوَضّاء

فأفاق يُسعِدهُ القضاءُ بأنّها

(خُطَبٌ) ـ كعُمْرِ لِداتِها ـ (بَتْراء)

حَسْبُ الربيعِ وقد تجهّمَ نَوْرُهُ

ويكتُ عليهِ الواحةُ الخضراء

أنّ الثرىٰ يَبَساً يَعيشُ بطيفه

أبداً.. وتَحمِل سِرّه الرَمضاء

⊛ ⊛ ⊛

مهلاً ضِفافَ الرافدين ففي غدٍ

لا بدَّ أنْ تَتنقَّلَ الأفياء

لا بدّ أنْ يَضحَىٰ فَيُصحِرَ شاطئ

كانتْ تطوفُ بظلِّه النعماء

لا بدَّ تُطوىٰ في السفين قِلاعَةٌ[1]

عَبَرتْ إليه وغرُّها الميناء

ليرىٰ الذين تَعلّقوا بشِراعِها

أنّ العواصفَ حولَه هوجاء

---

(١) القلاعة: شراع السفينة.

أنّ الـعُـبـابَ، وإنْ تَـطـامَـنَ مـوجُـهُ

سـيـثـور إذْ تَـطـغـى بـه الـشَـحـنـاء

سـيـرىٰ الـقـلـيـلـونَ الـذيـنَ تـكـثّـروا

زَعـمـاً: بـأن قـلـيـلَـهـم (أكـفـاء)!!

كـيـف اسـتـفـاق لِـيَـسـتـرِدَّ حُـقـوقَـهُ

شـعـبٌ لـديـه (الـكـثـرةُ الـجُـهَـلاء)!!

مـا كـان تـأريـخُ الـشـعـوبِ ضَـمـانَـةً

بِـيَـدِ الـقـلـيـل؛ لأنّـهـم (نُـجَـبـاء)

ولأنّ كـثـرتَـهـم ـ وإنْ طـال الـمـدىٰ

بـسـعـيـر غَـضْـبَـتِـهـا ـ قُـوىً عَـزْلاء

فَـسِـلاحُ أقـوىٰ الـجـبـهـتـيـن عـقـيـدةً

تـضـرىٰ بـقـوّةِ بـأسـهـا الـضُـعَـفَـاء

❀ ❀ ❀

يـا شَـعـبُ حـسـبُـكَ مِـن أنـاتِـكَ أنّـهـا

تـبـنـي، وتَـهـدِمُ بـاسـمـكَ الأهـواء

تُـعـنىٰ بـبـذل الـمُـسـتـحـيـلِ، لـتُـزْدَهـىٰ

فـي الـعـيـنِ تـلـكَ الـصـخـرةُ الـصَـمّـاء

وتَـصُـبُّ نِـقـمـتَـهـا لـتُـوحِـشَ رَوضَـةً

عَـبَـقَـتْ بـفـضـلِ نـسـيـمـهـا الأجـواء

تَعِبَ الخَيالُ الغِرُّ.. ليس الماردَ الـ

جبّارَ تلكَ الحَيّةُ الرقطاء

وَكَبا الغرورُ، فليس تحكي الغادةَ الـ

حسناءَ هذي الصورةُ الشوهاء

يا شعبُ همُّكَ مِن بَنيكَ لأنهم

- وإنْ احتملتَ هُمومَهم - غُرباء

مِمنْ أتوا للحكم يُثقِلُ خَطوَهم

في الدربِ أنْ قَطيعَهم أنْضاء

فإذا العِجافُ المُسنِتونَ يَقوتُهمْ

نَبتٌ سَقَيتَ، وجَنَّةٌ فيحاء

وإذا بهم يَتَقاسمونَكَ أدمُعاً

تُبنى بها، وتُزيَّنُ الأبْهاء

وإذا بهم يَقِفون جُلَّ حديثِهم:

في كيف تُصرَفُ هذه الغَوْغاء!!

يا شعبُ همُّكَ من بَنِيكَ وعاذرٌ

مَنْ كان شَرَّ عِداتِهِ الأبناء!!

❁ ❁ ❁

قالوا بأنّ سياسةً بنّاءةً

سَلَكَ العِراقُ، وأنّنا سُعَداء!!

وبأنّ (إخوتنا) تنكّبَ ركبُهُمْ
عنّا، و(شَرّقَ) ريحُهم فأساؤا[1]
وبأنّ لَيلَتَهم ستكشِفُ عن غدٍ
غاوٍ تَوَجُّ بلفحِهِ الرَمضاء
آمنتُ - إذعاناً - بأنّ طريقَهم
وَعرٌ، وأنّ حُقولَهم جَرداء!
وبأنّ درباً تسلكونَ لَمُنتَهٍ
في حيثُ تزهو الروضةُ الغَنّاء!
لكنني أخشىٰ السياسةَ غِرّةً
مِن أن يكونَ وَراءَها (إيحاء)
وأخافُ أنْ تُنمىٰ إلى كَدَرِ الهوىٰ
- بين الأحبّةِ - هَذهِ البَغضاء
فتحسّسوا هَوْلَ القَطيعةِ إنما
يَقوىٰ على كَدَرِ الدماءِ الداءُ
هذي المشاكلُ، وهيَ تجثُمُ بيننا،
نَسَبٌ إذا اختلفتْ بنا الآراء
ولرُبّ مُغتَربينَ ساوىٰ بينهم
داءٌ، وألّبَهُم عليه دَوَاء

❀ ❀ ❀

(1) كان الاتهام لسوريا يومئذ بانحيازها للمعسكر الشرقي.

مــاذا أعــدّتــهُ الــعُــروبــةُ فــي غــدٍ
لِتقولَ: كيفَ تَفرّقَ الخُلَطاء
كيفَ استُبيحَ (ضَمائُها) وتمزّقتْ
قِطَعاً (مَواثيقٌ) لها بَيْضاء
رَكبتْ بَوارِجَها السياسةُ وانتختْ
تَسرِي فقلنا: بُورِكَ الإسراء
وتقحّمت ثَبَجَ الخِضَمِّ[1] فلوّحتْ
لهُمُ بقَبْسَةِ نُورها سيناء
حتى إذا كادتْ شَواطىءُ أمْنها
تدنو، فيحلُو عندها الإرساء
عَصَفتْ بها هُوجُ الرياحِ فبخّرتْ
ما جَشّمَتْهُ لها الرُؤىٰ السَمحاء
وتخالفتْ رِيحاً فـ «شَرْقَ» مركبٌ
زاوٍ.. و(غَرْبَ) مركبٌ وَضّاء!!
وثمارُ ما جَنَتِ العروبةُ أنّها
مِحَنٌ تَغَصّ بطعمِها الفُرقَاء
فالأرضُ تُخصِب ما غرَسْتَ وإنما
تحلو الفواكهُ حيث يحلو الماء

❀ ❀ ❀

---

(١) ثَبَج الخضمّ: وسط البحر.

يا شعبُ صَبْرَكَ فالزعيمُ كما تَرىٰ
يُطوىٰ لتُنشَرَ بعده زُعَماء
ويَطيحُ مِن لَجِبِ الخميسِ لِواؤُه
لِيلوحَ في رَهَجِ العَجَاجِ لواءُ
ما كان (صالحُ) وَحْدَهُ في (أمّةٍ)
لمَعَتْ بناصعِ أفقِها الصُلحَاء
وإذا افتقدناه شُموخاً صاعداً
تَنحطُّ دون سمائِهِ الأسماء
فلأنّه غالىٰ بوَقدةِ رُوحِهِ
حتى تَساوىٰ الصبحُ والإمساء
ولأنّه اجتاز الحواجزَ مُفرداً
وتعثرتْ مِن دونِها قُرنَاء
ولأنّ (عَمّارَ) استقل بِنفسِهِ
و(عِصامَ) لم تُنجِبْ به الآباء
وكَفَاهُ أنّ الشمسَ يَغرُبُ ضَوؤها
فتَخافُ وَقْدَ شُروقِها الظلماء
النجف: ١٨/٧/١٩٥٧

رائد النهضة الأدبية

الشيخ محمد رضا الشبيبي أبرز روّاد النهضة الأدبية في العراق، وكانت هذه القصيدة تحيةً له، وهو يلقي في المجمع الثقافي في النجف محاضرته عن الشيخ بهاء الدين العاملي.

رَآكَ فاهتَزَّ يُعطِي الغَيْثَ ما وَهَبا

يَومٌ سَكَبْتَ عليه أمسَكَ الخَصِبا

أعطَيتَهُ يومَ كان الحَقلُ منكمِشاً

جَدباً، وكان النَميرُ الثَرُّ مُنتَهَبَا

وكنتَ في رَادَةٍ، أقصىٰ شَجاعتِهم

أنْ يَركبوا الدَربَ، لا أن يُدركوا طَلَبا

أنْ يقطعوا الشَوْطَ، حتى يَستقيمَ لهمْ

قَولٌ: بأنّا سَلكْنا الدربَ مُلتحِبا

حتى إذا وَقَفوا فيهِ على تُرَعٍ

أراقَ فيها (صَفيُّ الدين)[1] ما وُهِبا..

---

(١) اختار الشاعر أن يعتبر (صفي الدين الحلّي) مُمثّلاً لشعر القرون المظلمة حيث يكثر التصنّع والتكلّف، مقابل الشبيبي وأقرانه من رادة الشعر المطبوع في عصر النهضة الحديثة.

.. أَهْرَقْتَها وطَلَبْتَ الغَيْثَ مُنتجِعاً

فكُنْتَهُ.. ولَقِينا المَنهلَ العَذِبا

⊛ ⊛ ⊛

يا رائدَ النَهضةِ الكبرىٰ ليُبلِغَها

ـ بحيثُ تَأمَنُ شَرَّ النكسةِ ـ الأَرَبا

ويا صَباحاً حَمِدنا عند رؤيتِهِ

فينا، سُرىٰ الليلةِ الظلماءِ، والتَعَبا

ويا جِهاداً صَلَيْنا حَرَّ وَقْدَتِهِ

ونحن نَفْخَرُ أنْ كنّا له حَطَبا

أَتيتَ للحكمِ لا تَرجو به عِوَضاً

عمّا بذلتَ، ولا جَاهاً، ولا لَقَبا

لكنْ لِتبنيَ جيلاً قد تعاهَدَهُ

مَنْ راح يَهدِمُ فيه العِلمَ والأدبا

كنتَ الربيعَ تَشاطَرنا غَضارَتَهُ

في حينَ يَحكَرُ لُؤمُ القيظِ ما نَهَبا

تِجارتانِ تَسابَقْنا لِخَيرِهما

وأعينُ المجدِ تَرعىٰ أيّنا غَلَبا

بُوركتَ.. عُدنا، وأنتَ الربحُ في يدنا

وعادَ مَن عادَ يَجلو المَقْعدَ الخَشَبا

⊛ ⊛ ⊛

يا رائدَ الفِكرِ وَثّاباً بنهضتِه
سَلِمْتَ.. فالفكرُ شقَّ الدربَ إذْ وَثَبا
أقامَ، حيثُ أقامَ الليلُ مُعتكِراً
وشَبَّ فيه شُبوبَ الصبحِ مُلتهِبا
كادتْ تُضلِّلهُ - لولا حَذاقتُهُ -
حَماقةٌ جَعلتْ مِن نفسِها نُصُبا
مِن كلِّ مُحتلِبٍ ضَرعاً لسائبةٍ
عَجْفاءَ، ما عَرَفتْ دَرّاً ولا حَلَبا
والعاصرِ الحَشَفَ البالي، لأنَّ يداً
سِواهُ، تَعصِر في أكوابِها العِنَبا
والنافخِ الشَدقَ، لا سِمْناً ولا وَرَماً،
لكنْ ليَدخُلَ في ذي سِمْنَةٍ نَسَبا
والحاشِدِ الكُتْبَ يُزجِي المالَ في بَطَرٍ
كيما يُريكَ أنيقاً بَهْوَهُ الرَحِبا
وما درىٰ أنَّ نارَ الفِكرِ مُوقَدَةً
هيهاتَ يَقبِسُها العُودُ الذي رَطُبا

❁ ❁ ❁

يا رائدَ الفِكرِ.. إنّا ظامئونَ له
وقد لَقِينا بِكَ اليَنبُوعَ مُنسكِبا

حَدِّثْ عن العِلمِ، عن دنيا نَوابِغِهِ
فقد عَهِدناكَ تجلو عنهم الحِقَبا
كيف استلانوا مِن الأيامِ غِلظَتَها
واسترغدوا العيشَ صَعبَ المقتنىٰ جَشِبا
حَدِّثْ عن النَبتِ في الصحراءِ يابِسَةً
كيف استطالَ، وأعطى أُكْلَه، ورَبا
وكيف عاشَتْ قُرونٌ بعد هَجعتِهِ
ضَيفاً على شَجَراتٍ تُثمِر الكُتُبا
ونحن نَجترُّ ما تُلقِيه في نَهَمٍ
ولم نَزِد بينها نَبْعاً ولا غَرَبا
نكادُ في الحقلِ، نَديانَ الثرىٰ، خَضِلاً
نَعيشُ، بين شذىٰ أغراسِهِ، حَطَبا
للّٰهمَ عَفوَكَ، جَنِّبْنا غَوَايتَنا
فقد يكونُ غَباءُ المُبتَلىٰ غَضَبا

❀ ❀ ❀

يا رائدَ الجيلِ، والدربُ الطويلُ لظىً
كاوٍ، يُذيبُ الخُطى مَجهودةً تَعَبا
ويا مَناراً مِن الإشعاعِ مُؤتلِقاً
لولاه ما طِيقَ هذا الليلُ مُصطَحَبا

حسبُ القوافي، وقد لاقتْكَ مُحتفِلاً
يَومٌ يُعيد لها العهدَ الذي ذهبا

أيامَ كان مَطافُ الشِعرِ حولَكُمُ
وكنتمُ في سَنى آفاقِهِ شُهُبا

تُطاولونَ مِن العلياءِ ذُروتَها
وتُصعِدونَ إليها مَنْ سَعى فكَبا

تحيةٌ لكَ مِن جيلٍ إذا ابتعدتْ
أعمارُهُ عنكَ في أرواحِهِ اقتربا

يَمشي ويَعلَمُ أنّ الهَديَ مُخطِؤهُ
لولا خُطاكَ التي أبقيتَها نُصُبا

عَلَّمتَهُ كيف يَبني الشِعرَ صاعِقةً
تُوهي العُروشَ، وعُوداً مُترَفاً طَرِبا

يُذيبُ في رُوحِهِ مِن رُوح خالِقِهِ
ما يَجمَعُ السَلسَلَ الرقراقَ واللَّهَبا

والشِعرُ جَدوَلُ نارٍ لو سُقِيتَ بهِ
كأساً، لكان على لَفحِ اللظى عَذِبا

النجف: ٢٧/ ١٠/ ١٩٥٧

في كل عام جديد

يستقبل الناسُ - عادةً - عامَهم الجديد بأكثر ما يُحسِنون تفاؤلاً.. ويستعرض الشاعر في هذه الخاطرة شكاوىٰ بعضهم من عامهم المنصرم، وآمالهم في عامهم الجديد.

توطئة:

أَقبَلَ العامُ في ثِيابٍ من الغَيْـ
ـبِ رِقاقٍ كأنهنَّ الظُنونُ
تَتَراءىٰ مِن خَلفِها صُوَرُ النا
سِ شُخوصاً، لكنها لا تَبِينُ
كالسِتار الرقيقِ، في المَسرحِ الوَضَّـ
ـاءِ، يُبدي (المِكْياجَ) كيفَ يَكون
أو كقلبِ الضَعيفِ تُمعِن فيه
نَظَراتٍ، فتنتقي ما يَصون
وتَهادىٰ فاستقبلتْهُ قلوبٌ
واستطالتْ، لما يضمُّ، عُيون
من فتى كلُّ هَمِّهِ الحبُّ واللّهْـ
ـوُ وشيخ قد هَدَّمتهُ السنينُ
وثَراءٍ، ضاقَتْ به سَعَةُ الأر
ضِ وفَقرٍ، ضاقَتْ عليه الدُيُون

وسُـــرورٍ، تَــغُـــبُّ فـــيـــه قــلــوبٌ

وَدُمــوعٍ، تَــغُــصُّ فــيــهــا جُــفــون

ولــدىٰ كــلِّ وَاحِــدٍ، مــن بــنــي الأر

ضِ، شَــكــاوَىٰ كــثــيــرةٌ وشُــجــون

إنّ عــامــاً يَــمُــرُّ، لــم يَــشْــكُ فــيــه الــ

نــاسُ، عــامٌ مُــغــفَّــلٌ، مــجــنــون

وإذا كـــان فـــي الــمُـــســـاواةِ بـــالأر

زاقِ وَهْــمٌ، وخُــدعَــةٌ، وجُــنــون

فــعــزاءُ الــقــلــوبِ أنْ يَــتَــســاوىٰ ،

فــي الــشَــكــاةِ، الــغَــنــيُّ والــمِــســكــين

الشيخ:

فــهــا هُــوَ الــشَــيــخُ عــلــىٰ ضَــعــفِــهِ

يَــهــتِــفُ بــالــعــام ـ حَــثــيــثَ الــسُــرىٰ ـ:

أهـــلاً بـــأشـــذائِـــكَ مِـــن قـــادمٍ

هَـــبَّ إلـــيـــه الـــكـــونُ مُـــســـتـــبـــشِـــرا

عـــامـــي الـــذي مَـــرَّ، ويـــا لـــيـــتَـــهُ

مـــا مَـــرَّ فـــي عُـــمـــرِي، ولا قُـــدِّرا

لـــم يَـــرَ فـــي الـــنـــاسِ ســـوى مَـــنـــكِـــبـــي

مـــا يَـــحـــمِـــلُ الـــهَـــمَّ الـــذي كَـــوَّرا

فـــراح يَـــرمِـــيـــنـــي بـــأســـقـــامِـــهِ

كـــأنّـــنـــي أصـــبـــحـــتُ كـــلَّ الـــوَرىٰ

حتى إذا رَقَّتْ لحالي العَضا
واحتملتْ مِن هَمّيَ الأكثرا
ألقى على عينيَّ مِن حِقدِهِ
غَشَاوةً تمنعُني أنْ أرى
وها أنا جئتُكَ لا طالباً
رِفداً، ولا جاهاً، ولا منظَرا
لكنّني أطمَعُ في مُقلةٍ
أستقبلُ العامَ بها مُبصِرا
فهل تُراني بالِغاً مُنيتي؟
أمْ كَثَرىٰ الصحراءِ كلُّ الثرىٰ

الشاب:

وَجاءَ على إثْرِهِ ضاحكاً
فَتىً طَبَعَ الفجرُ فيه سَناهْ
يُصعِّدُ أنفاسَهُ في العَبيـ
ـرِ وتَصدَحُ، في ألفِ لَحنٍ، خُطاهْ
ويُرسِلُ أنغامَه لاهِياً
ويُصغي لِيَسمعَ رَجْعَ صَداهْ
يَظُنُّ بأنّ الدجىٰ والضحىٰ
يَجيءُ ويَذهبُ طَوْعَ مُناه
وأنّ النجومَ على بُعدِها
سَتدنو إذا طاوَلَتْها يَداه

طوى العامَ يَزرَعُ فيه المنى
لِيَحصُدَ ما خاب فيه رَجاه
فكم مِن هوىً ماتَ قبلَ الفِطا
مِ وكم مِن فَتاةٍ تناستْ هواه
وكم صاحبٍ باعَهُ قلبَهُ
رَخيصاً.. فَخيّبَهُ وازْدراه
ولكن طوى الأمسَ في غدرِهِ
وآلامِهِ السودِ ما قد طَوَاه
وأقبلَ عامٌ جديدُ الهوى
جديدُ الأماني.. جديدُ الحياه
فقم حَيِّهِ ضاحِكاً ناسياً
مَصارِعَ قلبِكَ في مَنْ جَفاه
وحسبُ الفتى خِبْرةً أنّه
تَعلّمَ مِن هَدمِ ما قد بناه

الفلاّح:

ثم جاءَ الفلاّحُ يَسعى وقد رَفَّـ
ـتْ على وجهِهِ ظِلالُ الهُمومِ
يزفُرُ الزفرةَ الطويلةَ كالنا
رِ تَلوّىٰ سَعيرُها في الهَشيمِ
وإلى جانِبَيْهِ تَلْهَثُ أطفا
لٌ، كسِرب الجِراءِ، عُريُ الجُسوم

وَوَراءَ الصِّغارِ أمْ تَسرِدُتْ

ببقايا من الدِّثار القَديم

وهو يدعو: يا رَبُّ ضاقَ عن الصَّبْـ

ـرِ احتمالي ومَلَّ مِني غريمي

كلّ عامٍ يَمرُّ والحقلُ يُكسى

مِن حَناني، ويَرتوي من غيومي

فإذا اصفرَّ ذاب لوني وغاضتْ

قَطَراتُ الدِما بقلبي الرحيم

وإذا اخضرَّ كدتُ أنسىٰ مِن الغِبـ

ـطةِ بَلوىٰ هذا الزمانِ اللئيم

فإذا أقبَلَ الحَصادُ، وسُرَّتْ

زوجتي، وانتظرتُ قُربَ نعيمي

(صَحَّ نومي)، وطار حُلمي، وغاضتْ

غَلَّتي، بين دائني وزعيمي

كِدْتُ أنسى يا ربُّ هل أنا عبدٌ

لَكَ.. أمْ عبدُ حَفْنةٍ من هموم

التاجر:

وأقبلَ التاجرُ مُستكثِراً

أنْ يَسْمَعَ العامُ شَكاوىٰ البَشَرْ

ما قيمةُ الفلاّحِ يُصغىٰ إلى

حديثِهِ وهوَ الكَذُوبُ الأشر

يَسرِقُ مالَ الناسِ في ساعةٍ
يَرِقُّ مِن شكواهُ حتى الحَجَر
ويَستغِلُّ العَطفَ في غَفلةٍ
من غَفَلاتِ القلبِ فيما أدّكَرْ
حتى إذا (أسْلَفْتُهُ) ما احتوتْ
كَفّايَ مالاً، وشُئونا أُخَر
وآنَ في الريفِ أوانُ الجَنَىٰ
وضَجَّ قلبُ الكوخِ فيما احتكر
أقبلَ يشكو لِيَ من حَظِّهِ
وقِلَّةِ الماءِ.. وسُوءِ الثَّمَر
كأنّني كنتُ إلٰهَ لَهُ
لا كاسِباً يَرْبَحُ فيما اتَّجر
وهكذا يا ربُّ ضاعَ الوَفا
وامتلأتْ دنيا الورىٰ بالعِبَر
وصَوَّح المعروفُ مِن حَقْلِهِ
وظَلَّلَ الشوكُ دُروبَ الزَهَرْ

المعلّم:

وهنا تَفجَّرَ هادِراً بشكاتهِ
قلبُ المعلّمِ يَستجيشُ ويَزفُرُ
مَضَتِ السنينُ تَخبُّ في حَلَباتِها
عجلىٰ.. وشَوطي بينها لا يَفتُرُ

حتى إذا قَرُبتْ لغايتها انجلتْ

والكأسُ يَحمِلها الهجينُ الأزور

وقَنِعتُ من دنيايَ أنّي فارسٌ

لا بدّ يُنصِفهُ الزمانُ ويَقْدِر

فإذا جزاءُ الناسِ لي وَوَفاؤهم

مِدَحٌ ألوكُ بها، وقَولٌ خَيِّرُ

فملأتُ مِن (كادَ المعلّمُ..) خاطري

حتى تَفايَضَ كأسيَ المُتفجِّر[1]

يا قومُ حسبُكُمُ المديحُ فإنّني

منكم على صَوغِ المدائح أقدَرُ

وأنا الذي صَوَّرتُ من هذي الدُمى

أمجادَ ما تَهَبُ القرونُ وتفخُرُ

وسَكبْتُ روحي في الخميلةِ فارتوى

زَهَرٌ، لغيري عِطرُهُ والمَنظَرُ

وصَنَعْتُمُ جَسَداً لأَصنعَ رُوحَهُ

والطينُ ـ لولايَ ـ الكثيرُ الأوفر

---

(١) اشارة إلى قول شوقي المشهور:

قم للمعلّم وَفّهِ التبجيلا كاد المعلّم أن يكون رسولا

الخاتمة:

وهكذا مَرّتْ شكاوىٰ الورىٰ
في مَسْمَعِ العام كرجع الصدىٰ
ثم مضىٰ يَفكُرُ في نَفسِهِ:
يا نَفسُ، هل يُصلَحُ ما أفسِدا؟!
هل كان مَنْ قَبْلِيَ ذَا حِكمَةٍ؟!
أمْ ماتَ في عينيه نُورُ الهدىٰ؟!
تَفاوُتُ الناسِ صَلاحٌ لهم؟!
أمْ خُلِقَتْ هذي البرايا سُدىٰ؟!
وهل إذا صَيَّرتُ فَلاَّحَهم
مُزارِعاً، وعَبْدَهم سَيِّدا..
.. تَنقطِعُ الشكاةُ؟! أمْ أنّها
طَبيعةٌ هَيهٰاتَ أنْ تَنفَدا؟!
حتى إذا أسلَمَ أفكارَهُ
للحيرة البَلهاءِ مُسترشدا
صَاحَ به الزمانُ: يا سيِّدي
عَطَّلتَني.. فأعطِني المِقوَدَا
وهكذا مرّتْ شكاوىٰ الوَرى
في مَسمعِ العام.........
... وضاع الصدىٰ!!!

المؤمنين: ٢٤/ ١٢/ ١٩٥٧

سِرْ مَعَ الرَّكْبِ

طُلِب من المرحوم العلاّمة الشاعر الشيخ علي الصغير أن يكون (مُمثِلاً) للمرجعية الدينية، ببغداد وكان متردّداً ـ في أول الأمر ـ نظراً للظروف التي أعقبت ثورة ١٩٥٨ ثم استجاب فكانت هذه القصيدة.

سِـر مـع الـركـبِ فـالـطـريـقُ طـويـلُ
سَـنَـنٌ ضـائِـعٌ، ونـورٌ ضـئـيـلُ
وسُـراةٌ، لـولا شـمـوخُ أمـانِـيـ
ـهـم، لأعـيـاهـمُ الـطَّـوىٰ، والـذُّبـول
فـي مَـتِـيـهٍ تـزاحَـمَـتْ فـيـه أشـوا
طٌ قِـصـارُ الـمَـدىٰ.. فـأعـيـتْ خـيـول..
وتَـلـوَّتْ أخـرىٰ.. وطـاحَ مـن الـحـلـ
ـبـةِ حـتـى الـمـجـرَّبُ الـمـأمـول
وهُـمُ يُـسـرِعـونَ، لا الـتَّـيْـهُ يُـوهِـي
مـن قُـواهـم، ولا الـعِـثـارُ يَـحـول
يـا لَـهـا مـن عـزائـم، تـتـلـهَّـىٰ
ـ وهـي تَـعـدو ـ: بـسـوف يـأتـي الـدلـيـل!!

❁ ❁ ❁

سِـرْ مـع الـركـبِ إنَّ شـوطَـكَ مَـرجـوْ
ـوٌ لـيـومٍ بـه الـسُّـراةُ قـلـيـل
وتـقـحَّـمْ لُـجَّ الـحـيـاةِ ـ كـمـا شـئـ
ـتَ ـ فـإن الـوقـوفَ صَـعْـبٌ ثـقـيـل
إنَّ دَربـاً ركـبـتَ، تَـصـطـرِعُ الأهـو
اءُ مـن حـولِـهِ، وتَـضـرىٰ الـمُـيـول
وقـصـارىٰ هـذي الأعـاصـيـرِ جَـدبٌ
شَـرِهُ الـمُـجـتـنـىٰ، وحِـقـدٌ أكـول
فـالـقـلـوبُ الـتـي حَـوالَـيْـكَ ـ تـبـدو
وهـي مُـخـضـرَّةُ الأديـمِ ـ مُـحـولُ
كـل مـا تَـجـتـلـي بـهـا الـعـيـنُ نَـبْـتٌ
أخـضـرُ الـسـاقِ، مُـونِـقٌ، مَـصـقـول
فـإذا مـا هَـزَزْتَ سُـنـبـلَـهُ ارفـ
ـضَّ بـكـفـيـكَ وهـو قِـشـرٌ هـزِيـل
كـيـف تَـبـنـي (الـغَـدَ الـسـعـيـدَ) قـلـوبٌ
أكَـلَ الـحـقـدُ لُـبَّـهـا والـذُّحُـول!!

❀ ❀ ❀

سِـرْ مع الركـبِ، فـالـطـريـقُ الـذي تَـسـ
ـلُـكُ مُـخـضَـوضِـرُ الـمـنـىٰ مَـأهـول

وحـواليـهِ تُـربـةٌ يَـزدهـي الـبـذ
رُ بـهـا - إنْ رَعَـيْـتَـه - ويَـطـول
وحُـقـولٌ مَـرّتْ بـهـا حُـمَـمُ (الـقـيـ
ـظِ) فكـادَتْ تـصـفَرُّ حتـى الـنخيـلُ!!
فـإذا مـا سَـكَـبْـتَ رُوحَـكَ فـيـهـا
وهـي - فـيـمـا أظـنُّ - رُوحٌ هَـطُـول
وفَـجَـرتَ الـعـيـونَ فـيـهـا يـنـابـيـ
ـعَ (سَـلامٍ) دعـا إلـيـه الـرسـول
فـسـيحـيـا جَـدبُ الـثرىٰ، ويَـغـصُّ (الـ
ـبَيْدرُ) المَحلُ بالجنىٰ.. و(يَحول)!!
وسـنـبـني الـغـدَ الـسـعـيـدَ عـلـى أشـ
ـلاءِ (وَهْـمٍ) عـاشَـتْ عـلـيـه الـعُـقـول

⊛ ⊛ ⊛

سِـرْ مـع الـركـبِ فـالـطـريـقُ طـويـلُ
ولـيَـكـنْ غـايـةَ الـمـسـيـرِ الـوُصـول
لا انـتـشـاءَ بـكـيـف تَـسـتَـبِـقُ (الـخـيـ
ـلُ) وكـيـف الـفـتـى بـهـنّ يَـجـول!
ولـتَـكـنْ كـالـذي عَـهِـدْتُـكَ وَضّـا
حـاً، عَـزيـزُ الـهـوىٰ لـديـكَ ذَلـيـل

أبلجَ الرأيِ، لا يُعيقُكَ في الحقـ

قِ ـ إذا ما ارتأيتَ: كيفَ تقول

وسليماً لا تُبصِرُ الشيءَ، من حَو

لِكَ، شيئينِ.. والكثيرونُ حُول!

وغنيّاً بما وُهِبْتَ، سواءٌ:

يومُكَ الشرُّ، والغدُ المجهول

وعطوفاً تَبني فؤادَكَ للعا

فين بيتاً طعامُهُ التبجيلُ

و(إماماً) ـ إذا سَمَحْتَ ـ يهزّ الـ

حبُّ جَنْبَيْكَ، والمُحيّا الجميل

النجف: ١٩٥٩/١٢/٢٩

للإمام... وللنجف... وللعراق...

كانت هذه القصيدة دعاءً ومناجاة في رحاب الإمام علي، ليَسلَم الوطنُ الحبيبُ من عنف التيارات المتصارعة فيما يشبه الحرب الأهلية بعد ثورة تموز ١٩٥٨.

سَمَوْتَ فكيف يَلحَقُكَ القصيدُ
وأجنحةُ الخيالِ لها حُدُودُ؟!
وكيف يُطالُ شأْوُكَ في جناحٍ
قوادِمُهُ مزاميرٌ وعُودا!!
فَهبْني ما أقولُ.. فإنّ فِكراً
إليكَ رقىٰ.. سيُتعِبُه الصُعود
فلستَ الأرضَ يَقطعُها مُغِذٌّ
ولستُ النورَ يُدرِكُ ما يُريد
أنا الإنسانُ، مهما خَفَّ روحاً
ورقَّتْ، في معاصِمِهِ، القُيود
ومهما جَنَّحتْهُ طِباعُ خَيرٍ
وأورَقَ في مَدارِكَ منه عود
وكادَ يكونُ رَبّاً آدمِيّاً
يَحِقُّ له من المَلَكِ السُجود

فسوف تُعيده حَمَأً خبيثاً
طِباعُ كلُّ أوجُهِهِنّ سُود

❁ ❁ ❁

أبا حَسَنٍ وإنْ أعيا خَيالي
فَقَصَّر دونَ غايتِهِ النشيدُ
فليس لأنّ أجنحَتِي قِصارٌ
وأنّ مُثارَ عاطفتي جَلِيد
وأنّ هوىً تَرعرَعَ وهو بَذْرٌ
بظِلّكمُ.. سيَذْبُلُ وهو عود
وأنّ يَراعةً غنّتْ هواها
ستَخرَسُ حين تَزْحَمُها الرُعود
ولكنْ كانَ مَرمانا سَماءً
قَريبٌ مَنالُها أبداً بَعيد
يَراكَ الفِكرُ منه قِيدَ باعٍ
فيحسَبُ أنّ مَطلَبَهُ زهيد
وهل أجلى من الإصباحِ شيءٌ
وقد شَقّ السماءَ له عَمُود
فَيُمعِنُ في لُحوقِكَ، حيثُ يَلْظى
فَيُجمِرُ.. ثم يُدرِكُه الخُمودُ

تَـعـالـى الـلّـهُ . . إنّ الـفـكـرَ يـسـمـو
على بـعـضٍ، كـمـا تـسـمـو الـنُـجـود
فـأنـتَ بـعـيـنِ شـامِـخِـهِ سَـمـاءٌ
وأنـتَ بـعـيـنِ خـاشـعِـهِ صَـعـيـد

❀ ❀ ❀

أبـا الـحـسـنَـيْـنِ هَـبْ لـي مـا أُغـنّـي
بـه الـدنـيـا لـيَـسـكَـرَ بـي وُجـود
فـقـد سَـئِـمـتْ حَـديـثَ الـنـفـسِ رُوحٌ
لـهـا فـي كـلِّ آونـةٍ شُـرود
يُـحـمِّـلـهـا الـعـذابَ ضُـمـورُ جـيـلٍ
تَـجـاذَبُـهُ الـمَـطـامِـعُ والـوعـود
يـطـارِدُهُ، عـلـى سَـغَـبٍ، أكُـولٌ
وتَـزحَـمُـهُ، عـلـى ظَـمـأٍ، وُقـود
فَـشَـكٌ لا يُـريـح إلـى يَـقـيـنٍ
ووَهْـمٌ كـل مَـنـطِـقِـهِ جُـحـود
و(إرهـاصٌ) مـن الـجَـدَلِ الـمُـعـمّـى
(نُـبـوّتُـهُ) الـبَـلادةُ والـجـمـود
أبـا حـسـنٍ ولـولا أنَّ روحـي
بـحـبـلِ هُـداكَ تَـربُـطُـهـا عُـهـود

وأنّ القلبَ إنْ أظماهُ حُبٌّ

فأنتَ لِريِّه العَذْبُ البَرود

لأوشَكَ أنْ تَزِلَّ به دُروبٌ

تَفاخَرُ أنّ مَزْلَقَها (جَديد)

فبينَ الزيغِ والإيمانِ خَيطٌ

إذا ما أنْبَتَّ تَضطرِب الحدود

❀ ❀ ❀

أبا حسنٍ وبعضُ الهمِّ يَطغىٰ

فتضعُفُ دون قُوّته السُدود

خَبرتُ الناسَ، لا بَطِراً، ولكنْ

لأعرِفَ كيف عن حَقٍّ تَحيد

وكيف يُجَذُّ غَرسُ الحبِّ منها

لتُغرَسَ، باسمِهِ، فيها الحُقود!

وكيف تَبدّلتْ أسماءُ قومٍ

بأخرىٰ، بينهنّ مَدىً بعيد!!

فكلُّ مخالِفٍ، أبداً، عَدُوٌّ

وكلُّ مُخاتِلٍ، كَذِباً، وَدُود!!

وكل نَصيحةٍ غِشٌّ ولؤمٌ!!

وكلُّ خَديعةٍ رأيٌ سديد!!

وكـلُّ غـدٍ تَـحـشَّـدَ بـالـمـنـايـا
لـتُـطـعَـمَـهـنَّ فـهـوَ (غـدٌ سـعـيـد)!!
أَهـذا مـا يُـقَـضّـي الـعـمـرَ فـيـهِ
شـبـابٌ ذابـلٌ وحَـشْـىً وَقِـيـد
إذنْ غـيـرَ الـخـمـيـلـةِ ما قَـصَـدْنـا
وغـيـرَ ورُودِهـا هـذي الـوُرود
فـكـم لَـفـظٍ تَـراقَـصَ عَـبـقـريّـاً
فـأوحَـشَ وَجـهَـهُ الـمـعـنـى الـبَـلِـيـد!!

⊛ ⊛ ⊛

ويـا وَطَـنـاً لـو أنّ (الـخُـلـدَ) أزرى
بـرَوْنَـقِـهِ لـقـلـتُ لـه: حَـسـود
أديـمُ ثَـراكَ أروَعُ مـا نُـفَـدِّي
ونَـبـعُ رَواكَ أنـبـلُ مـا نَـرود
كـأنّ حَـصـاكَ مُـمـتَـقِـعـاً، قـلـوبٌ
يُـقـلِّـبُـهـا عـلـى ضَـرَمٍ صُـدود
وطِـيـبَ نَـسـيـمِـكَ الـسـاجـي عِـتـابٌ
تُـهـدهِـدُهُ عـلـى أمَـلٍ وُعـود
أحِـبُّـكَ.. بـل أُحِـبّ خُـشـوعَ نـفـسـي
بـبـابِـكَ.. حـيـن أحـلُـمُ بـي أعُـود

وأعــشِــقُ فــيــكَ آهــةَ كــلِ قــلــبٍ

لــه بــيــن الــثــرىٰ غَــزَلٌ فَــقِــيــد

وأيـــامٌ مُـــجَـــسَّـــدَةٌ، ورَمْـــلٌ

يُــثَــرثِــرُ بــالــهــوى، ودُمــىً شــهــود

وكــم بــيــنَ الــصُّــخــورِ رَمِــيــمُ لَــهــوٍ

تَــصَــيَّــدَهُ الــصِــبٰــا فــيــمــا يَــصِــيــد

نَــمُــرُّ بــه فــنُــقْــصِــرُ مِــن خُــطــانــا

مَــخــافــةَ أنْ يُــراعَ فــمٌ وجِــيــد

⊛ ⊛ ⊛

ويــا وَطــنــاً سُــقِــيــنــا الــحــبَّ فــيــهِ

وشَــبَّ بــه عــلــى الــدَّعَــةِ الــوَلــيــد

يَــعِــزُّ عَــلــيَّ أنْ نُــســقــاكَ حِــقــداً

نَــغَــصُّ بــه فــيُــظْــمِــأنــا الــورُود

وأنْ نــلــقــىٰ سَــمــاءَكَ وهــيَ صَــحْــوٌ

يَــغــيــمُ بــهــا صــبــاحُــكَ، وهــو عِــيــد

وأنْ نَــرقــىٰ الــســبــيــلَ الــسَّــهــلَ عَــدواً

فــتُــرهِــقَــنــا بــمَــدرجِــهِ الــنُّــجــود

تَــحــيَّــر فــيــه ســالِــكُــنــا: أيَــجــرِي

عــلــى فَــرَقِ الــمَــغَــبَّــةِ، أم يَــعــود؟!

وقد شُقَّتْ حَوَالَيْهِ دُروبٌ

وعُفِّيَ بَيْنَها الدربُ السديد

(تَكَاثَرَتِ الظِباءُ على خَرَاشٍ

فلا يدري خَراشُكَ ما يَصِيد)

١٩٦٠/١/١٣

دموع الوفاء

وفي نفس الفترة، ولنفس الظروف التي ذكرتها في القصيدة السابقة - في العهد (القاسمي) - توفي أحد زعماء النجف الدينيين هو الحجة السيد علي بحر العلوم، فكانت هذه القصيدة وفاءً لجهاده، وتصويراً للحالة التي عاشتها النجف يومئذ.

لا تَقُلْ: أينَ؟!

ـ فـالـطـريـقُ بـعـيـدُ

الـسُـرىٰ مُـوحِـشٌ..

.. وأنتَ فَقِيدُ

والـسـبـيـلُ الـتـي سَـلَـكْـنـا ـ كـمـا تَـعـ

ـهـدُ ـ: شَـوكٌ دامٍ، ورمـلٌ وَقِـيـدُ

وشِـعـابٌ تُـخـادِعُ الـعـيـنَ.. فـالـقَـصْـ

ـدُ الـقَـريـبُ الـمَـدىٰ، قَـصِـيٌّ بَـعـيـدُ

والـسُـراةُ الـذيـن خـلـفَـكَ أعـيـا

هُـمْ ـ عـلـى الـبُـعـدِ ـ بـاسـمـكَ الـتـردِيـد

تَـعِـبـتْ أعـيـنُ الأمـانـي، فـكـم تَـز

عُـمُ: أنّ الـدلـيـلَ سـوفَ يَـعـودا!!

هَـوَّمَ الـركـبُ، واسـتـفـاقَ عـلـى الـنَـعـ

ـيِ، فَـغَـصَّ الـحـادي ومـاتَ الـنـشـيـد

أكـذا يُـسْـتَـبـاحُ فـي غَـمـرة الـفـتـ
ـحِ، شُـموخُ الـوغـىٰ، وتُطوىٰ البُنود؟!

❀ ❀ ❀

لا تـقـلْ: أيـن؟! رُبّـمـا طـارَ حُـلْـمٌ
أنـتَ فـيـه عـلـى الـرعـيـلِ عَـمِـيـد
نـحـن فـي مُـتـعـةِ الـخَـيـالِ، وخـيـرٌ
مِـن لَـظـىٰ الـثُـكـلِ وَهْـمُـنـا والـشُـرُود
كيف يَحلو السُرىٰ، وما طاحَ في الحَلـ
ـبـةِ إلاّ الـمُـجـرَّبُ الـمَـعـدود!!
والـردىٰ لا يَـحـومُ إلاّ عـلـىٰ حـيـ
ـثُ تـشُـبُّ الـوغـىٰ، وتَـضـرىٰ الأسُـود!
كـيـف نَـنـسـىٰ رأيـاً عـلـى وَهَـجِ الـشـمـ
ـسِ تَـغـذّىٰ وأَسْـمَـنَـتْـه الـجـهـود؟
وإذا الـنَـبْـعُ كـان ثَـرّاً رَبـا حَـقْـ
ـلُ كـريـمُ الـجـنـىٰ.. ونَـوَّرَ عُـودُ
مـا نَـسِـيـنـاكَ، كـيـف يُـنـسـىٰ الـربـيـعُ الـ
ـشَـهْـمُ، والـمـنـبـعُ الـسَـخـيّ الـبَـرود؟
أيُّ جُـلّـىٰ تُـشِـيـحُ وجـهَـكَ عـن لَـ
ـفْـحِ لـظـاهـا.. وأيّ شـكـوىٰ تَـذود؟

كنتَ مِلْكَ الجميعِ لم يَحتجِزْكَ الـ
أهلُ يَوماً، ولا ادّعتْكَ الحُدود
وضُروعُ السحابِ مِلكُ الثرىٰ الجدْ
بِ، سواءٌ بِطاحُهُ والنُجودُ
ذِكْرَياتُ الطُموحِ، غَالىٰ بها المو
تُ لتُنسىٰ، فعاشَهنَّ الخلود

❀ ❀ ❀

لا تَسَلْنا: أينَ انتهينا وماذا
سوف يأتي به الغَدُ المنشودُ
ليس غيرَ الأحلامِ نَجْتَرُّها ضِغْـ
ثاً، ونلهو بصَقْلِها، ونُعيد
يا خيالَ (الغد السعيد) سلامٌ
لكَ من عطفِ أمسِنا وعهود
يوم كنّا ـ وأنتَ أحلىٰ أمانِيـ
ـنا وأشهىٰ ما زَوّقته الوعود ـ
نتلاقىٰ على انتظارِكَ صَرعىٰ
حُلُمٍ، بابُ صِدقِهِ مَوْصُود
كنتَ في اللُجّةِ البَعيدةِ غَيْبا
سابحاً، ما لِطَيْفِهِ تحديد

قد تَرفَعتَ عن مُنانا فعاشَتْ

فيكَ أوهامُنا، وضلَّ الرشيد

فإذا أنتَ في الشُخوصِ التي نَلـ

ـمَحُ طِفلٌ، مُغرَّرٌ، عِربيد

تتساوىٰ لديهِ إغفاءةُ الفجـ

ـرِ ولَفحُ الظَهيرةِ الموقود!!

يَسحقُ الجوهرَ الكريمَ، ويحلو

حَجَرٌ، في يديه، أعمىٰ بليد!!

كل حربٍ ـ إذا أفادَتْهُ ـ سِلْمٌ

وخَؤونٍ ـ إذا اصطَلاها ـ شَهِيد!

وصديقٍ ـ أسدىٰ له النُصحَ، غيرَ ا

نَ على رشدِهِ ـ عدوٌ لَدود!!

وإذا أنتَ في القلوبِ الغَريرا

تِ دمٌ حاقِدٌ، ولؤمٌ عنيد!

وإذا أنتَ في دموعِ اليتامىٰ

شَبَحٌ خائِفٌ، ورُوح شريد!

وإذا الشعبُ ـ بين نِطْعِكَ والسيـ

ـفِ الذي قد شهرتَ ـ (شعبٌ سعيد)!!

❀ ❀ ❀

وسَجَىٰ الليلُ وانتشىٰ، أرعَنَ الخَطـ

ـوِ، تَـكـادُ الآفـاقُ مـنـه تَـمِـيـدُ

ثم وَلَّىٰ، وللصباحِ على مَتْـ

ـنَيْه سَوطٌ مُخضَّبٌ مشهود

أرأيتَ (الإيمانَ) يَفتِكُ بـ(الشـ

ـكِّ) فيَطوي قِلاعَه ويُبيد

ويُعِيد الرُّواءَ في يَبَسِ الحقـ

ـلِ؛ فتهفو طيورُهُ، وتعود

يا حُماةَ الإسلامِ أنتم - إذا الغيُّ

تنادىٰ - حماتُنا والأسود

وإذا ما دَجا الظلامُ مصابيـ

ـحُ هدانا، وفجرُنا الموعود

وصَدانا المُرِنُّ من رَهَجِ الفتـ

ـح بـ(بدرٍ) وبأسُنا والحشود

ولديكم من (ذي الفَقار) مواريـ

ـثُ فَتاءٍ، وعُدَّةٌ وعَدِيد

(وأبوكم محمدٌ سيِّدُ الكلِّ

وأَجْدِر بوُلْدِهِ أن يسودوا)

لا يَرُعكم زهوُ العدوِّ، ففي جَنْـ

ـبَيْهِ قلبٌ مذعَّر رِعديد

أمسِ، يومَ ازْدَهَتْ (قريشٌ) جَلَوْنا
ها، وأسيافُنا الغِضابُ (جَرِيد)

⊛ ⊛ ⊛

شَرَفاً - يا أبا محمد - لن يَشْـ
مَتَ قالٍ، فغيرُكَ المفقود
وخلوداً فلن يُصوِّحَ روضٌ
عَبِقَتْ فيه مِنكَ هذي الورود
وعَزاءً تِرْبَ الصِبا[1]، والهوى البِكْـ
ـرَ، فدونَ المُصابِ هذا القصيدُ
لم يَمُتْ من نَماكَ للمجدِ ترعا
هُ فتُرضِي طُموحَه وتَشِيد
والربيعُ المُعطَّرُ السَمْحُ لا يَبْـ
ـلى، وفي البَذْرِ سِرُّهُ والخلود
يا أخي، والإخاءُ وَحَّدَ قلبَيْـ
ـنا فذابَتْ على يَديهِ الحدود
قد بَلَغْتُ المصابَ في الشُكلِ لكـ
ـنَّ بياني عن الوفاءِ قَعِيد

(١) المقصود هو الصديق الوفي السيد محمد بحر العلوم.

لــن يُــوفّــيــكَ، فــالــحــقــوقُ الــتــي أســ
ـدَيْــتَ.يَــعــيــا بــحَــمْــلِــهــا ويَــؤود
وعَــــذِيـــــري أنّ الــــصَـــــداقـــــةَ شــــيءٌ
فــوق مــا تــدّعــيــه هــذي الــقُــيــود
١٩٦٠/٩/١

الحسين

في فترة المد الصاخب الذي حدث بعد ثورة ١٩٥٨ أقامت مدينة النجف الأشرف ذكرى مولد أبي الشهداء الحسين بن علي في ٣ شعبان ١٣٨٠، وكانت هذه القصيدة إحياء لذكراه، ودفعاً للجماهير المؤمنة للتمسك بنهجه.

ذكـراكَ، تَـنـطـفِـيءُ الـسِـنـيـنُ وتَـغـرُبُ

ولَـهـا عـلـى كَـفٍّ الـخـلـودِ تَـلـهُّـبُ

لا الـظـلـمُ يَـلـوِي من طِـمـاحِ ضَـرامِـهـا

أبَـداً، ولا حِـقـدُ الـضـمـائـرِ يَـحـجُـبُ

ذِكـرىٰ الـبُـطـولـةِ لَـيـلُـهـا كـنـهـارِهـا

ضـاحٍ تـوَّجُ بـهِ الـدِمـاءُ وتَـلْـهَـبُ

ذكـرىٰ الـعـقـيـدةِ لـم يَـنُـؤْ مَـتـنٌ لـهـا

بـالـحـادثـاتِ، ولـم يَـخُـنْـهـا مَـنـكِـبُ

ذكـرىٰ الإبـاءِ يَـرىٰ الـمَـنـيَّـةَ، مَـاؤهـا

أصـفىٰ مـن الـنَّـبـعِ الـذلـيـلِ وأعـذَبُ

ذكـراكَ مَـدرسـةُ الـذيـن تـعـرَّضُـوا

للسوطِ، يحكم في الشُعوبِ، فأرعبوا

ومـحـجَّـةُ الـشـهـداءِ يَـخـشـاهُـمْ - وهـم

صَـرعىٰ بـهِ - الـسـيـفُ الـلـئـيـمُ ويَـرهَـبُ

مَـولايَ دَربُ الـخـالِـديـنَ مُـنـوَّرٌ

بـالـذكـريـاتِ الـغُـرِّ، سَـمْـحٌ مُـخْـصِـب

تـهـفـو لِـرَوْعَـتِـهِ الـمـنـى، لـكـنّـهُ

ـ مِمّـا تُـحـيـطُ بـه الـفـجـائِـعُ ـ مُـتْـعِـب

❁ ❁ ❁

إيـهـاً أبـا الأحـرارِ أيُّ كَـريـمـةٍ

تَبْـنـي الـخُـلـودَ ولـيس مِـنـكَ لـهـا أبٌ

أنـتَ الـذي أعـطَـيْـتَ مـا أعـيـا الـوَرىٰ

تـصـديـقُـهُ، ووَهَـبْـتَ مـا لا يُـوهَـبُ

ووَقَـفْـتَ حـيـثُ أرَاحَ غـيـرُكَ نـفـسَـهُ

والـحـقُّ بـيـنـكـمـا يُـهـيـبُ ويُـرغِـب

فَـصَـمـدتَ لـلـتـيّـارِ تَـشْـمَـخُ هـادِراً:

سِـيّـانِ أغـلِـبُ مَـوْجَـهُ أو أُغـلَـبُ

فـي حـيـنَ مَـرَّ بـكَ الـمُـرفَّـهُ جِـيـفَـةً

شَـنْـعـاءَ تَـطْـفُـو فـي الـعُـبـاب وتَـرسُـبُ

حـتـى إذا الـتـاريـخُ أرهَـفَ سَـمْـعَـهُ

لِـيُـعِـيـدَ مَـنْ صَـنَـعـوهُ فـيـمـا يَـكـتُـبُ

دَوّىٰ بـآذانِ الـزمـانِ هَـديـرُكَ الـ

ـصـافـي، وضـاءَتْ مِـن سَـنـاهُ الأحـقُـبُ

ومَشَتْ على وَهَجٍ سَعَرتَ قَوافِلُ الـ
أحـرارِ تَـكـرَعُ مـن لَـظـاهُ وتَـطـرَبُ
وتـركـتَ لـلأجـيـالِ حـيـنَ يَـلـزُّهـا
عَنَتُ السُرىٰ ويَضيقُ فيها المَهْرَبُ
جُثَثَ الضحايا من بَنِيكَ تُريهُمُ
أنَّ الحقوقَ بمثلِ ذلكَ تُطلَبُ

۞ ۞ ۞

مـولايَ أنـتَ لـكـلِّ جـيـلٍ صَـاعـدٍ
قَبَسٌ يُنِيرُ له السُرىٰ ويُحبِّبُ
وَلأنْـتَ إنْ زَلَّـتْ بـه قَـدَمُ الـهـوىٰ
صَـوْتُ الـضـمـيـرِ يَـردُّهُ ويُـؤنِّـبُ
ولَـنـا بيومِكَ وهو في أقصىٰ المَدىٰ
كـفٌ مُـلَـوِّحـةٌ وعـيـنٌ تَـرقُـبُ
فَـعَـلىٰ مَ يَرجِمُ بالظُنونِ مُخاتِلٌ
ويَـعِـيـشُ فـي وَهْـمِ الـخَـيـالِ مُـخـرِّبُ
وعَـلَـى مَ نَـيـأسُ مـن هِـدايـةِ فِـئـةٍ
تَـخِـذَتْـكَ رائـدَهـا الـذي لا يَـكـذِبُ
أنـا لـسـتُ شِـيـعـيّـاً، لأنَّ عـلـى فَـمِـي
ذِكْـرَ الـحـسـيـنِ أُعِـيـدُ فـيـه وأُطـنِـبُ!
ولأنَّ فـي قـلـبـي عُـصَـارةَ لَـوْعـةٍ
لأسـاهُ تَـذكُـرهـا الـعـيـونُ فـتَـسـكُـبُ!

ولأنّ أمّي أرضعتني حُبّهُ

ولأنّه لأبي وجدّي مَذْهَب!

لكنّني أهوىٰ الحسينَ لأنّهُ

للسالِكينَ طَريقُ خَيرِ أرحَب

وأُحِبُّهُ لِعقيدةٍ يَفنىٰ لها

إنْ دِيسَ جانِبُها.. ودِينٍ يَغضَبُ

ودمٍ يُريقُ لأنّه يَغذو بِهِ

جُوعَ الضمائرِ إذْ تَجِفُّ فتُجدِب

أأكونُ شِيعتَهُ وقد أَخَذَ الهوىٰ

قلبي بِغيرِ طريقِهِ يَتنكّبُ؟

وأكونُ شِيعتَهُ إذا لاقَيتُهُ

وأنا لِروحِ (يَزيدَ) منه أقرَبُ!

❀ ❀ ❀

مولاي يومُكَ لا يَزالُ كأمسِهِ

في الدهرِ رَيّانَ الضحىٰ يَتلهّبُ

يزهو بِغُرّتِهِ الأصيلُ ويَنتشي

- بِجَلالِ ما وَهَبَ الشُروقُ - المَغرِبُ

فَدَمٌ أرَقْتَ كأنّه مِن جِدّةٍ

الآنَ يَعطُرُ في الثرىٰ ويُخضِّب

وكــأنّ حَـقـاً قـد نَـصَـرتَ، وبَـاطـلاً

يَـهـوِي، وأحـقـاداً عـلـيـكَ تَـألَّـبُ

صُـوَرٌ مـن الأمـسِ الـجـديـدِ نَـعِـيشُـهـا

حِـقـداً ونَـصـلاَهـا هَـوىً يَـتـعـذَّب

وكــأنّ قـومـاً أسـلـمـوكَ بـلـيـلـةٍ

عَـسـراءَ، وانـقـلـبـوا عـلـيـكَ فـكـذَّبـوا

عـادتْ بَـقـيَّـتُـهـمْ تُـبـارِكُ مـا جَـنـىٰ

جَـانٍ، وتَـصـقُـلُ مـا افـتـرىٰ وتُـهـذِّب

مـن كـلّ نَـهّـازٍ هـوايـتُـهُ الـتُـقـىٰ

ورقـيـقُ ظَـاهـرِهِ الـصَـلاحُ الـمُـعـجِـب!

ويَـكـادُ مـن قُـدسٍ وطـولِ بَـراعـةٍ

فـي الـنُـسـكِ بـيـن لـذاتِـهِ يـتـرهّـب!!

لـكـنّـه إذْ جَـدَّ جِـدٌّ، وانـطـوىٰ

لَـعِـبٌ وأَضـحَـرَ لـلـهَـجِـيـرةِ مَـلْـعَـب

ألـقـىٰ (تَـنـكُّـرَهُ) وفَـاضَ بِـسِـرِّهِ

عُـريـانَ يَـهـدِرُ فـي الـعُـبـابِ ويَـصـخَـبُ

والـحـمـدُ لـلـكُـرَبِ الـشِـدادِ فـقـد جَـلَـتْ

عِـهـراً يـكـاد مـن الـخَـديـعـة يَـنـجُـبُ

❀ ❀ ❀

أمّا الذين خَبَرتَهم يَوْمَ ٱلتَقىٰ
مِن حَولِكُمْ رَهَجُ القَنا يَتأشَّبُ

فَوَجَدتَ فيهم كلَّ أشوَسَ يَزدهي
أنَّ الرِماحَ لِنَهْبِهِ تَترقَّبُ

فهمُ الذينَ تَوارَثوكَ رِسالةً
تَجري على جَدبِ السنينِ فتُخصِب

وهمُ الذين جَرَيْتَ فيهم ثَورةً
بَيْضاءَ تَثْبُتُ للرياح وتَصلُبُ

وعقيدةً تَزهو بأنَّ مَعِينَها
هيهاتَ يَفْتُرُ نَبْعُهُ، أو يَنضُبُ

وهم الذين سيقتَفُونَكَ، لا الهدىٰ
كابٍ، ولا وَخْدُ السُرىٰ مُتَهيِّب

وسيقحَمُونَ الليلَ في غَمْرِ الدُجا
ولَهُمْ من الذكرىٰ الكريمةِ كوكب

❀ ❀ ❀

ثمّ اسْتفاقَ الحاقِدونَ[1] على الهُدىٰ
إذْ ثار يَهدِمُ ما بَنَوْهُ ويَقْلِبُ

(١) الحاقدون: هم اصحاب المد اليساري المحيط بالزعيم عبد الكريم قاسم يومئذ.

يَتهامَسونَ: «بأنَّ فَقْعاً[1] ذابِلاً

هذا الشُموخُ، ومُنْيَةٌ ستُخَيَّبُ

وبأنه غَضَبٌ سيَهدَأُ رِيحُهُ

يوماً، فَيَجْزُرُ مَدُّهُ المتوثِّبُ

وبأنَّ من ناوأتُمُ، وكَرِهْتُمُ

منكم على عَصفِ الحوادثِ أصلَبُ

وبأنّهم خُمَمٌ، إذا هَبَّتْ وغىً

لانوا.. وإنْ ألقَتْ عَصاها ثَقَّبوا»

ـ كَذِبوا فدونَ الريبِ أنكَ واجدٌ

في الصبحِ ما يعنو له المُتريِّبُ

مَرَّتْ بكم فُرَصٌ، وأنتم حولها

تتحيّنونَ (الضَرعَ) ساعةَ يُحلَبُ

فأمدَّكم ببروقِهِ ورعودِهِ

(نَوْءٌ)[2] على سَعَةِ المدىٰ يتَقلَّبُ

فحكمتُمُ، والسوطُ رَهنُ أكفِّكم

يَضرىٰ به حَمَلٌ، ويأسَدُ أرنبُ!!

---

(١) الفقع: الكَمأ.

(٢) النوء جمعه أنواء: نجوم كانت العرب في الجاهلية تنسب اليها هبوب الرياح والأمطار، والمقصود به هنا هو زعيم الثورة المرحوم عبد الكريم قاسم الذي كان يتقلب مع الاتجاهات السياسية المختلفة، وكان يومئذ يدعم المد اليساري.

وعصفتُمُ بالناس لم يضعف لكم

جاهٌ ولم يَخسَر لديكم (مَكسَبُ)

وحَسِبتُمُ أنّ (العُبابَ) يُقِلُّكم

طوعاً.. وأنّ (الرِيحَ) منكم تَرهَبُ

حتى إذا انحسر الخُمارُ، وفُسِّرتْ

لكم الرؤىٰ، وارتدّ طرف مُعجَبُ

عُدتُم - كما كنتم - لُيوثَ كريهةٍ

تحيا على الوَرَقِ الصَقِيلِ وتصخَبُ

وإذا بهذا (الفَقْعِ) صَحوُ ضمائرٍ

هيهاتَ يَثبُتُ فيه طيفٌ مُرعِبُ

النجف: ٢٣/١١/١٩٦٠

رائد الجيل

كان المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر هو الرائد الحقيقي للتطور العلمي والمنهجي في جامعة النجف الأشرف الدينية، وقد أسس في الثلاثينات جمعية (منتدى النشر) التي تبنّتْ إنشاءَ مدارس دينية متطورة في النجف، والكاظمية، والبصرة، وتأسيسَ (كلية منتدىٰ النشر) في النجف، ثم (كلية الفقه) التي تخرّج الشاعر فيها، وقد حاول تجديد خطاب المنبر الحسيني بتأسيس (كلية الخطابة) ولكنّ ظروفاً اجتماعية حالت دون ذلك. والقصيدة تحية لذكراه، وعرض لجهاده.

بَكَاكَ، لو أنّ فَيْضَ الدمعِ يُسعِدُهُ

جِيلٌ تَحرَّقتَ، كي يَحيا بِهِ غدُهُ

طافَتْ بهِ ذِكرياتٌ كُنتَ ذِروَتَها

وقد خَلَتْ مِنكَ - إذْ أثقلتَها - يَدُهُ

أيامَ كانَ العَسيرَ، الوَعرَ، مَسلكُهُ

والمُبهمَ، الشاحِبَ، الرَجْراجَ، مَقصِدُهُ

وكان أنكدَ ما عاناهُ أنَّ يداً

تُضمِّدُ الجُرحَ، تُدمِيهِ وتُفسِدُهُ

جِيلٌ يَعيشُ بأحلامٍ مُخادِعةٍ

تُدنِيهِ، من قَصدِهِ حِيناً، وتُبعِدُهُ

يَنامُ منها على حُلْمٍ يُهدهِدُهُ

ويَستفيقُ على حُلمٍ يُسهِّدُهُ

تَقتاتُ من رُوحِهِ غَرثَى وسَاوِسِهِ

يأساً.. ويَسمَنُ من خَوفٍ تَردُّدُهُ

حتى طَلعتَ، فجسّدتَ الرُؤىٰ، ومَشىٰ

في اللاحِبِ السَهْلِ مِمّا كنتَ تُوعِدُه

وما ابْتَدَعتَ غريباً عن مَدارِجِهِ

ولا انحرفتَ بما قد كان يَقصدُه

لكنّه النورُ، إذْ يَجلو الطريقَ لنا

فإنّما هوَ يُنشِيهِ ويُوجِدُه

❀ ❀ ❀

أبا محمد، والجِيلُ الذي وَرَدَتْ

ظِماؤهُ مِنكَ، واستنْتَكَ شُرَّدهُ

سيُوسِعُ الدربَ للأجيالِ صاعِدةً

على مَدَبِّ الرَجا فيما يُمهّده

أنتَ الذي كنتَ ناراً في عَزيمتِهِ

وفَيضَ نُورٍ بعَينيهِ يُسَدِّدُهُ

وما بَرِحتَ تُنمّي رُوحَهُ حَذَراً

ألاّ يُبدِّدَها فيما يُبدِّدُه

حتى إذا ذُبتَ فيه رَحمةً وهوىً

وذابَ تحتَ شُواظٍ منك عَسْجَدُه

سَكَبْتَهُ، مِن جديدٍ.. ثمّ قُلتَ له:

ذا سُلَّمُ المجدِ، فانظر كيفَ تَصعَدُهُ

جِـيـلٌ نَـمَـتْـهُ إلـى دُنـيـاكَ فِـكـرتُـهُ

وإنْ نَـمـاهُ إلـى الآبـاءِ مَـولِـدُه

أبـو الـفـتـىٰ لـيـس مَنْ ألـقىٰ بـه جَـسَـداً

مـا أهـونَ الـصَّـرحَ لـولا مَـنْ يُـمـرِّدُهُ

أبـي الـذي إنْ يَـرُعْـنـي مُـشـكِـلٌ وقَـفَـتْ

أفـكـارُهُ، بـيـن أفـكـاري، تُـفَـنِّـدُهُ

وإنْ تـخـاذَلَ عَـزمـي فـي مـجـالَـدَةٍ

وَجـدتُ عَـزمـاً يُـغـذِّيـه ويَـرفُـدُهُ

والـمـرءُ لـولا أبٌ يُـعـنـىٰ بـفـكـرتِـهِ

لـكـان بـالـحَـمـأِ الـمَـسْـنـونِ سُـؤدَدُهُ

⊛ ⊛ ⊛

أبـا مـحـمـد، لَـيـلُ الـهـانـئـيـنَ كـمـا

عُـوِّدتَ.. لَـيـلٌ عـلـى الإرجـافِ مَـوعِـدُه

تـنـاهَـبَـتْـكَ غَـرِيـضَ الـلـحـم[1] سُـمَّـرُهُ

وقَـلَّـبـتْـكَ عـلـى الأحـقـادِ حُـسَّـدُه

فـلـم تَـجِـد فِـيـكَ مـن قـولٍ تُـعـابُ بِـهِ

إلاّ الـذي رَاحَـتِ الـدنـيـا تُـمـجِّـدُه:

(١) الغريض من اللحم: الطريء.

«مُـجـدِّدٌ يـبـتـنـي لـلـديـنِ فَـلـسـفـةً

هَـوْجـاءَ، تَـهـدِمُ مـا كُـنـا نُـشـيِّـدُهُ»

«حَـنَـا عـلـى الـبَـذرِ يُـولِـيـهِ عـنـايـتَـهُ

وأسلَـمَ الـحـقـلَ لـلآفـاتِ تَـحـصِـدُهُ»!!

دَعْـهـمْ فـلَـيـلـتُـهـمْ لا بـدَّ وَاجِـدَةٌ

ضـحـىً يُـفـسِّـرُ مـا كـانـت تُـعَـقِّـده

مَـنْ مِـنـهُـمُ عـاشَ هَـمُّ الـجـيـلِ فـي دَمِـهِ

يَـقـتَـصُّ مـنـه الـذي يـأتـي بـه غـدُه

ومَـنْ رأىٰ بـابـنِ سَـبـعٍ ثِـقْـلَ مُـشـكِـلَـةٍ

على ابنِ سبعينَ، أخفىٰ وَجْهَها دَدُهُ[1]

كـانـتْ لـيـالـيـهُـمُ بِـيـضـاً مُـعـطَّـرةً

مـا شَـابَ أنـفـاسَـهـا إلاّ تَـنـهُّـدُهُ

ولَـيْـلُـكَ (الـنـابِـغـيُّ)[2] الـفَـذُّ تَـقـطَـعُـهُ:

بـكـيـفَ تَـدفَـعُ عـنـه مـا يُـهـدِّدُه

تُـذِيـبُ قـلـبَـكَ.. تَـروَىٰ مِـنـهُ غُـلَّـتُـهُ

وتَـفـرُشُ الـجَـفْـنَ.. يَـهـنَـا فـيـه مَـرقَـدُه

وأنـتَ تـحـتَ لَـهِـيـبِ الـحِـقْـدِ، تُـوسِـعُـهُ

عَـفـواً.. ويُـوسِـعُـكَ الـتـجـريـحَ مُـوقِـدُهُ

---

(١) الدَدُ: اللهو واللعب، يقول مَن منكم كان ثاقب البصر بحيث يرى على وجه الطفل اللاعب اللاهي مشاكله وهو رجلٌ أو شيخ في السبعين.

(٢) النابغي: نسبة إلى النابغة الشاعر العربي الذي كان يتذمر من طول ليله.

حتى انتصرتَ، وضاقَ الليلُ مُنكمِشاً
على طَويّتِهِ، وأصفرّ أسودُهُ

۞ ۞ ۞

وكانَ حَوْلَ الجهادِ المُبتَلىٰ نَفَرٌ
مِمن تولاّهُ أضناهم تَجلُّدُه
يَستعرضونَكَ: آلاماً مُوزَّعَةً
على رَعيلٍ من الآمالِ تفقُدُه
هنا.. على نُظُمٍ أَوشكتَ تُصلِحُها
قلبٌ مع الزَفرةِ الحَرّىٰ تُصَعِّده
وثَمَّ.. في الجيلِ إذْ طال المَتِيهُ بِهِ
فلم يُعِنكَ على صَبرٍ تمرُّدُه..
.. بَقيّةٌ مِن حَنانٍ كِدتَ تُطفِؤهُ
لولا شُموخُ ضميرٍ منكَ يُوقِده
(والمِنبرُ) الحرُّ إذْ حاوَلْتَ تُصلِحُهُ
مِمّا به، فأثارَ الشكَّ مُفسِدُهُ
قد كان مِن يَبِسِ (الأعوادِ) جائِمُهُ
فجئتَ بالخَضِلِ الزاهي تُورِّدُهُ
وكِدتَ - لولا ضُمورٌ في قوائِمِهِ
و(جاثِمٌ) مِن وَراء السِترِ يُقعِده -

أنْ تستثيرَ له الأجيالَ صاعِدةً

لشامخٍ يتحدّى الجهلَ (مَعهَدُهُ)

وأنتَ من فوقِهِ رُوحٌ تطوفُ به

ومُقلةٌ مِن وراءِ الغيبِ تُرشِده

آمنتُ أنّ طريقَ الخالدينَ، وإنْ

أفضىٰ إلى سَمَرِ الأجيالِ مُوصَدُه

دَربٌ، بغيرِ الذي حُمِّلتَ، لا غَدَهُ

تُدْني.. ولا جَمرَه المسعورَ تُخْمِدهُ

❁ ❁ ❁

يا سادةَ النجفِ المَرموقِ جانِبُهُ

وحاشدي الحسبِ المَوفورِ مَحتِدُهُ

ورائدي الركبِ، ما ضَلَّتْ قوافِلُهُ

وسالكي الدربِ، ما أعيا مُعبِّدُهُ

وحاضني العلمِ مِن ألفٍ، وما فَتِئَتْ

تجلو الظلامَ دَرارِيهِ وخُرَّدهُ

ويا مُغذيهِ بالفصحىٰ، وما بَرِحتْ

للآن (تُعجِمُهُ) الأخرىٰ، و(تُهنِدُهُ)

أنتم إذا الجِيلُ أظماهُ تَلَهّفُهُ

للنور، مَنهلُهُ الصافي ومَورِدُه

وأنـتـمُ، إنْ يَـضِـقْ ذَرعـاً بـخـابِـطـةٍ

مِـن الأمـور، قُـصـاراهُ ومَـقـصِـدُه

فَـحـاولـوا ـ ولـكـم مِـن يَـومِـنـا عِـبَـرٌ ـ

أنْ لا تَـشـذَّ مـع الأهـواءِ شُـرَّدهُ

وإنْ يـكـن قـد قـسـا شِـعـري فـمـعـذرةٌ

إذْ ربّـمـا ضـاقَ عـمّـا كـنـتُ أقـصِـدُهُ

عِشتُم بعصرٍ، مضى صَحواً بأعينِكم،

لم يَحتَجِزكم، على جَهلٍ، مُعقِّدُه

وجـيـلُـنـا عـاشَ عَـصـراً مـن سُـهـولـتِـه

أنْ يَـتـركَ الـمـاءَ، أو يَـصـفـو مُـبَـرِّدهُ

فـإنْ يـكـنْ لـكـمُ فـي الـجـيـلِ مـن أمَـلٍ

أنْ لا يَـتِـيـهَ، عـلـى قَـصـدٍ، تَـجـدُّدُه

فـاسـقـوهُ نُـورَ الـهـدىٰ فـيـمـا تَـعـوِّدَهُ

مِـن الـكـؤوسِ، وخَـلّـوا مـا يُـنـكِّـده

فـقـد رأيـنـا بَـيـاضَ الـصـبـحِ يَـألَـفُـهُ

طـرفُ الـسـلـيـمِ، ويَـعـشـىٰ فـيـه أرمَـدهُ

⊛ ⊛ ⊛

ويـا لِـداتِ طـريـقٍ كِـدتُ أحـسَـبُـهـا

إذْ صَـوَّحَ الـنـبـعُ، أقـسىٰ مـا سَـنَـفـقُـدُه

هَبّتْ على الوارِفِ المخضلّ عاصِفةٌ

هوجاءُ طالَ بِغاشِيها تَأوُّدهُ

وكادَ لولا جُذورٌ منه خَيِّرةٌ

أنْ لا يَقَرَّ بِعَصفِ الريحِ أيّدُهُ

(كليةُ الفقهِ) أنتم غَرسُها، وبكم

يَمتدُّ ظِلّ على الأجيال تَعقِدُه

مِيراثُكُم وقُصارىٰ ما يُؤمّلهُ

مُورّثٌ، أنْ تُزكّوا ما بَنَتْ يَدُه

مُدّوا بأعماركم عُمراً يُحرِّقهُ

لكم، فيُسرِجُ هذا الليلَ مُجهَدُهُ

وجَدِّدوا ما تناهىٰ مِن كُهولتِهِ

فأنتم عُمرُهُ الثاني ومَولِدُه

النجف: ١٩٦٤/٣/٢٩

ربيعُ المعاني

كان أستاذنا الشيخ علي ثامر من زملاء الشيخ المظفر ومن أبرز من عاونه في مشاريعه، وكان أستاذَ البلاغة في كلية منتدى النشر، والقصيدة وفاء لأستاذيته، وإشادةً به وبالشيخ المظفّر في مشاريعهما التجديدية لتطوير الجامعة الدينية في النجف الأشرف.

لِواءٌ مـن الـفـصـحـىٰ تَـعَـايَـا بـه الـنَـشْـرُ
وشَـدوٌ عـلـى أفـنـانِـهـا خَـانَـهُ الـشـعْـرُ
وفِـكـرٌ أبَـتْ أقـمـارُهُ وشُـمـوسُـهُ
أفُـولاً . . وإنْ أودىٰ بـمَـشـرِقِـهِ الـدهـر
ومَـنـبَـعُ خـيـرٍ غـاضَ حـتـى حَـسِـبـتُـهُ،
لِـفـرطِ رَجاءٍ، لـم يَـغِـضْ نَـبـعُـهُ الـثَـرُّ
تُـبـادِ هُـنـا الـذكـرىٰ لـتـزعَـمَ أنـهُ
ذوىٰ مِن عُلاكَ الوارِفُ الخَضِلُ النَضْرُ
ويُـعـجِـزَهـا أنْ تُـقـنِـعَ الـقـلـبَ بـالـذي
أرادتْ، ربـيـعٌ مـن سَـجـايـاكَ مَـخـضَـرُّ
أبـا حـسـنٍ إنْ أُطـفِـئـتْ مـنـكَ بَـسـمـةٌ
واجـفَـلَ عـن لُـقـيـا أحـبّـتِـكَ الـبِـشـر
فـمـا رِيـعَ نُـبْـلٌ قـد تـركـتَ عـلـى الـلُّـهىٰ
ولا اُرفَـضَّ عـن أردانِ سـامِـرِكَ الـطُّـهـر

ومـا مـاتَ قـلـبٌ فـي رُؤىٰ كـلِّ خـافـقٍ

تـمـرُّ، فـتُـحـيـيـه، خـواطِـرُكَ الـغُـرّ

وحَـسـبُ الـربـيـعِ الـمَـيْـتِ أنّ حُـقـولَـهُ

تَـعـيـشُ عـلـى ذكـراه أحـلامُـهـا الـخُـضْـرُ

⊛ ⊛ ⊛

ربيعَ (الـمَـعـاني) اسْـتَـبْـطَـأَتْـكَ غِـراسُـهـا

وحَـنّـتْ إلـى جَـدواكَ (أوراقُـهـا الـصُّـفْـر)

وربَّ (الـبـديـعِ) أهـتـاجَ مِـن طُـولِ شَـوقـهِ

إليكَ (البَيانُ) العَذبُ (والمنطقُ) السِحر

إذا أنـكَـرتْ فـيـنـا (الـبَـلاغـةُ) شـوطَـهـا

فـأنـتَ (أبـو عُـثـمانِـهـا)[1] الـفـارسِ الـحُـرّ

تُـطـارِحُـهـا حُـلـوَ الـحـديـثِ ومُـرَّه

فَـيَـعـذُبُ فـي أسـمـاعِـهـا الـحُـلْـوُ والـمُـرُّ

كـأنَّـكَ إذْ تـجـلـو غُـمـوضَ (مُـتـونِـهـا)

لـدىٰ غَـسَـقِ الأفـهـامِ، مـن لـيـلـهـا فـجـر

ويا (ابنَ الأثيرِ)[2] اسْتَنْجَدتْ من وِثاقِها

بِـكَ الـلَّـفـتَـةُ الـعَـذراءُ، والـنُّـكْـتَـةُ الـبِـكْـر

(١) أبو عثمان الجاحظ صاحب (البيان والتبين).

(٢) ضياء الدين ابن الأثير صاحب (المثل السائر).

فأطلقتها مَجلُوَّةً مِن غِمارِها
يَكادُ، لفَرطِ السِحرِ، يُنكِرُها الشِعر
تَنقَّدتَ أبكارَ المعاني بِردِّها
إلى مِثلِها.. والدُرُّ يَبهَرُه الدُرّ
وكم من (يَتيمٍ) ضاعَ بين لِداته
كأنكَ، إذ تَحنو عليه، الأبُ البَرُّ

⊛ ⊛ ⊛

أبا أحمدٍ لم تَنطفِئ جَذوةُ الأسىٰ
ولم يَتجرَّع مُرَّ أقداحِهِ الصَبرُ
وكيف احتمالُ الصحبِ أنكَ هامِدٌ
وما زال مَشدوداً لآنافِها العِطر
خِلالُكَ بين السامِرينَ تَعِلَّةٌ
وذِكرُكَ في إضمامَةِ (المُنتدىٰ نَشر)[1]
وجيلٌ تَحرَّقتُمْ على خُطُواتِه
مَشاعِلَ يُستجلىٰ بها دَربُه الوَعر
ستُرغِمُ زَهوَ الجَدبِ أغراسُ رُوحِهِ
وتُوهِي شُموخَ الليلِ أنجمُهُ الزُهر

(١) (منتدى النشر) هي الجمعية التي أسست كلية منتدى النشر ثم (كلية الفقه) في النجف الأشرف.

وما بَرِحتْ تَحدو رِكابَ طُموحِهِ

طَلائِعُ من رُوحِ (الرِضا)[1] عندها ذُخْر

إذا ارْتَجَّ سَيلُ اليأسِ حولَ قُلوبِها

طَفا مِنه في أثباجِها[2] للمُنى جِسرُ

وإنْ زاحَمَتْها الحادثاتُ تَناهَدَتْ

عَزائِمهُ مَوفورةً، وانتخىٰ الفِكر

له اللّهُ مِن عُمْرٍ مَضىٰ وهو ذابِلٌ

ليُورِقَ من جِيلٍ تعاهَدَه عُمْر

أبٌ لم يَلِد أبناءَه، غير أنّه

نَماهم إلى دُنياه نائِلُهُ الغَمْر

وكلُّ أبٍ لم يَحتَضِنْكَ وَفاؤهُ

ويُنْمِكَ عَقلاً.. فالذي وَلَدَ العُقْر

❁ ❁ ❁

لِداتِ السُرىٰ لا أزعجتْكم مَفازَةٌ

ولا تَعِبتْ في شوطِها الضُمَّرُ الشُقر

نَهدتُم إلى المَرمىٰ، وأقدامُكم لَظىً

وعُدتم، وفي أطرافِها يُورِقُ الجمْرُ

---

(١) الرضا هو الشيخ محمد رضا المظفر مؤسس منتدى النشر وكلية الفقة.

(٢) الأثباج: جمع ثبج وهو وسط البحر أو معظمه.

وَهَتْ ذكرياتُ الدربِ وانكمشتْ علىٰ
طَويّتِها أنيابُ أحقادِهِ الحُمْرُ
وبَاخَ إلتماعُ السُخرِ فارتدّتِ اللُهىٰ
على يابِسٍ من نَقدِها المُرّ تَجتَرُّ
وأنتم على مَتنٍ من النور سَابحٍ
ذَوىٰ عن مَداهُ النقدُ وانكمشَ السُخْرُ
وخلفكمُ سِربٌ من النَشءِ صاعِدٌ
أوائلُهُ نجمٌ.. وآخِرُهُ زَهْر
وخَلفَ الوَضِيءِ المُرتجىٰ من طِماحِهِ
مَخائِلُ فجرٍ بالسنىٰ الغَمْرِ يَفْتَرُّ
إذا فاتَكمْ ألاّ تَقرّ عيونُكمْ
بلألائهِ قَرّ الثرىٰ وانتشىٰ القَبرُ
هَنيئاً لموفور الجناحَيْنِ أفْقُهُ
ورَعياً لمُخضلّ الرُبىٰ ذلك القَطر
ولا بَرِحَتْ منهوكةً، تَعلِكُ الوَنىٰ
دَخائِلُ، أقصىٰ حِذْقِها النَظَرُ الشَزْر
النجف: ١٩٦٤/١١/٣٠

على جثمان الشبيبي:

مجد الثمانين

أنشدت هذه القصيدة على جثمان فقيد العراق الشيخ محمد رضا الشبيبي.

الآنَ إذْ هبَّ عزمٌ وانتخَتْ هِمَمُ

يُطوىٰ بكفّ الرعيلِ الغاضِبِ العَلَمُ

الآن إذْ صوتُكَ الهادي يُجمِّعُها

على الطريق مُنىً، شتّىٰ، فتلتئِمُ

كانتْ فصائلَ يحدوها تَفرُّقُها

ويَستبِدُ بها خِذلانُها النَهِمُ

حتى طَلعتَ طُلوعَ الفجر فانكشفتْ

بكَ الدروبُ، وذابَتْ دونك الظُلَمُ

الآنَ إذْ أمسكوا حَبْلَ الرجاءِ وَهَتْ

كفُّ الدليلِ، وأعيَتْ حَمْلَه القَدَمُ

وصَوَّحَ الحقلُ، لا زَهرٌ ولا ثَمرٌ

وأَوْحَشَ الليلُ، لا نجوىٰ ولا نَغَمُ

❀ ❀ ❀

يا حامِلَ الرايةِ الكبرىٰ أفِقْ فلقد
غَصَّ الحُداةُ، وكَذَّبْ ما به زَعَموا

أأنتَ هذا المُسجّىٰ بين أعينِهم؟
أمْ أنّه من خَيالاتِ الأسىٰ حُلُمُ؟!

أأنتَ مجدُ الثمانينَ التي لَبِسوا
بها الشَبابَ، وما شاخَتْ لها هِمَمُ؟

وأنتَ ثوبُ الضحىٰ مارَثَّ رائعُهُ
يوماً، ولا عَلَقتْ في ذيلِهِ البُهَمُ

هيهاتَ، لستَ الذي نَطوي، فإنَّ رُؤىً
مهزوزةً أنْ تضُمّ الأمّةَ الرُجُم

أنتَ العراقُ، وأنتَ الشعبُ أجمعُهُ
وأنتَ (نحن) ـ على البلوىٰ ـ وأنتَ (هُمُ)

وأنت في ثورةِ (العشرينَ) مِثلُكَ في
(تمّوزَ)، ما اختلفتْ في شوطِكَ القِيَم

وأنتَ ـ لو أنصفوا ـ الحُكمُ الذي لَبِسوا
وأنتَ ـ لو عَقِلوا ـ الخيرُ الذي طَعِموا

وأنتَ، لو كَتَبَ التاريخُ مِحنَتَهُ
تَحرُّقُ الشعبِ حولَ الغدرِ يَحتَدِم

❀ ❀ ❀

إيهاً - أبا أسعدٍ - والليلُ بعدكَ ما
زالتْ دخائِلُهُ تقسو وتَنتقِم
تحيةٌ لدموع الشعبِ، فَجْرها
عليك، في عُرسِهِ، التقريعُ والنَدَم
أيَحمِلُ الخسفَ مَنْ لولاه ما ارتفعتْ
هذي الصروحُ، ولم يخفِقْ بها عَلَمُ؟!
ويَحمِلُ السَوطَ مَنْ لولاه ما انتكستْ
هذي الأماني، ولا التاثَتْ بنا قَدَم؟!
نحنُ الذين طَعِمنا حتفَها، وسقى
خَضيلَ كرُسيِّهم - مما نُريق - دَمُ
حتى إذا الغيثُ وَافَانا بِصَيِّبِهِ
تملأتْ حُفَرٌ، إذْ صوّحتْ قِمَم!!
وراح للخير يَطويهِ ويَقضِمُهُ
مَنْ لو تمكّنَ جاعتْ، دونَه، الأمَمُ
والحمدُ للّهِ إذ عُدْنا، وفي يَدِنا
هذا الجهادُ، فسائِلْ: ما الذي غَنِموا؟!
١٩٦٥/١١/٢٧

في العيد

أهلاً بجمرِكَ يا عذابُ ومَرحباً بكَ يا بُعادُ
وتحيّتي لكِ يا دموعُ وفرحتي بكَ يا سُهادُ
أهلاً ضيوفَ القلبِ، هذا الخافقُ الواهي جَوَادُ
فَرَشَ الوَثِيرَ من الشَغافِ[1] لكم، وَوَقْدُ الروحِ زادُ

⊛ ⊛ ⊛

أهلاً بجمرِكِ لم أزلْ أقتاتُهُ أَلَقاً.. ونارا
وأعُبُّ ليلَ دُخانِهِ فأُحيلُهُ بدمي نهارا
وأُضيءُ فيه ظلامَ نفسي حين (أغتبِقُ)[2] الشَرارا
فأرى به ألقَ (الصَبوحِ) يذيب في رأسي الخُمارا[3]

⊛ ⊛ ⊛

---

(١) الشغاف: غلاف القلب.
(٢) الأغتباق: شرب الخمر ليلاً، والصبوح ما يشرب منها صباحاً.
(٣) الخُمار: أثر الخمر، ما تتركه من صداع.

العيدُ أقبلَ يا حبيبةُ فرحةً في كلّ صدرِ
وتَوهُجاً بين الخدودِ يَفِرُ من ثغرٍ لثغرِ
وفَمَاً يُقبّلُ، وهو من سُكرِ الصبابةِ، ليس يدري
إلاّ أنا، شَفَتايَ (صومُهما) عليكِ بغيرِ (فِطْرِ)

❀ ❀ ❀

وَتَري الذي شَدَّتهُ كَفُّكِ لم يَجِدْ عُوداً يَرِنُّ
إلاّ حُطامَ قَياثِرٍ لِلَّمْسَةِ النَشوىٰ تئِنُّ
فبكىٰ وألجَمَ حِسَّهُ وذَوىٰ على شَفَتَيهِ فَنُّ
لكنَّ طيفَكِ عادَهُ فجرىٰ يُعربِدُ فيه لَحنُ

❀ ❀ ❀

العيدُ أقبَلَ تُسعِدُ الأطفالَ ما حَمَلَتْ يَداهُ:
لُعَباً.. وأثواباً.. وأنغاماً تضِجُّ بها الشِفاهُ
وفَتاكِ يَبْحَثُ بين أسرابِ الطفولةِ عن (نَداهُ)
فيعودُ في أهدابِهِ دمعٌ، وفي شَفتَيْه (آهُ)

❀ ❀ ❀

العيدُ أَقبَلَ إذْ رسالتُكِ الحبيبةُ في يَديّا
تشكو إليّ سُطورُها وحروفُها تَدْمَىٰ عَليّا
ولَمَسْتُ من وَهَجِ الفَوَاصِلِ شوقَ فاتنتي إليّا
حتى قَرأتُ وَراءَ (لآءاتٍ) كَتَبتِ إلَيّ: (هَيّا)

١٩٦٦/١/٢٥

بقية الورد

عُودي فقد مَلَّ الدُّجى سُهدي

واختَلَجَ المِصباحُ من وَجْدي

الليلُ لا يَفهَمُ ما أشتكي

والصبحُ لا يَسمَعُ ما أبدي

والبيتُ يكتظُّ بسُكّانِهِ

لكنّني أسكنُهُ وَحدي

وجَنّةُ الذكرى ـ على خِصبِها ـ

لم تُروِني.. لم تُطفِ من وَقْدي

(دولابُكِ) العُودِيُّ كم جِئتُهُ

أمسَحُ في مرآتِهِ خَدّي

لعلّها تَحفَظُ في سِرِّها

بَقيّةً من ذلكَ الوَردِ

١٢/١٠/١٩٦٦

عَذاب ...

أنـا هـهُـنـا أَلْـهـو بـجـمـرِ كـآبـتـي وأَعُـبُّ حُـزنـي
سـكـرانَ مِـن أَلَـمٍ، تَـفـايَـضَ بـالـعـذابِ الـمُـرِّ دَنِّـي
الـلـيـلُ فـي أجـفـانِ غـيـري حـالِـمُ الـنـجـوىٰ يُـغـنّـي
وأنـا أظَـلُّ الـعُـمـرَ أبـنـي الـحُـلـمَ فـي أعـشـاشِ جَـفْـنـي
فـإذا سـهـا قـلـبـي.. خَـفَـقْـتُ فـفـرَّتِ الأحـلامُ مِـنّـي

۞ ۞ ۞

أنـا هـهُـنـا لـم أَجْـنِ مـن حُـلْـمـي سـوى تَـعَـبٍ وجَـهْـدِ
أسـوانُ، لـم تَـحـمِـلْ سـوى (سِـيـجـارَتـي)، نـاري وحِـقْـدي
قـد كـان لـي (صَـدرٌ)، أعـزُّ مـن الـنـسـيـمِ الـعَـذْبِ عـنـدي
رَحْـبٌ أريـحُ عـلـيـه أتـعـابـي.. وآلامـي.. ووَجْـدي
لـكـنّـه، إذْ ضـاقَ بـي، حُـمِّـلْـتُ هـذا الـهـمَّ وحـدي

۞ ۞ ۞

عـشـريـنَ عـامـاً كـنـتُ أحـلُـمُ أنْ أرىٰ الـدنـيـا بِـبـابـي

خَجلى.. تَعثَّرُ بالذُنوبِ إليّ.. صاغِرةَ الرِقاب
فأروحُ أقتصُّ الذي ضَيَّعتُ فيها مِن شَبابي
حتى إذا قَرَّبتُ من شَفَتيَّ كأسَكِ يا عَذابي
أَحسَستُ أنَّ العاطِشَ الهَيمانَ يَكْرَعُ في سَراب!!

❀ ❀ ❀

عشرينَ، يا دُنيايَ، أَحلُمُ أنْ أعِيشَ بِبَيْتِ شِعرِ
بيتٍ أُزَيِّنُهُ بألحاني وأُسرِجُهُ بفِكْري
وتُظِلُّني فيه كَرامةُ حاجتي وشُموخُ فَقْري
إنْ جاعَ أُطعِمُهُ هوايَ وإنْ شكا أَسقِيهِ صبري
وإذا شَتَا أوقَدتُ فيه صَبَابتي، وفَرشْتُ جَمري

❀ ❀ ❀

حتى إذا أوشَكْتُ أنْ أَلِجَ الحياةَ بكلِّ حِسّي
وأُضيءَ في البيتِ السعيدِ تَعاسَتي، وظلامَ نفسي
فُوجِئْتُ أنَّ عُيونَ فاتِنَتي الحبيبَةِ مِن (دِمَقْس)
تَعشى أمامَ حَريرِ أخلاقي وتُبصِرُ (جُوتَ)[1] بُؤسي
وتَرىٰ بأغصاني القَتَادَ ولا تَرىٰ آسِي وَوَرْسي
١٩٦٧/١٠/٢١

(١) الجوت: ألياف هندية تصنع منها الحبال والأكياس.

حارس اللغة

في أربعين العلاّمة الدكتور مصطفى جواد، الأستاذ بكلية الآداب والعالم اللغوي المعروف، وفي القصيدة رأي الشاعر بموجة الاغتراب التي ركبها الجيل العراقي الجديد سواء في الأدب أم في السياسة.

ضَاحِ عـلـىٰ وَهَـجِ الـحـروفِ تَـوقُّـدا

هـيـهـاتَ يُطـفِـىءُ لَـمْـحَ عـيـنـيـهِ الـردىٰ

ومُـحـطِّـمٌ سُـدفَ الـخـلـودِ بِـرُوحِـهِ

حـاشـاه أنْ يَـلـقـىٰ رِتـاجـاً مُـوصَـدا

يـا راكـبَ الـسـبـعـيـنَ، لـم يَـشْـكُ الـوَنـىٰ

شـوطٌ يُـغِـذُّ بـه عـلـى سَـعَـةِ الـمَـدىٰ

سبعينَ.. ما خَشِيَتْ حُروفُكَ مَسْلَكاً

وَعـراً.. ولا لَـيـلاً عـلـيـهـا أسـودا

تَتَلمَّسُ الحَسَكَ اليَبيسَ من النُهىٰ

فـتُـحِـيـلُـهُ تَـرِفَ الـخَـيـالِ مُـورَّدا

وتَـذوبُ فـي الـصَّـلْـدِ الـمُـعـانِـدِ رِقَّـةً

وتَـهُـبُّ فـي الـنـبـعِ الـذلـيـلِ تَـمـرُّدا

حـتـى إذا أجَّـجـتَ قـلـبَـكَ لـلـسـرىٰ

هَـديـاً، ولـلـسَـمَـرِ الـمُـعـطَّـرِ مَـوعِـدا

نَضَبَتْ زُجاجَتُهُ، ولكنَّ السنى
ما زالَ أَحفَلَ بالعُيونِ وأحشَدا
والفِكرُ تِربُ الشمسِ.. يَغرُبُ وهْجُهُ
حِيناً، فتُطلِعُهُ المَواهِبُ فرقدا

⊛ ⊛ ⊛

يا حارسَ اللُغةِ التي كادَتْ على
صَدَإِ اللُهى أنْ لا يَرِنَّ لها صَدىٰ
هَبَّتْ عليها الحادثاتُ فلم تَدع
غُصناً بعاصفِ حِقدِها مُتَأوِّدا
وتَناهَبَتْ غَرثى اللُغاتِ طَعامَها
في حين تُطعِمُها الضَريعَ الأنكدا
حتى لكادَتْ، وهيَ تَمضَغُ مُرَّهُ
أنْ (تُعجِمَ) الكَلِمَ الفصيحَ و(تُهنِدا)
ومَشَتْ على الخَضِلِ الوَرِيقِ بشَدقِها
قَضماً.. فألقَتْهُ يَبِيساً أجردا
فغدا بها اللفظُ الغَنِيُّ بِجرسِهِ
صَخِباً، على رَهَفِ المسامعِ، مُرعِدا
حتى إذا كادَتْ لِقِلَّةِ خِبْرَةٍ
تُلفِي (الدَخيلَ) على بَنِيها سَيِّدا

نَـفَـضَ الـطـريـقُ غُـبـارَه عـن فـارسٍ
تَـيْـهُ الـقُـرونِ عـلـى مَـلامِـحِـهِ هُـدىٰ

عَـرَبِـيُّ طَـبْـعٍ لا يُـتَـعـتِـعُ نُـطـقَـهُ
حَـصَـرٌ عـلـى الـنَّـبْـتِ الـغـريـبِ تَـعوَّدا

فـأقـامَ مِـحـنَـتَـهـا عـلـى حـيـثُ الـتَّـقـىٰ
بـيـديـهِ صَـحـوُ الأمـسِ يُـبـلِـغُـهـا الـغـدا

⊛ ⊛ ⊛

أشـكـو إلـيـكَ ـ أبـا جَـوَادٍ ـ أنّـنـا
فـي الـركـبِ جـيـلٌ ضـاعَ مـاضِـيـهِ سُـدى

ويُـمِـرُّ فـي فَـمِـيَ الـشَّـكـاوَىٰ أنْ أرىٰ
وُرّادَ نـبـعِـكَ[1] فـيـه أكـثـرَنـا صَـدىٰ

جـيـلٌ بَـنَـيْـتَ عُـقـولَـه، فَـجَـلَـوْتَـهـا
صَـرحـاً مِـن الـفِـكَـرِ الـوِضـاحِ مُـمـرَّدا

ووَقَـيْـتَـه عَـثَـراتِ دَربٍ، لـم يـكـنْ
ـ لـولا الـذي أرخَـصـتَ فـيـه ـ مُـعـبَّـدا

يَـنـسـىٰ عـلـى وَضَـحِ الـطـريـقِ وهَـدْيِـهِ
أنَّ الـذي قَـرَّبْـتَ مـنـه بَـعُـدا

(١) المقصود بهم: طلاّب الآداب.

لُغةٌ كماءِ المُزنِ، يَشرَبُها الثرى

يَبَساً، فيُطلِعُها وَريفاً أمْلَدا

غَصَّت بها لَهوَاتُ جيلٍ مُترَفٍ

ما اعتادَ غيرَ شَذىٰ المعاصِرِ مَورِدا

مُتَمزِّقٍ في الشوطِ يَجهَلُ نَفسَهُ

ويَظَلُّ يَجهَل ما أضاعَ وبَدَّدا

أعطىٰ لأُمَّتِهِ العُروقَ، وسَحنَةً

سَمراءَ، لَوَّحها السَمومُ وخَدَّدا

وأعارَ للأخرى اللسانَ.. وربّما

أعطىٰ لغيرِهما الضميرَ، أو اليَدا

❀ ❀ ❀

جِيلَ التَمزُّقِ والضَياعِ أَقاصِدٌ

ما أنتَ راكِبُهُ.. أمِ الحادي حَدا؟!

أوَراءَ هذا الشوطِ، تُلهِبُ ظَهْرَهُ

هَدَفٌ يُريدُكَ مَجدُهُ أن تَجهَدا

أم أنَّكَ استَمرأتَ مُرَّ لُغويهِ

فَطَعِمْتَهُ مِلحاً.. وشِدتَ به نَدىٰ!!

في كلّ يومٍ من (جَديدِكَ) صُورةٌ

شَوهاءُ، زَوَّقَها الغُرورُ ووَرَّدا

أعطيتها (لَقَباً) وقُلتَ لناظرٍ

مُتحيِّرٍ فيها: تَجاوَزَكَ المَدىٰ!!

أَحسِبتَ أنْ (رَطانَةً) تلهو بها

أدَبٌ يُعِدُّكَ أن تكونَ مُجدِّدا

وتَظُنُّ أنْ رُؤىً غِلاظاً حولَها

تَحمي غُرورَكَ أنْ يَظَلَّ مُقلِّدا

مَهلاً.. فلستَ ببالغٍ قِمَمَ المُنىٰ

وَيَداكَ من شَمْعٍ وريشُكَ من مُدىٰ

جَدِّد - إذا اسْطَعتَ الجديدَ - بفكرةٍ

تَبنِيكَ رَخْواً، أو تُقِيمُكَ مُقْعَدا

واكتُبْ جَديدَكَ في قَشِيبٍ ناعِمٍ

من نَسجِ قومِكَ تَلْقَهم لك سُجّدا

فالنهرُ لا يُعطِي النَماءَ لنخلةٍ

حَسِبتْ كَرَملَةِ شاطِئيهِ الجَلمدا

۞ ۞ ۞

جِيلَ التَمزُّقِ هل بروحِكَ جَذوةٌ

تُنبِيكَ أنَّ رَعيلَ قومِكَ صَعَّدا

وبأنّهم خاضُوا اللّهيبَ على ضُحىً

بادٍ، يَشُدُّكَ جمرُهُ أنْ تُوقِدا

فَبَقِيتَ في حَلَكٍ، تَخُوضُ جَليدَهُ
لِتَذوقَ أيَّ غَرارَتَيْهِ أبْرَدا!!
حَطِّمْ كُؤوساً ليس فيها نَشوةٌ
مِن كَرمِ قَومِكَ تَستَبِيكَ مُعرِبِدا
فاليومُ يومُ الوَاهِبينَ.. خُمارُهم
عَلَقٌ.. وأكؤسُ راحِهم حَدَقُ العِدا
يومُ الفِداءِ الضَخمِ ساوَىٰ لَيْلَه
بضُحاهُ فَجرُ دمٍ عليه تَوقّدا
نَضِرُ الدماءِ، إذا دَعَتْهُ نَخوَةٌ
فَاضَتْ، فنَضَّرتِ الصَعِيدَ الأجردا
وزَهَتْ على الرَبَواتِ حَقْلَ سنابِلٍ
يَفترُّ أحداقاً، ويُزهِرُ أكبُدا
ولسوفَ يَدخُلُ كلَّ بيتٍ خِصبُها
نَصراً، يَرِفُّ على الجِباهِ، وسُؤدَدا
فالمجدُ لا تَرقاهُ ما لم تَتَّخِذْ
مِمّا تَهدَّمَ مِن شَبابِكَ مِصعَدا

❀ ❀ ❀

يومَ الفِداءِ الضَخمِ، حَسْبُكَ مِنعةً
أنّ الرجاءَ على يديكَ تَنهّدا
تاهَتْ بهِ ظُلَمُ السنينِ، فما رأىٰ
إلاّ على آثارِ خَطوِكَ مُرشِدا

حَمَلتْ به عِشرينَ عاماً عاقِرٌ

نَكْراءُ، ما عَرفَتْ بيومٍ مَوْلِدا

تَتحيَّنُ الفُرَصَ السِمانَ فتَنْتَقي

لجَنِينها في كلِّ شَهرٍ مَوعِدا

حتى إذا مَخِضَتْ رأينا سِقْطَها

وَرَماً يَعِيثُ بها، وخُبْثاً أسودا

وطَلَعتَ أنتَ، وفي يَميْنِكَ حُرَّةٌ

صَيْداءُ، ما وَهَبَتْكَ إلاّ أصيَدا

فَشَدَدتَ أعيُنَنا لأسمرَ فارعٍ

كالرُمحِ، من دَرِّ الكفاحِ تَزوَّدا

يَتجاوَزُ المَرمىٰ البعيدَ بشوطِهِ

لِتَدُكَّ هامَتُهُ القَصِيَّ الأبعَدا

ويُذيبُ في دمِهِ صُخورَ بلادِهِ

ودُروبَها، وصَلِيبَها، والمَسجِدا

ومَشاتِلَ الزيتونِ، تَطفَحُ بالجَنىٰ

وسنابِلَ الأغوارِ، تَبرُقُ بالندىٰ

لتَظَلَّ صارِخةً بهِنَّ دِماؤهُ:

هيهاتَ يا وَطَني بأنْ تَتَهوّدا

بغداد: ٢٥/٣/١٩٧٠

شاعر المعاني

ألقيت في الحفل التأبيني الذي أقامته وزارة الثقافة والفنون للمرحوم الشاعر أحمد الصافي النجفي في قاعة ابن النديم ببغداد ١٢ شباط سنة ١٩٧٨ وأعيدت قراءتها في المربد الرابع بنفس المكان ١٥ ـ ٢٠ شباط سنة ١٩٧٨.

كيفَ يَرقىٰ إلى رِثاهُ البيانُ

وعلى شِعرِه يَعيشُ الزمانُ

لم يَمُتْ شاعرُ المعاني، ولكنْ

هَوَّمتْ في ضُلوعِهِ الألحان

نَسِيَ القلبُ خَفْقَهُ، فَسَرىٰ في

كلِّ بَيتٍ من نَبضِهِ خَفَقانُ

وجَرىٰ في عُروقِ أحرفِهِ السُمرِ

دمٌ، أخضرُ الرؤىٰ، فَبيانُ

يَتهادىٰ بين الشُطورِ، فلِلحُـ

ـبِّ غِراسٌ، ولِلنُهىٰ أفنانُ

ولِمَرضىٰ القلوبِ طِبٌّ، ولِلْيأ

سِ رَجاءٌ، ولِليتيمِ حَنانُ

ولِكوخِ الفَلاّحِ، يَضرىٰ به الجَد

بُ، مُروجٌ خُضرٌ، وبَهْمٌ حِسان

أريحيٌّ يَذوبُ في حَدَقِ الأعمى
فيُنسيهِ أنّه أسيان
ويُغنّي الأصمَّ لَحناً من الشَّجـ
ـوِ، فيَصحو، وكُلُّه آذان
وإذا أظلمَتِ الشُكوكُ على سَا
رٍ، تَجلّى بليلها الإيمان
إنّما الشِعرُ، والنُبوّاتُ، أخلا
فٌ من الغَيبِ، دَرُّها صِنوان

❀ ❀ ❀

لم يَمُتْ شاعرُ المعاني، وفي كلِّ
مَهَبٍّ مِن رُوحِهِ دِيوانُ:
في لسانِ (الشَلّالِ) منها هَديرٌ
وبقلبِ (الأمواجِ) منها جُمان
ولها في سَنابِلِ (السِجنِ) قَمْحٌ
لم تَذُقْهُ (الأغوارُ) والشطآن
وإذا عَربدَتْ بكأسِ (أبرويزَ)[1]
فخَيّامُهُ بها النَشوانُ
صُورٌ تُذهِلُ القلوبَ، وفِكرٌ
نَسِيَتْ نفسَها به الأذهانُ

---

(١) كسرى أبرويز أحد ملوك الفرس، وقد تردد اسمه كثيراً في شعر الخيام.

غُـرتَ فـيـهـا مـع الـشُّـداةِ، ولـكـنْ
شَهَقَتْ فيكَ وهيَ بِكْرٌ حَصَانُ[1]
وإذا قِـيـلَ: إنَّ لـفـظَـكَ ثَـوبٌ
خَـلَـقٌ، بـاهِـتٌ بـه الألـوان
لـم تُـمازِجْ بـه الـمـعـانـي، فـجاءتْ
فـي ثَـنـايـا جُـيـوبِـهِ الأردان
قـلـتَ: ثـوبُ الـمُـدامِ طِـينٌ، ويـجـلـو
جـائِـمَ الـهَـمِّ رُوحُـهـا، لا الـدِّنـان

⊛ ⊛ ⊛

شـاعِـرَ الـعُـربِ.. هـلْ تَـذكُرُ إذْ جِئْـ
ـنـا، ولُـبـنـانُ حـولَـنـا مِـهـرجـان
الـسـمـاءُ الـزرقـاءُ تَـدنـو، ومَـوجُ الـ
ـبـحـرِ يَـعـلـو، وبَـيـنـهـنَّ الـجِـنـان
واخْـضِـرارُ الـجـبـالِ سـالَ عـلـى الـسَّفْـ
ـحِ، فَـهَـبَّـتْ تَـلـمُّـهُ الـشـطـآن
وَعَـكَـفْـنـا عـلـيـكَ عُـبَّـادَ شِـعـرٍ،
الـقـوافـي صَـلاتُـهـم والأذَان
ثم أطرقتَ: هل نَسِيتَ؟
هل اسْتعبرتَ..؟
هـل ضـاقَ بـالـنَّـشـيـدِ الـلـسـان؟!

---

(١) يعتقد الكثيرون بان ترجمة الصافي لرباعيات الخيام كانت أجود تلك الترجمات.

وبِهَمْسٍ سَألتَ: كيف تَرىٰ الدُنـ
يـا إذا لـم يـكـنْ بـهـا لُـبـنـان؟!
كـيـفَ بـي لـو رأيـتُ جَـنّـةَ عَـدنٍ
يـتـولّـىٰ خَـرابَـهـا (رِضـوانُ)؟
لـو رأيـتُ الـمَـلاكَ يَـطـعَـنُ بـالـرمـ
ـحِ أخـاهُ، لِـيَـفـرَحَ الـشـيـطـان!!
وصَـدَقـتَ الـرُؤيـا.. فـهـا هـيَ جَـنّـا
تُـكَ ـ مِـن أجـلِ حـاقـدٍ ـ نِـيـران
الـمُـروجُ الـخـضـراءُ شَـابَـتْ، وأزهـا
رُ الـبـسـاتـيـنِ عِـطـرُهُـنَّ الـدُّخـان

❀ ❀ ❀

شـاعـرَ الـعُـربِ واسْـتـمـرّتْ بـنـا الـحـا
لُ: حَـديـثٌ صُـلْـبٌ.. وفـعـلٌ جَـبـان
ومِـراسٌ عـلـى الـخُـنـوعِ، وعُـقـبـىٰ الـ
ـحِـلْـمِ ـ لـم تُـمْـلِـهِ يَـداكَ ـ الـهَـوَانُ
فـاتّـكـأنـا عـلـى الـسـيـوفِ، وقـد عـا
ضَـتْ شَـبَـاهـا، عـن الـنَـجـيـعِ، الـدِهـانُ
واَجـتَـوتْ طَـعْـنَـهـا الـرمـاحُ، فـراحَـتْ
تَـتـثـنّـىٰ كـأنّـهـا الأغـصـان

والـخُـيـولُ الـعِـرابُ تَـجـري ولا تَـد
ري: أَأُسْـدٌ بـظَـهْـرِهـا أم قِـيـان
ولـكَ الـحـمـدُ يـا أخـا (الـرحـلـةِ الـعـا
رِ) فـقـد مَـلَّـتِ الـوغـى الـفِـتـيـانُ!!
بـعـد خـمـسـيـنَ مُـثْـقَـلاتِ الـلـيـالـي
بـدمـاءٍ تَـجـري.. وعِـرضٍ يُـهـانُ
قـد عَـرَفْـنـا ـ والـحـمـدُ لـلَّـهِ ـ أنّ الـ
حـربَ عـارٌ.. وأنّـنـا جِـيـرانُ!!
واكْـتَـشَـفْـنـا: أنّ (الـكِـنـيـسِـتَ) مـأوَا
نـا الـمُـرجّـى.. وعِـيـدَنـا (الـغُـفـران)!
وبـأنّ الأقـصـى الـمـبـارَكَ (مَـبـكـى الـ
ـغَـربِ).. والـدهـرُ شـأنُـهُ الـدَّوَران!
وعَـزاءُ لأمّـةٍ بـاعَـهـا الأَغْـ
لَوْنَ جاهاً.. وضَيَّعوها.. وخانوا..
١٩٧٨/٢/١٢

قطيع الأحزان

أنشدت هذه القصيدة في أربعين العمّ السيد عباس جمال الدين في البصرة، وكان فقدُهُ بعد فقد الشاعر أباه وأمّه. فكان هذا القطيع من أحزانه.

دَعْني وأحزاني، وهاتِ الأدمعا

سِيّانِ: أنْ أدَعَ الأسى، أو أجْزَعا

نَشِبَتْ سِهامُ النائِباتِ بِمَنْ إذا

نَشِبَتْ بنا، لُذْنا فكانَ المَفْزَعا

وإذا رَمَتْ قلباً تَحشَّدَ قلبُهُ

لِيكونَ سابِغَ دِرعِهِ، والأضلُعا

وإذا تَراكَمَ في فُؤادٍ هَمُّهُ

نَسَمَتْ شَمائِلُهُ به، فتَقَشّعا

صَلْتُ الجبينِ، إذا تَلألأ وَجهُهُ

وضميرُهُ، لم تَدرِ أيّاً أنصَعا

يَسخو على جُوعِ النفوسِ بروحِهِ

فيَظَلُّ يَسكُبُها إلى أنْ يُشبِعا

ويَذوبُ في مُهَجِ الخريفِ رُواؤهُ

فيُحيلُها المُصطافَ والمُتَربَّعا

دُنياً تَقاسَمْنا غَضارَةَ عَيشِها

زَمَناً، وعِشناها رَبيعاً مُمْرِعا

أَعززْ عَليَّ بأنْ أرىٰ أفنانَها

صَرعىٰ، وأسرابَ الحمائمِ وُقَّعا

⊛ ⊛ ⊛

دَعْني وأحزاني أُرَبِّ قَطيعَها

برَفيفِ وَجْدٍ في الجوانحِ أيْنَعا

وأُغذّها بلهيفِ رُزءٍ لم يَزلْ

مِن كلِّ أرزائي أحرَّ وأوجعا

حتى إذا أسْمَنتُهنّ على طَوىً

ورأيتُ نَشأَ الحُزنِ كيف تَرَعرَعا

أسْكَنتُهنّ سرائري، وكَسَوتُهنْـ

ـنَ خواطري، ومَنحتُهنّ المَدمَعا

ورَجَوْتُ أنْ ألقىٰ بِهنّ فجائعي

لا خائِفاً منها ولا مُتَصَدِّعا

وعلىٰ مَ أَجبُنُ عن لِقاءِ مصائبٍ

تأتي، وفيكَ فَقَدتُ أهلي أجمعا

ولَقِيتُ يَومَ أبي، ويومَ أحبّتي

وشَتِيتَ أيامٍ حَمَلناها مَعا

ثُمَّ انفردتُ.. أجُرُّ ثِقْلَ هَزِيمتي

وَحدِي، وأحمِلُ ليلَ هَمّي الأسفعا

قد كنتَ واحَتِيَ التي أُلقي بها

تَعَبَ السُّرىٰ، وعَناءَ شوطي المُوجِعا

حتى أَفَقْتُ على النَّعِيِّ، فلم أجِد

من واحتي الخضراءِ إلا البَلْقَعا

۞ ۞ ۞

أَعزِزْ عَليَّ - أبا الفضائلِ - أنْ أرىٰ

وُرّادَ نَبعِكَ يَحتَسونَ الأدمعا

كانوا إذا ضاقَتْ بهم دنياهُمُ

رَكِبوا الطريقَ إلى نَداكَ فَوَسَّعا

وإذا تَطاوَلَ ليلُهُمْ وَجَدوا على

عَيْنَيكَ للصبحِ المُرفَّهِ مَطلَعا

وإذا أَمَرَّ الصبرُ طَعمَ كؤوسِهِمْ

مَزَجوا بخُلْقِكَ مُرَّها فتُجُرِّعا

خُلُقُ السحابِ، إذا تَصوَّبَ في الثرىٰ

أحيا، وفي يَبَسِ المُروجِ تَضوَّعا

وسجيّةُ الأقمار أنَّ شُموخَها

يهفو لأقدامِ السُّراةِ لِيَسطعا

۞ ۞ ۞

يـا حـامـلاً عِـبءَ (الـقَـبـيـلـةِ) لا وَهَــتْ
كَـتِـفٌ حَـمَـلْـتَ بـهـا الـجـلـيـلَ الأروعـا
أدنَـيْـتَ مِـن صَـهَـواتِـهـا، وشَـدَدتَ رَخْـ
ـوَ سُـروجِـهـا، ورَكِـبْـتَ فـيـهـا الـمَـهْـيَـعـا
ووَقَـفْـتَ فـي رَهَـجِ الـطـريـقِ مَـنـارةً
تُـومِـي لـخـابِـطَـةِ الـدجـىٰ: أنْ تَـتْـبَـعـا
ثـم انـثـنَـيـتَ تُـقـيـمُ أَوْدَ شـيـوخِـهـا
وتُـقـيـلُ عـاثِـرَهـا، وتَـدفـعُ مَـنْ سَـعـىٰ
وإذا تـقـاصَـرَ خَـطْـوُ طِـفْـلٍ خـائـفٍ
شَـجَّـعـتَ زَهـوَ جَـنـانِـهِ، فـتـشـجَّـعـا
حـتـىٰ إذا أبْـلَـغْـتَـهـا مـا تـرتـجـي
عُـدَداً، وصُـلْـبَ عـزائـمٍ، وتَـمـنُّـعـا
غـادَرتَـهـا، وبَـنـوكَ أمـنـعُ جـانـبـاً
وأعـزُّ أنـصـاراً، وأطـولُ أذْرُعـا
وعـلـىٰ بَـنـيـكَ، إذا أرادوا خـيـرَهـا
أنْ يـقـتـفـوكَ: طـبـيـعـةً وتـطـبُّـعـا
فـعلىٰ الـسواعـدِ مِنْ (ربيعةَ) تحفَظُ الـ
ـمـجـدَ الـرفـيـعَ، وتَـسـتَـجِـدُّ الأرفـعـا

١٩٧٩

الفهرس

ملامح في السيرة والتجربة الشعرية

عيناك واللحن القديم

ألحان الغربة

قصائد عشتها